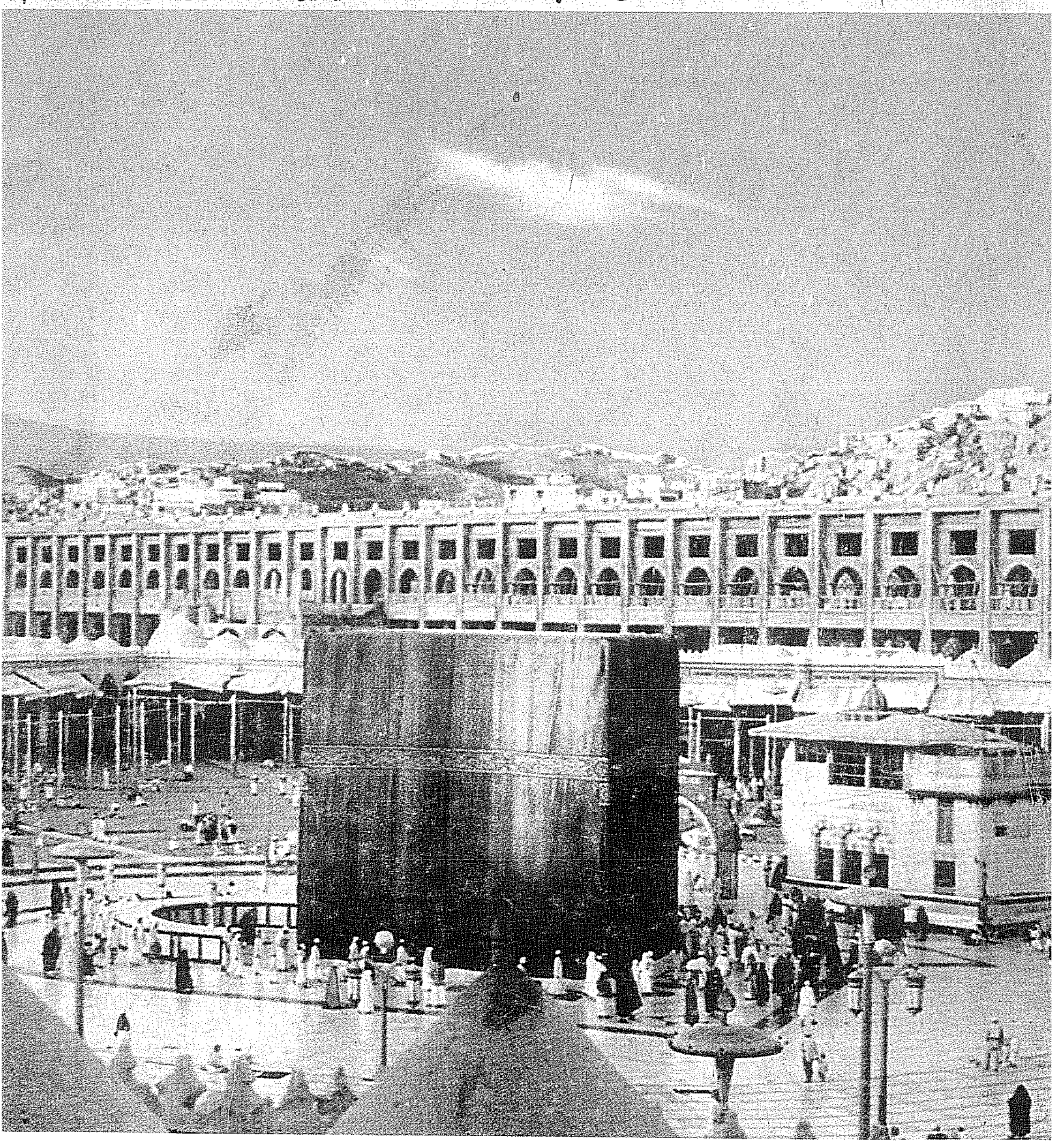
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة ـ العدد ٧٢ ـ ذى الحجة ١٣٩٠ هـ ـ ٢٨ يناير (كانون ثانى) ١٩٧١ م



ملحق بهذا العدد:

فهرس عام للمجلة

في عامها السادس

١٣٩٠ هـ

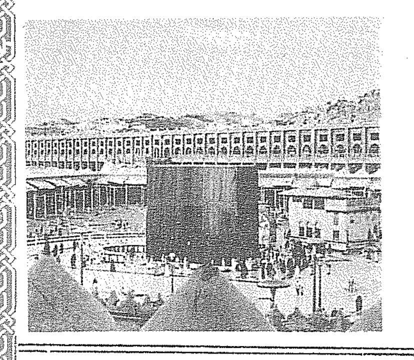
١٩٧٠ - ١٩٧١ م

يشتمل على الموضوعات والكتاب

هديتك مع العدد القادم:

التقويم الهجري الجديد لعام ١٣٩١ هـ

ومعه صور نادرة لأشهر المساجد في العالم



منظر فريد للكعبة المشرفة عند شروق الشمس ويظهر خلفها المسعى فى فنه العربى الرفيع .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد الثانى والسبعون

ذى الحجة سنة ١٣٩٠ هـ

٢٨ يناير (كانون ثانى) ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	دينار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

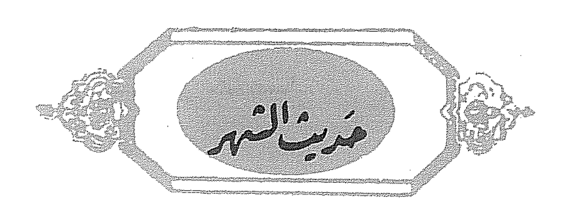
الاشتراك السنوى للهيآت فقط

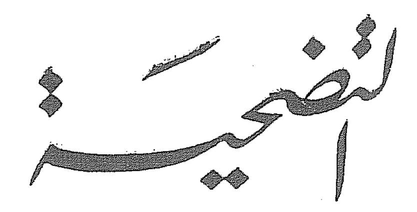
فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ــ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم





التضحية هي البرهان العملي على قوة العقيدة ، والمثل الحي على انسانية الانسان ، والركيزة الاولى لحيوية الامة وقوتها .

وكل قلب فارغ من العقيدة لا يقدم على التضحية ، ولا يعرف لها معنى .

وكل انسان لا يبصر الا نفسه ، ولا يتحرك الا ليشبع أنانيته حيوان شره يشقى بحيوانيته ، ويشقى به مجتمعه .

وكل أمة يدور كل فرد فيها حول نفسه ، ويضن بمقدرته وكفايته على غيره أمة مفككة متعادية تأكل الانانية قواها ، وتجعلها فريسة للضياع والهوان .

والتضحية تقترن في أذهان الناس بالاقدام في مواطن الخطر ، والبطولة في ميدان القتال ، وتبلغ غايتها بالاستشهاد في ساحات الجهاد دفاعا عن حق وحفاظا على عرض ، واستنقاذا لشرف .

وهذا النوع من التضحية أسمى درجاتها ، وأشرف منازلها ، وهو ليس بالامر الهين ، ولا بالمطلب السهل المنال الا على أصحاب العقيدة الراسخة .

والتضحية في هذا المجال محسوبة في ميزان الله بهبة الريح وذرة التراب وعضة الجوع ، وحرقة الظمأ ، وخفقة القلب ، وفتحة الجفن ونقطة الدم .

((ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون)) .

والحديث عن الاجزية المرصودة للمجاهد فى فترة الجهاد ، وعن النماذج الحية للبطولة ، هو ما تحتاج اليه أمتنا فى هذه الفترة الحرجة من تاريخها .

ان المجاهد من حين يخرج من بيته الى أن يظفر باحدى الحسنيين — لا تعد حسناته ، ولا يحصى ثوابه .. فله من غبار المعركة وثيقة تأمين عند الله عز وجل يوم الفزع الاكبر ((ما من رجل يغبر وجهه فى سبيل الله الا آمنه دخان النار يوم القيامة)) ((لا يجتمعان فى جوف عبد غبار فى سبيل الله ودخان جهنم)) ((ما من رجل تغبر قدماه فى سبيل الله الا آمن الله قدميه من النار يوم القيامة)) .

وحتى خفقات القلوب وقشعريرة الابدان وتوتر الاعصاب مما يجد المجاهد من قعقعة السلاح له ثوابه وان نجا من التهلكة ((ما خالط قلب امرئ رهج (خوف) فى سبيل الله الا حرم الله عليه النار)) .

ويقظة الحواس فى سبيل الله لمراقبة تحركات عدو الله تعدل أو تزيد عن مجافاة الجنوب للمضاجع فى جوف الليل للتعبد والتهجد : ((عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله)) .

والجروح والعاهات والاصابات فى سبيل الله شامات للمجاهدين تميزهم عن سواهم يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ((من جرح جرحا فى سبيل الله ، أو نكب نكبة فانها تجئ يوم القيامة كأغزر ما كانت ، لونها لون الدم وريحها ريح المسك)) .

أما الاستشهاد فهو الفرحة الكبرى والامنية العظمى والحياة المنشودة ((ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين)) ((والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل)) .

والتضحية فى ميدان القتال أغلى أنواع التضحية — كما قدمنا — فالجود بالنفس أقصى غايات الجود ، وهى ترتكز قبل كل شئ . قبل التدريب والتعليم ، قبل التسلح بأحدث معدات الحرب — ترتكز على العقيدة المكينة الراسخة . العقيدة التى ترى المجاهدين وهم فى ساحات الوغى فراديس الجنة ، وتحمل الى أنوفهم ريحها العطرة ، ولا يغنى عن العقيدة الالمام بأحدث فنون الحرب ، ولا الخبرة بأساليب القتال .

والامة الاسلامية كتبت فى تاريخ الدنيا أروع صفحات البطولة والتضحية ، والجيل الاول فى هذه الامة سجل بمواقفه البطولية أن العقيدة أقوى سلاح ، فهى التى تملأ قلب المجاهد بكراهيته الدنيا وحب الموت .

ان أثر العقيدة فى التضحية ليس مجالا للشك أو التردد ، فأمام المؤمنين اندحرت قوى الشر والطغيان ، وانهزمت جيوش الجبابرة والطغاة .

واننا نتجاوز الحديث الى النماذج الحية للعقيدة كيف تحمل أصحابها على ارتياد المهالك دون رهبة أو وجل .

في غزوة بدر استنهض الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه الى عير قريش ، فقال خيثمة بن الحارث لابنه سعد : انه لابد لأحدنا أن يقيم في المدينة ، فأقم أنت مع نسائنا ، ودعني أخرج للجهاد ، فأبى سعد ، وقال : لو كان غير الجنة لآثرتك ، انى لأرجو الشهادة — لم يكن هناك قانون تجنيد اجبارى ولا عقوبات بالحبس والجلد والحرمان من الوظائف العامة لمن يتخلف عن الجندية ، ولم يكن هناك سن معينة للتجنيد — لما اختلف خيثمة وابنه سعد اقترعا ، فخرجت قرعة سعد ، فخرج مع رسول الله فاستشهد بينما بقي أبوه في المدينة ، فلم يجزع ولم يرهب ، بل حرص على أن ينال وسام الشهادة ، فلما كانت غزوة احد خرج خيثمة داعيا الله أن يكتب له الشهادة ، ويلحق بابنه في الجنة ، فاستشهد وحقق له اعز امانيه .

وفي هذه الغزوة خرج أهل بيت باجمعه الى الجهاد في سبيل الله : خرجت نسيبة بنت كعب مع زوجها زيد بن عاصم ووالديهما عبد الله وخبيب ، وأبلوا في المعركة بلاء حسنا ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((بارك الله فيكم أهل بيت)) وقال ((اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة)) وقال في نسيبة : ((ما التفت يوم أحد يمينا ولا شمالا الا وأراها تقاتل دوني)) وقد ضربها ابن قميئة وهي تدافع عن النبي ، فأصاب عاتقها بجرح أجوف غائر ، وجرحت في هذه الغزوة اثنى عشر جرحا من بين طعنة وضربة .

وفي هذه الغزوة استعرض الرسول غلمان الأنصار ، فمر به رافع بن خديج ، وسمرة بن جندب ، فردهما ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، فقيل له : يا رسول الله : ان رافعا شاب يحسن الرمي ، فأجازه والحقه بالجيش فقال سمرة : يا رسول الله : لقد أجزت غلاما ، ورددتني ولو صارعني لصارعته ، فقال له صلى الله عليه وسلم : فصارعه ، فقال سمرة : فصارعته فصرعته ، فأجازني رسول الله .

أى معهد . أى منهج يربي لنا جيلا كهذا الجيل ، لا لشيء غير العقيدة والاسلام والقدوة المؤمنة المثالية .

وان الانسان ليعجب اشد العجب حين يقف على هذه التضحيات البالغة ، ويرى سحر العقيدة وأثر الايمان في النفوس التى لم تعرف غير الاسلام دينا وخلقا وسلوكا .

عن شداد بن الهاد أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فآمن به ، ثم قال له : أهاجر معك — وكان من الأعراب البدو — فأوصى به النبي بعض أصحابه ، وضمه الى جيشه ، ثم كانت غزوة أنتصر فيها المسلمون ، وغنم النبي فيها شيئا ، فقسمه على من معه ، وأرسل الى الأعرابي نصيبه ، فلما وصل اليه . قال : ما هذا ؟ قال : حظك من الغنيمة قسمته لك ، قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى بسهم الى ها هنا — وأشار الى حلقه بيده — فأموت فأدخل الجنة ، فقال له الرسول : ان تصدق الله يصدقك ، ثم نهضوا في قتال العدو ، وما لبثوا الا قليلا حتى جيء بالأعرابي محمولا وقد أصابه سهم في حلقه حيث أشار بيده . قال النبي صلى الله عليه وسلم أهو هو ؟ قالوا : نعم ، قال : صدق الله فصدقه ، ثم كفنه في جبته وكان من دعائه له

اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا فى سبيلك فقتل شهيدا وانا على ذلك شهيد .

أن فى وزارات الدفـاع في معظم الدول العربيـة ادارات للتوجيـه المعنوى .. لتوجيـه الجنود لتثقيفهم . لتوعيتهم ، وفي هذه الادارات ائمة يؤمونهم فى الصلوات ووعاظ يرشـدونهم وان وجود هذا النوع من التوجيه ضرورى جدا لتكوين الجندى الذى يفتدى دينه ووطنه وامته بحياته ، وحاجة هؤلاء الجنود الى معرفة الأحكام الفقهية التى يصـححون بها عبادتهم — مع اهميتها — امر ميسور المنال لا يحتـاج الى علم غزير ولا جهد كبير وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للمسلمين صلوا كما رأيتمونى أصلى ، وخذوا عنى مناسككم .

ان على الموجهين وهم من خيرة العلماء ان يسيروا سيرة الرسول فى اعداد جيشه الذى حقق انتصارات اذهلت العالم .

وفى هذا المجال يقول مؤلف كتاب الرسالة المحمدية : ان الفضل في اعداد النبى صلى الله عليه وسـلم لجيشه الظافر يرجع الى قوة العقـائد والتعاليم الاسلامية واثرها فى النفوس .

دعا الاسلام الى الايمان باله واحد قوى قدير سميع بصير حكيم خبير ، ومن شان هذه العقيدة ان تجمع قلوب المؤمنين وتوحدها . من شانها ان تنفخ فيهم روح العزة والكرامة ، فلا يرضوا بأن يتأله عليهم مخلوق ، .. شانها أنها تشـحذ العزائم وتلهبها وتمد الجنود بقوة غلابة يستمدونها من القوى العزيز .. فيقبلون على المعارك ، ارضاء الله بروح مؤمنة لا يتسرب اليها اليأس ولا يتسلل اليها خور . مطمئنة الى ان الله معها يمدها بنصره ، ويؤيدها بجنده (وما يعلم جنود ربك الا هو) (ولله جنود السموات والارض) (وما النصر الا من عند الله) .

دعا الاسلام الى الايمان بأنه لا بقاء الا لله ، وان الموت مكتوب على كل من عداه ، والمولى وحده حدد الأجل ، فلا ينقص العمر باقتحـام الحروب ولا يزيد بالفرار والهروب (لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) وكثير من الناس بالغوا في أخذ الحيطة لأنفسهم حذر الموت فلقوا مصرعهم من حيث لا يعلمون .

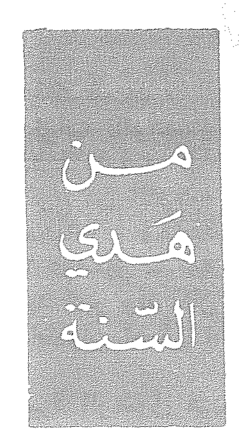
هذه العقيدة اذا استقرت في قلب انسان نزعت منه الخوف والجبن وجعلته لا يبالى اوقع على الموت ام وقع الموت عليه .

يجب التركيز فى توعية الجنود على العقيدة مع عرض تاريـخ الغزوات والفتوحات الاسلامية ، ودراسة الشخصيات الاسلامية المحاربة .

وهناك مظاهر اخرى للتضحية غير المعـارك والحروب ، بل كل عمل من الأعمال مجال للتضحية ، يحتاج الى العطاء اكثر من الأخذ والى محاربة الأنانية والحد من الشهوات والغرائز وابسط معنى للتضحية هو أن تحب النـاس كما تحب نفسك ((لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) . والظروف التى تمر بها الأمة الاسلامية الآن فى حاجة الى المزيد من التضحية التى تعبىء الجهود كلها لاستنقاذ الوطن المفقود والشرف السليب .

ضياء النبلي

مدير ادارة الدعوة والارشاد





الدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

روى الامام البخارى فى صحيحه قال :
« حدثنا عبد الرحمن بن المبارك : حدثنا خالد : اخبرنا حبيب بن ابى عمرة عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ، نرى الجهاد أفضل العمل ، قال : لكن أفضل الجهاد حج مبرور » (١) .

١ ــ الباحث عن الحق المتأمل فى أصول الاسلام وقواعده يجزم عن اقتناع عقلى ــ ان كان منصفا ــ أنها بصورتها الصافية المتلقاة عن رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، تحقق بما لا يقبل الجدل نظام الحياة المثالية ، وأسس المدنية الفاضلة التى تعطى الطمأنينة الكاملة من كل وجوهها ، والتى لا تترك ثغرة يلج منها مكدر أو مسىء قل أو جل ، وفى ظلها يشعر الانسان

---

(١) عبد الرحمن بن المبارك : هو العيشى بالتحتانية والشين المعجمة بصرى وليس أخا لعبد الله ابن المبارك المروزى الفقيه المشهور وشيخه خالد ، هو ابن عبد الله الواسطى ، واختلف فى ضبط (لكن) فقد رويت بضم الكاف ، قال القابسى : وهو الذى تميل اليه نفسى ، وفى رواية الحموى بكسر الكاف وزيادة ألف قبلها بلفظ الاستدراك ، وسماه جهادا لما فيه من مجاهدة النفس « .. ذكر هذا ابن حجر العسقلانى فى شرح الحديث المذكور ص ١٢٥ من الجزء الرابع من فتح البارى ــ طبع مصطفى الحلبى بالقاهرة سنة ١٣٧٨ هـ .

والذى أرجحه فى ضبط (لكن) أن تكون للاستدراك ، وليست للنساء خاصة (بضم الكاف) وتعليل ذلك تجده مسطورا فى صلب الموضوع والله وحده أعلم بالصواب ، ولكل محاول خيرا نصيب من الأجر بفضل الله ذى المنة والطول .

بقيمته ، وينمى شخصيته ، ويدرك مهمته التى ندب لها من رب العالمين ، كما يتأكد دارسها المتزن المتروى المتعقل من صلاحيتها التامة لكل زمان مهما تقلب وتبدل ، ولكل مكان ولو اختلف وتنوع ، وأجزم — مع استطاعة تقديم البرهان — أن النظم الاجتماعية البشرية المختلفة ، والطرائق الاقتصادية المتنوعة والمذاهب المتعددة المتشـــعبة ، التى تخالف الاســـلام وتجافيه ، قد ظهرت على المسرح وأولاها النظارة عناية واهتماما فى وقت غاب فيه الاسلام ، وكان منزويا فى مسطورات عفى عليها الزمان ، أو مكنونة فى صـــدور خربة ، ثم ترددت فى الوجود الواقعى أصداء مختلطة لا تتبين وجهتها ولا تدرك مراميها ومقاصدها ، فشالت نعاقها ، وتقلصت حتى عن ديارها ، فى الوقت الذى داهم فيه الغريب المريب حصونها واقتحم معاقلهـــا ، وسدنتها نيام فى هياكل يقظى ، وعمى فى سمت مبصرين ، فاجأتهم الفتن ففغروا أفواههم من هول القـــارعة ، وتداعت قواهم من المفاجـــأة الفاجعة ، فألفى العدو الديار بلاقع من حماتها ، أشبـــاه الرجال ، ولا رجال على وفق تعبير سيدنا عـــلى كرم الله وجهه يوما مـــا ، واستطاب الداهمون المرعى فنمت أفكارهم وسمنت وانتشرت مبادئهم وعمت وصاياهم ، وصار باطلهم حقا وما هو بحق فى حقيقته وأضحى الحق الصراح باطلا وما هو بباطل فى واقعه .

٢ — ولما كنا نعيش فى عصر تخصص ، وعالمنا الاسلامى — كما يبدو — عامر بكثير من الذين درسوا الاسلام مبرزين فى فروعه ، ولكل دور حق عليه أن يؤديه كاملا غير منقوص وهو مسئول عنه أمام الله والناس ، دفعا للعلمانية الزاحفة مع التصنيع ، والمدرك بيسر أن الذين اتخذوا العلوم العقلية والفلسفية طريقهم الذى سلكوه ، ما فرطوا فى جنب الاســـلام ، فقد شرعـــوا أقلامهم يقدمون حقائقه جلية واضحة ، ويصرعون بها الخصوم الألداء ، ولئن كان الأثر ضئيلا فليس مرجع ذلك الى ضعف فيهم ولا لعيب فى أسلحتهم ، وانما مصدره تهافت الدولة ، وتمزق الألوية ، وتفرق الكلمة ، ومع كل العوائق هـــا هم أولاء يؤدون دورهم فى ثبات وعزم واصرار لا يصدهم وعيد ، ولا يردهم تهديد ، فهم ماضون فى طريقهم يقرعون الحجة بمثلها ، وكلما بدا للشر ناجذ حطموه بقوارع البرهان ، وبارع القول .. فلندع هؤلاء ولنعرج على طائفة أخرى من علماء الملة فللمسلمين معهم حساب يطول ، وللاســـلام عليهم عتب ولوم شـــديدين ، ولتوضيح ما اليه قصدنا نقول :

المال عدل النفس ، والنفوس به شحيحة ، وهى عليه حريصة حرصها على الحياة ، حاول الانسان تثميره وتفنن فى تنميته بكل الوسائل المشروعة ، تقابلها أضعافها غير المشروعة ، وسئل المتخصصـــون فى الفقه الاســـلامى بالمعنى الاصطلاحى أعنى المعاملات عن رأى الدين الصالح لكل تقدم حضارى كما هى الدعوى المبرهنة ، فصـــمتوا طويلا ، وترك القـــادرون على الجواب الضعفاء ينثرون الفتاوى هنا وهناك ، وقامت مجامع دينية ثم نامت والتقى علماء المعاملات ثم تفرقوا ، واختلفوا ولم يجتمعوا ولم ينتهوا الى رأى يقال فيه انه الرأى الذى يرد الحق الى نصابه ، والسيف الباتر الى قرابه ، فقامت مؤسسات وشيدت بنوك اقتضتها مصـــالح العصر ، ولكن على قـــواعد بعيدة عن الخط

الاسلامى ومالت الى نظم تدر الربح مهما كانت مصـادره ، والذى أهدف اليه وأريد أن أوضحه هو أن يعطى علماء المعاملات الاسلامية الرأى صريحا فى حل أو حرمة وقبل أن يطلعوا على الناس باجماعهم القاضى بتحليل أو تحريم يجب أن يضعوا أولا الطرق السليمة الموصلة الى بديل لا يعطل المال ولا يحرمه يرسمون سبيل الاسلام الواضـح المفيد للناس فى حزم وقوة باجمـاع كامل تام مؤيد بالبراهين العقلية التى تقنع ولا تشكك ، وتصحح ولا تلتوى وما وراء ذلك من التنفيذ أو عدمه متروك لأولى الأمر واصحاب الشأن فى التصرف ، وبهذا يخرج علماء الملة من المسئولية أمام الله والناس ، وليشترك فى القرار النهائى كل علماء المسلمين من جميع أقطاره حتى لا يندد شاذ بما سيكون من اجماع ، وحتى لا توجد أهواء تذهب بالرأى السديد ، وتحوك حوله الشبهات التى ربما تعفى آثاره ، وتطمس معالمه ، وتطفىء أضواءه ، فيظل المسلمون فى ظلام الشك ، ومقعد الفاقد الثقة بكل ما يقال ..

٣ — ولعل الناظر فى الموضوع قد شعر بابتعاد القول عن عنوانه ، فما الربط بين الحج والجهاد وبين العلوم والفلسفات والمعاملات ، والواقـع ان الارتباط واضح جلى ، فالجهاد هو المرابطـة على ثغور المسلمين ، ويختار لهذا الرباط الأشداء فى دينهم الأقوياء فى الحفاظ على عقائدهم المؤمنون بالله الذين يطلبون احدى الحسنيين ، وفي ذلك من جهاد النفس مـا فيه ، ولقد تعددت الثغور وتنوعت فلم تعد محددة بمكان من الأرض وكفى ، وانما تدك الحصون من الداخل الآن فى وضوح ، وقبل الآن فى تلصص ، ولهذا يجب أن يتنوع الحماة الكماة فحملة السلاح المادى لهم مكانهم المعلوم ، ورجال الأقلام أصحاب العلم بالدين المخلصون الأكفاء لهم وضعهم الأقوى والأشد ، فمن غلب على ثقافة أمة ، وملك عقلية أبنائها وحورها حسب ما يريد دك قلاعها المادية فى يسر ، حيث يجد الطريق ممهدا والأبواب مشرعـة ، لأنه ملك الفكر أولا ، والأمـة التى ينبرى علماؤها ، ورعاة ثقافتها ليصدوا عدوان علوم وثقافات غازية هى التى تنتصر فى المعركة الحاسـمة ، والحج ركن من أركان الاسـلام لم يشرع لمجرد سفر ومشقة وتعرية جسد وتحمل متاعب الطريق ووعثائها ، وانما شرع على القادرين والقادرين فقط ليتلاقى المسلمون من أطراف الأرض فى اجتمـاع عام كل عام ، يضم زعماءهم فى كل اتجاه حياتى (بتشديد الياء) زعمـاء فى العلوم الكونية والنظريات الاقتصادية فى الثقافة ، فى السياسة ، فى الفن، فى الحروب ، فى كل نواحى الحياة ، يتدارسون أمورهم ، ويبحثون فى جد واخلاص لوجه الحق كل فى اختصاصه ، واللقاءات توثق الروابط ، وتقوى العرى ، وتحقق الاتحاد ، ووحدة الاتجاه ، وتبعث فى الأمة الاسـلامية القوة التى تجعلهـا خير أمة فى التقدم الحضارى المنشود ..

حاول الانسـان العلمانى أن يوجد مثل هذا التلاقى ولكن هيهـات فقد انشأت الدول المتذئبة عصبة للأمم ، ومن بعدها البديل هيئة الأمم المتحدة اسما، المتفرقة واقعا وحقيقة ، فلم تؤت ثمارا مفيدة بل بدت فى الواقع احدى وسائل تغلب القوى على الضـعيف وفقدت قيمتها واسـتهانت بها شـعوب وضربت بقراراتها المتتالية عرض الحائط ، فلو أدرك المسلمون حقيقة الحج ومقاصده

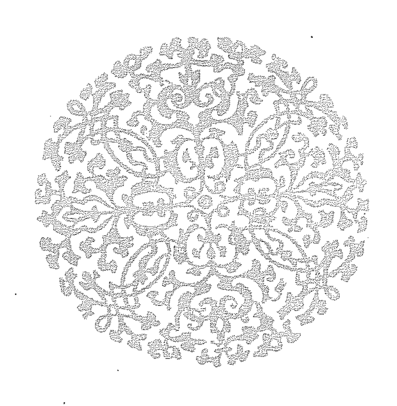
لجنوا ثمارا طيبة كل عام ، أفليس من الممكن أن يجعل المسلمون من حجهم هيئة اسلامية تقرر مصائرهم ؟ أليس من المستطاع أن يكون رجال جامعات العالم الاسلامي (يونسكو) اسلاميا يدرس كل أنواع العلوم والثقافات والفنون ويخرج بما ينميها ، ويعيد أمجاد المسلمين الذين بنوا حضارة وشادوا صروحا علميه شامخة شهد بفضلها الأعداء قبل الأصدقاء .

٤ — ولحكمة سامية لا يقبل الله الا الحج البعيد عن الرفث والفسوق والجدال « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب » « الآية ١٩٧ من سورة البقرة » ، وما ذلك الا لأن لقاء المسلمين فى الحج مؤتمر عام يجب أن يبتعدوا فيه عما يسىء العلاقات بينهم ويتجنبوا كل ما مؤداه الى التباغض والعداء ويحملوا أنفسهم على أن يتبادلوا المنافع فيما بينهم ، فلا يصح مطلقا لحاج أن يأتى شيئا مما نهت عنه الآية الكريمة لأنه مقبل على الله راج رضاه محقق لدعوة ابراهيم عليه السلام ، وذلك كله لجمع كلمة المسلمين وازالة الفوارق من بينهم حيث يتساوى هناك — فى اللباس والهيئة — القوى والضعيف والحاكم والمحكوم والغنى والفقير ، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » فهل حقق المسلمون ما أراده الله من حجهم ؟ الجواب تمليه أحوال المسلمين وهو أنهم بعدوا عن روح الحج كما بعدوا عن روح العبادات جميعا ، فلا ألفة حققوا ولا ترابط أوجدوا ، بل عادوا كما ذهبوا ، وسيظل هذا حالهم حتى يثوبوا الى رشدهم ، وينفذوا وصايا قرآنهم ، ولا يتبعوا السبل التى تفرقت بهم عن سبيل الرشد .

٥ — والحديث الشريف ليس خاصا بالنساء ، وأن كان من الممكن توجيهه هذا الاتجاه ، ولكن عمومه أفضل وأجدى على الأمة ، فالحج المبرور هو الذى تتحقق منه الغايات التى شرع من أجلها ومن أبرزها جمع كلمة المسلمين ودراسة أوضاعهم فى العالم دراسة دقيقة مشمولة بروحية كريمة تبعد بها عن شوائب الأنانية التى تزعزع المؤتمرات الدولية الأخرى البعيدة عن الايمان بالمثل العليا ، ففى مثل هذه المؤتمرات ، كل يود الخير لدولته ولو هلك العالم ، وكل يرى الفضل لأمته التى يمثلها مهما كانت النتائج بالنسبة للأمم الأخرى ، وهذا ما يلمس فى اجتماعات المنظمات الدولية التى تسيطر عليها القوى التى تستطيع بقانون وضعته هى شجب كل ما لا يرضيها وطرد كل من لا يدور فى فلكها بكلمة واحدة (الاعتراض) أو حق (الفيتو) . أما حجاج بيت الله فهدفهم واحد لا يتعدد وهو تداعى كل الأعضاء لألم أحدهم ، وما مس أحدهم من ضر مسهم جميعا ، وما جنى من غنم فهم شركاء فيه ، وتوحدهم الناشىء عن الايمان يشد أزرهم فى الميادين والمجتمعات الدولية ويكتلهم أمام الأعداء التقليديين ، ويضفى على قرارات يتخذونها طابعا روحيا كريما يلاشى الأنانية المقيتة ، ويذيب الشخصية المنفردة ، ومن أهم ما يعنيه وجود المسلمين كأمة هو ذيادتهم عن حماهم وحراسة ثغورهم وجهادهم فى سبيل نشر الروح

الاسلامى فى العالم ليسيطر ويمحو اختلافاته وشقاقه بعد أن — يزيلها من بين معتنقيه أنفسهم ، فالانطلاق الى الجهاد العام بعد الحج المبرور يعد ثمرة له وغاية ترجى منه ، وليست هذه مثاليات لا تتحقق واقعيا وانما الذى يبديها مثاليات غير قابلة للتحقق هو الخور وضعف العزيمة ، وواقع المسلمين هو الذى يسيء الى أصوله اساءة بالغة ما بعدها اساءة ، كما أن دعاة الاسلام ليسوا خياليين أو يرددون أحلاما يعز وجودها ، وانما هم واقعيون يعرضون فى كتاباتهم وخطبهم وأحاديثهم خطة العمل الصريحة الصادرة من المشرع الأعلى للنهوض بالمجتمعات الانسانية وازالة ركام الفساد المفسد لجوائها ، وتنقيتها مما شابها ، من تضليل وافد عدا على مقدارتها ، واشترك فى اثمه للأسف الشديد بعض المتسمين بالاسلام الناطقين بشهادتيه ، وما كانت ولن تكون الدعوة الى الاسلام خيالية أبدا وانما هى الدواء الذى يطب لكل داء ، فهيا استعملوا ما حوت صيدليته ولا تدعوها مغلقة على ما فيها ، فلم تتنزل شريعة الاسلام لتبقى مسطورة على صحائف مهملة ، أو لتوضع فى قبو ، أو فى صرح مشيد ليطاف حولها ويطلق لها البخور ويتبرك بها ، وانما وردت للتطبيق والتنفيذ ، وعلى عارضيها أن يؤمنوا بجدواها ، وعلى أبنائها أن لا يتأبوا عن الالتزام بها فى دولتهم وأحكامهم ، حتى تستقر فى الارض آخذة وضعها الحقيقى المراد منها ، فهل من مستجيب لنداء الله تبارك وتعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ..**)) .

فالحق أبلج والباطل لجلج والطريق لا حب والصوى مشرعة .. ((**قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما انا من المشركين**)) .



المحبوسون في سجن المادة

للشيخ : محمد الغزالي

فى غضون القرن التاسع عشر للميلاد كانت نزعات الالحاد تغلب على العقل الغربى ، وبدا كأن العلم الطبيعى يتجه بالناس وجهة مادية تتنكر للدين وتضيق بتعاليمه ، ولما كان الغربيون سادة الدنيا يومئذ فقد صبغوا الفكر العالمى تقريبا بهذه الصبغة الداكنة ..

وقد تسأل : ماذا كان موقف المتدينين بازاء هذا الكفر الزاحف ؟

والاجابة : أن المسلمين كانوا فى حالة ذهول أنستهم رسالتهم المحلية والعالمية على سواء ، فهم لا يريدون من دينهم شيئا طائلا ينفعون به أنفسهم بله أن ينفعوا به غيرهم ..!!

وأما بنو اسرائيل فقد شرعوا عقب تقرر الحقوق السياسية فى الاقطار الحديثة يجمعون شملهم ، ليعيدوا ملك « يهوه » على الارض ، ويستعدوا لحكم العالم كله من « أورشليم » وما كان عليهم أن تكتسح ظلمات الشك كل ضمير ..!!

وأما النصارى فلو تفرغوا لمواجهة هذا الخطر لكانوا كالذى يرد الطوفان بالراحتين ، فكيف وهم مشغولون بالقضاء على الاسلام المريض !!

لذلك نجح الالحاد فى فرض أفكاره ، وأحكامه على أغلب ميادين النشاط الانسانى ، وربما سمح للأديان أن تبقى ميولا فردية ، واتجاهات أدبية ، وحسبها ذلك .. على أن القرن العشرين للميلاد أخذ يتجه ــ خصوصا فى أواسطه

ونهاياته ــ وجهة مغايرة ، وظهر فى كتابات كثير من العلماء الطبيعيين نزوع واضح الى الايمان بالغيب والتسليم بوجود اله حكيم قدير ، عالم خبير !!
وتدين العلم كسب انسانى جليل !!
والصورة التى تكونت لدى العلماء الطبيعيين عن الله قد تكون أدنى الى الحقيقة مما يهرف به كثير من رجال الاديان .. !!
ولو كان للاسلام رجال يحسنون عرضه كما نزل فى أصوله الاولى لكان الاسلام دين الحاضر والمستقبل على سواء ، ولكن الفكر الاسلامى وقع فى محنة رهيبة !!
ولست أزعم أن كل العلماء الكونيين نزاعون الى التدين ، فهناك من ضل الطريق !! ولكن تيار الايمان لو مضى فى طريقه بين هؤلاء دون عوائق سياسية ، ودون ارهاب خارجى ، لتغير الوضع ، فان جمهرتهم سوف تدخل فى دائرة الدين بلا ريب ..!!
والمشكلة التى نواجهها نحن فى بلادنا الاسلامية هى تأخر مثقفينا فى مضمار التقليد !!
فعدد كبير منهم لا يزال يعيش فى العقلية المادية للقرن التاسع عشر .
وعدد آخر قد يعدو هذا النطاق ، ليرنو ببصره الى المسجونين كرها داخل بعض المذاهب المادية الحاكمة ، وهم قوم كفروا عن ارهاب لا عن اختيار ففيم يقلدون ؟؟
والغريب أن نفرا من علماء الاسلام يزعمون أن الدين ــ كسائر القضايا الادبية ــ لا صلة له بالعقل !! أى أن التفكير الالحادى للقرن التاسع عشر مازال هو الذى يسيطر عليهم ، فأى بلاء هذا ؟؟
ونحن نناشد أحرار العقول أن يراجعوا أنواع المعرفة التى تعرض عليهم ، فان للاستعمار الثقافى دخلا فى تلويثها وغشها ..
ان أعظم شىء فى رسالة الاسلام احترامها للعقل البشرى ، وحفاوتها بالعلم الطبيعى ، وبناؤها اليقين على النظر الصائب فى ملكوت الارض والسماء .
ولا يوجد كتاب سماوى حث العقل على النظر ، وقاد العلم فى مضمار البحث كهذا القرآن الكريم .
اننا بمنطق القرآن نرفض الظنون ونخضع لليقين ، نرفض الاوهام ونستكين للحقيقة وحدها ..
ان التدين الذى تعلمناه من كتابنا ليس تحميل العقل ما لا يطيق ، ولا الهيمان فى عالم الاخيلة .. انه تدين ذكى عملى .
ثم هو يضم الى هذا الفكر الناضج قلبا سليما ، لا مكان فيه لنية خبيثة أو غرض صغير ، على أساس أن الانسان لا يسيره العلم النظرى قدر ما تسيره مقاصده وآماله ..
وما أكثر أن يكون الذكاء سلاحا يستعمل فى الخير والشر على سواء ، فاذا صدق الايمان صلح القلب واستقام المنهج « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » « ان فى ذلك لذكرى لمن كان قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .
وفى معرفة الكون وخالقه ، والنفس وهداها يقول ابن عطاء الله السكندرى هذه الكلمة الحاسمة :

« لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحى يسير والمكان الذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه ، ولكن ارحل من الاكوان الى المكون « وأن الى ربك

المنتهى » (١) . وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم : فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » (٢) . فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتأمل فى هذا الامر ان كنت ذا فهم » .

يقول الله تعالى : « والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون . والارض فرشناها فنعم الماهدون . ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون . ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين . ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين » (٣) .

هذه آيات خمس ، الثلاثة الاولى منها وصفت الاكوان علوها ، وسفلها ، وما انبتت فيها من حياة وأحياء ..

والاثنتان الاخريان انتقلتا من الاكوان الى المكون فتحدثتا عن وجوده ثم توحيده .

ولفت الناس هنا الى الله ، جاء بصيغة عجيبة « ففروا الى الله .. »

وهذا الفرار انما يكون مما يحذر ويعاب .

والحق أن الانحصار فى الكون والاحتباس بين مظاهره فواحش عقلية ونفسية لا يرضاها أريب لنفسه ، بل ينفر منها أولو الالباب .

ان من له أدنى مسكة يعرف — من العالمين — رب العالمين ، ويعرف — من الاكوان — صاحب هذه الاكوان !!

ان هذا الملكوت الضخم الفخم من ودائع ذراته الى روائع مجراته شاهد غير مكذوب على أن له خالقا أكبر وأجل ..

انها لجهالة أن يغمط هذا الاله العظيم حقه ، وانها لنذالة أن يوجد بشر ينكره ويسفه عليه .

ولكن : « خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين » (٤) .

والعاقل ينظر فى الكون فيتعلم منه تسبيح الله وتحميده ، ويستنتج من قوانين الحياة وأحوال الاحياء ما يستحقه المولى الاعلى من أسماء حسنى ، وصفات عظمى ..

والناس صنفان ، صنف يعرف المادة وحدها ويجهل ما وراءها ، ولا نتحدث الآن مع هؤلاء .. فقد ذكرنا نبأهم فيما مضى .

وصنف مؤمن بالله مصدق بلقائه ، ولكنه هائم فى بيداء الحياة ، ذاهل وراء مطالب العيش ، مستغرق المشاعر بين شتى المظاهر ، فهو لا يكاد يتصل بسر الوجود ، أو يتمحض لرب العالمين .

ومع هذا الصنف المؤمن نقف لنرسل الحديث ..

هناك قوم لا تخلص لله معاملاتهم ، بل هى مشوبة بحظوظ النفس ورغبات العاجلة ، وهؤلاء لن يتجاوزوا أماكنهم ما بقيت نياتهم مدخولة ، حتى اذا شرعت أفئدتهم تصفو بدءوا المسير الى الامام .

وهناك قوم يعاملون الله وهم مشغولون بأجره عن وجهه أو بمطالبهم منه عن الذى ينبغى له منهم ، وهؤلاء ينتقلون عن أنفسهم من طريق ليعودوا اليها عن طريق أخرى .

انهم مقيدون بسلاسل متينة مع أنانيتهم فهم يسيرون ولكن حولها ، لو حسنت معرفتهم بالله ما حجبتهم عنه رغبات مادية ولا معنوية ، بل لطفى عليهم

الشعور به ، وبما يجب له ، وتخطوا كل شيء دونه ، فلم يهدأوا الا في ساحته ، ولم يطمئنوا الا لما يرضيه هو جل شأنه ، على حد قول أبي فراس :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذى بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين وكل الذى فوق التراب تراب

وابن عطاء الله يرى أن العامة يترددون بين مآربهم ، كحركة بندول الساعة لا تتجاوز موضعها على طول السعى ، أو هم على حد تعبيره كحمار الرحى ينتقل من كون الى كون ، والمكان الذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه .

والواجب على المؤمن ان يقصد وجه الله قصدا ، وأن يتفصى تفصيا عن ألوف الاربطة التي تشده الى الدنيا ، وتخلد به الى الارض !!

ومن خدع الحياة أن المرء قد يعمل لنفسه وهو يحسب انه يعمل لله ، ولو وضعت بواعثه الكامنة تحت مجهر مكبر لاستبان أن كثيرا من دواعي غضبه وسروره وتعبه وراحته ، يصلها بوجه الله خيط واه ، على حين تصلها بحظوظ النفس حبال شداد.

وهنا الخطر المخوف ، ان الهجرة اذا كانت لله فقد مضت وقبلت ، والا فالامر كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من هاجر الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

● ● ●

والشعور بوجود الله ليس أمرا يتكلف له الانسان شيئا ، انه شعور بالواقع !!

قد يكون لك حبيب مسافر مثلا فأنت اذا اشتقت اليه تتخيل صورته ، وتحاول الانس بالوهم عن الحقيقة .

ولكن الشعور بالله ليس تقريبا لبعيد ولا تجسيدا لوهم ، انه شعور بالواقع الذى يعد تجاهله باطلا ، كشعورك مثلا — وأنت في البيت — بأنك في البيت ، أو شعورك — وأنت في القطار — بأنك في القطار ..

انه الواقع الذى لا معدى عن الاعتراف به ، وبناء كل تصرف على أساسه .

ان الالوهية لا تفارق العباد لحظة من ليل أو نهار ، ومن ثم فان الغفلة عن الله غفلة عن الحق المبين .

واذا كان الاعمى يعجز عن رؤية الاشياء فان الاشياء لم تزل في مكانها لأن عينا كليلة لم تتبينها .

واذا كان الناس مذهولين عن الحق المصاحب لهم المحيط بهم ، فذلك عمى تعود عليهم وحدهم معرته .

وقد كثر القرآن الكريم من اشعار الناس بهذه المعانى ، وصاح بهم وهم يفرون عنها ، الى أين ؟ « فأين تذهبون ؟ » أين المذهب « والله من ورائهم محيط » .

قال تعالى : « هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .

هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » (٥) .

هو بصير بما نعمل ، وهو معنا حيثما كنا ! ألا تعين هذه الحقائق على صدق المعرفة وحدة الشعور بوجوده واشرافه ؟

ثم الا يدل ذلك على أن ذكرك لله ليس استحضـــارا لغـــائب ؟ انما هو حضورك أنت من غيبة ، وافاقتك أنت من غفلة !!

ولا بد هنا من توكيد التفرقة بين وجود الله ووجود العالم ، فان بعض الناس يستغلون المعانى التى شرحناها للبس الحق بالباطل .

ان وجود الله مغاير لوجود سائر المخلوقات ، وهذا العالم منفصل عن ذاته جل شأنه انفصالا تاما .

وقد تسمع بعض الفلاسفة أو بعض المتصوفين يقول : انه يرى الله فى كل شىء .

وهذا التعبير صحيح ان كان يعنى أنه يرى آثاره وشواهده .

أما ان كان يعنى وحدة الخالق والمخلوق ، أو وحدة الوجود كما يهرف الكذبة ، فالتعبير باطل من الفه الى يائه ، والقول بهذا كفر بالله والمرسلين .

• • •

ووصف الاحاطة الالهية فى هذا المجال وسيلة لا غاية ، وسيلة لتصحيح النية والجهد والهدف ، واهابة بالانسان أن يخير نشاطه البدنى والعقلى على مرضاة الله وحده .

وليت الناس يسعون فى هذا الطريق بنصف قواهم ! لو أن امرءا حاول استرضاء الله بنصف الجهد الذى يبذله فى كسب المال ، أو التمكين فى الارض لقطع مرحلة رحبة فى طريق الارتقـــاء الروحى والخلقى ، ولو أن امرءا كره الشيطان ووساوسه بنصف الشعور الذى يكره به الآلام ، والخصوم لنال من طهر الملائكة حظا .

ان الله قد يقبل نصف الجهد فى سبيله ، ولكنه لا يقبل نصف النية .
اما أن يخلص القلب له ، واما أن يرفضه كله .

وقد أسلفنا القول أن الإنسان قد تحتل قلبه مقاصد شتى هى التى تبعثه على الحركة والسكون ، وعلى الرضا والسخط ، وأن هذه المقاصد تنبعث عن أنانيته لا عن ايمانه بربه ، وابتغائه ما عنده .

والعلماء المربون يطاردون هذه المقاصد المتسللة الى القلب ، ويمنعونها أن تثوى فيه ، ولا يتوانون فى مطاردتها حتى تخفى ويطهر القلب منها .

ذلك أن الاسلام دقيق جدا فى تقويم العمل بالنية الباعثـــة عليه والغاية المصاحبة له ، فمن لم يكن الله وجهته فى هجرته فلا عمل له ولا خير فيه .

فى الحياة الآن الوف من المدرسين والاطباء والمهندسين والضباط والعمال والتجار والموظفين .. الخ يزحمون ظهر الارض بحركة واسعة المدى ، فأما ما كان للتكاثر والتظاهر فسوف يلصق بالتراب ، وربما بقى لصاحبه طول حياته ، وربما أفتقده قبل أن يموت ، وأما ما كان لله فهو مبارك الثمر ممتد الاثر ، ان البقاء لما قصد به رب السماء « من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب (٦) .

● ● ●

ونعود الى الصنف المسجون بين عناصر المادة لا يعرف غيرها ، انه ينتقل من عنصر الى عنصر ، وينسب مادة الى مادة ، ويجحد ما بعد ذلك .

وقد ناقشنا هؤلاء ، ودحضنا ما ساقوا من شبه ، ونريد هنا كشف الستر عن بعض دعاوى القوم .

ان وصف الايمان بأنه حركة رجعية ، والالحاد بأنه حركة تقدمية وصف كاذب ، فالكفر قديم قدم الغرائز الخسيسة ، والافكار السفيهة ، وتاريخ الحياة يتجاور فيه الخير والشر ، والصلاح والفساد ، فمن قال : ان الايمان طبيعة أيام مضت وانتهى دورها ، وان الكفر يجب أن يفسح له الطريق فهو دجال ..

كذلك وصف الايمان بأنه حركة فكر محدود ، والالحاد بأنه حركة عقل ذكى أووصف الايمان بأنه منطق الدراسة النظرية ، والالحاد بأنه منطق الدراسة العلمية والبحوث الكونية ، هذا كلام خرافى لا حرمة له ، فان جمهرة كبرى من قادة العلم الكونى والدراسات الحيوية يؤمنون بالله ، ويرفضون الزعم بأن الكون خلق من غير شىء .

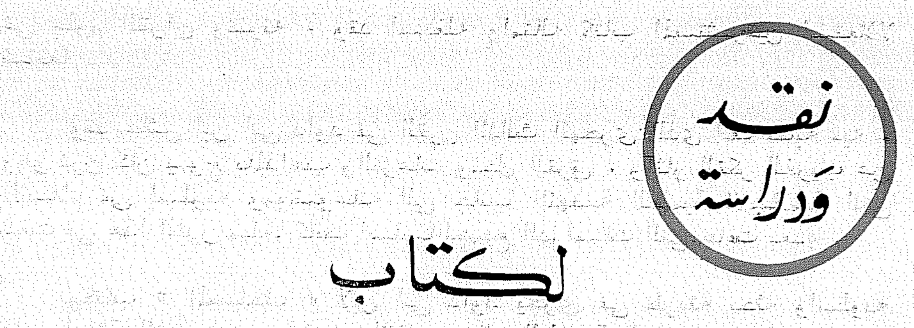
والواقع أن الالحاد يعتمد على الظنون والشائعات ، لا على اليقين والبراهين ، وانه لم يثبت فى معمل أو مختبر بأن الله غير موجود ، وكل ماهنالك أن الماديين نسبوا لغير الله من النظام والابداع ما لا تصح نسبته الا لله .

ووراء هذا النسب المنتحل ساروا ، وايديهم خالية من اى يقين ، بل هم كما وصف القرآن الكريم « وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون (٧) » .

أما الدلائل التى تغرس الايمان فى القلوب ، عن طريق التفكير السليم فى هذا الكون الكبير فهى قائمة ناهضة .

---

(١) النجم : ٤٢
(٢) البخارى
(٣) الذاريات من ٤٧ الى ٥١
(٤) النحل : ٤
(٥) سورة الحديد : ٣ ، ٤
(٦) سورة الشورى ٢٠
(٧) سورة يونس : ٣٦



المصَاحِف

لابن أبي داود

للشيخ : محمد صَادق عـرجون

كتاب « المصاحف » لابى بكر عبدالله بن أبى داود السجستانى أحد كتب كثيرة فى موضوعه ، وبعضها مسمى باسمه ، وقد ذكر منها الدكتور المستشرق « آرثر جفرى » فى مقدمته لكتاب ابن أبى داود أحد عشر كتابا ، وقال : ولم يصل الينا من هذه الكتب الا كتاب « المصاحف » لابن أبى داود .

وهذه الكتب كانت معروفة عند جمهور العلماء المشتغلين بالبحوث القرآنية ، وكانت متداولة بينهم ، ووصل منها كثير الى عصر « جلال الدين السيوطى » باعتبارها مراجع فى موضوعها ، وقد ذكر السيوطى بعضها فى مقدمة كتابه « الجامع » المسمى « الاتقان فى علوم القرآن » فى ضمن ما أتيح له النظر فيه حين تأليفه كتابه « المشحون » وذكر منها كتاب « المصاحف » لابن أبى داود ، وهو هذا الكتاب الذى نكتب عنه هذا البحث فى نقده ودراسته لبيان ما فيه من زيف وأباطيل .

وهو كتاب اعتبر من كتب التراث الاسلامى ، ومرجعا من مراجع المؤلفين

فى علوم القرآن وفنونه ، وقد استغله وأمثاله كتاب المستشرقين استغلالا شنيعا .

وقد عاش ابن أبى داود فى القرن الثالث الهجرى الذى الف كتابه فيه ، وهو قرن كان يموج بالمذاهب والنزعات ونحل الفرق ، وآثار الفكر الغريب عن الاسلام فى أسلوبه وموضوعاته الى جانب النهضة العلمية الاسلامية التى بلغت فى هذا القرن مبلغا كانت أساسا لجميع الدراسات التى جاءت بعده .

وكتاب « المصاحف » لابن أبى داود يجرى فى طريقة بحثه وأسلوبه على طريقة القدامى من جامعى الآثار ، تلك الطريقة التى تعتمد على الرواية والنقل أكثر مما تعتمد على التحليل والاستنباط ، فهو من هذه الناحية صورة من صور التأليف تمثل فى تاريخ « الثقافة » الاسلامية مرحلة من مراحل التأليف فيما يختص بعلوم القرآن وفنونه ، وما يتعلق به .

ومن هنا يمكن « وزن » قيمة الكتاب التاريخية ، وهو الى جانب ذلك يعطى القارىء صورة من البحث فى جمع القرآن وكتابة مصاحفه ، واختلاف مصاحف الصحابة قبل المصحف الامام ، وكذلك بالنسبة للقراءات وتاريخها ورواياتها ورواتها وخط المصحف الى جانب مسائل أخرى فرعية تتعلق بالمصحف عنى بذكرها ابن أبى داود فى كتابه مما قد يضفى عليه أهمية تاريخية .

بدأ ابن أبى داود كتابه « المصاحف » بباب جعل عنوانه **(من كتب الوحى لرسول الله)** صلى الله عليه وسلم وهو عنوان يعطى القارىء بالنظر المجرد أن المؤلف سيتحدث عن النفر الذين عرفوا فى تاريخ الوحى من بين الصحابة بكتابة الوحى ، وسموا فى السيرة النبوية (كتاب الوحى) وهم كما ذكرهم بأسمائهم وأنسابهم مؤلفو فى السيرة ومترجمو الصحابة فى كتب المناقب وغيرها — أكثر من ثلاثين رجلا ، وممن ذكر أكثرهم شمس الدين بن القيم فى كتابه العظيم (زاد المعاد) وقد زاد عليه القسطلانى فى المواهب عديدا منهم .

ولكن ابن أبى داود صاحب هذا العنوان فى كتابه « المصاحف » لم يذكر فى هذا الباب من « كتاب الوحى » المعروفين سوى زيد بن ثابت ، وروى فى شأنه حديثين ، أحدهما فى تعلمه السريانية بأمر النبى صلى الله عليه وسلم ، ليقرأ له كتبا تأتيه بلسانها ، وثانيهما فى اجابة نفر طلبوا منه أن يحدثهم بعض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدثهم زيد بأنه كان جار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان اذا نزل الوحى أرسل اليه فكتب الوحى ، ثم حدثهم عن بعض شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته مع أصحابه يشاركهم كأحدهم فى حديثهم ، اذا ذكروا الآخرة ذكرها معهم ، واذا ذكروا الدنيا ذكرها معهم ، واذا ذكروا الطعام ذكره معهم ، فهو واحد منهم ، لا يتميز فى عشرته معهم عن أحد منهم .

— ثم ماذا ؟ ثم وثبة الى الخلف هوى بها ابن أبى داود الى ذكر قصة خرافية ، لا تعدو أن تكون اسطورة من اباطيل الوضاعين ، فهى لا تثبت أمام البحث العلمى الذى عرفه المسلمون فى أسانيد الروايات وتمحيص رجالها ،

ولا تثبت للبحث العلمى الجديد الذى اصطنعه المستشرقون من أساتذة آثر جفرى الذين زعموا أو زعم لهم أنهم أعادوا دعائمه على التنقيب والتحليل ، واعتبار المتن الملائم للزمان والمكان وظروف الاحوال ولو لم يكن له سند أو كان له سند ضعيف أو باطل ، واهدار السند ولو كان متواترا .

ــ ذلك أن هذه القصة الخرافية تذكر (رجلا) مجهولا كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتذكر من شأن هذا الرجل فى كتابة الوحى أنه كان يتعمد الخيانة فى الكتابة فاذا أملى عليه النبى صلى الله عليه وسلم (سميعا بصيرا) كتب سميعا عليما) ــ واذا أملى عليه النبى صلى الله عليه وسلم (سميعا عليما) كتب (سميعا بصيرا) وهذه الصيغة (كان اذا أملى عليه) تفيد أن ذلك الصنيع دأبه وديدنه عامدا متعمدا ، فهو صنيع يصدق بما فوق المرة والمرتين والثلاث وأكثر من ذلك ، وهنا يثب سؤال فى خاطر كل من يقرأ هذه القصة الخبيثة وذلك السؤال هو : هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم بتلاعب هذا الكاتب الذى ــ استكتبه وحى الله اليه ؟ ــ ورواية ابن أبى داود لا تجيب على هذا السؤال بصراحة ! ولكنها تذكر من حال هذا الرجل المجهول الذى خان الله ورسوله فى أمانة الوحى أنه كان ممن طال به الزمن حتى قرأ قرآنا كثيرا ، والنبى صلى الله عليه وسلم يستكتبه الوحى وهو يتلاعب به فيكتب غير ما يمليه عليه ، فاستمرار النبى صلى الله عليه وسلم فى استكتاب هذا الرجل المجهول وائتمانه مع خيانته يحمل فى طياته احدى الكبر التى تهدم الثقة فى الوحى من أساسه ، لانه ان كان يعلم بحاله وسكت عنه ، فذلك أشنع ما ينسب الى نبى من الانبياء ، وهو ما لا يقوله مسلم ، وكيف وان صح فماذا بقى للنبوة ؟ وان لم يكن يعلم حاله فكيف يوثق بسائر الوحى وهذا حال كاتبه ؟

ويمضى ابن أبى داود فى قصته ، فيقول ان هذا الرجل المجهول فقد الثقة فى دين الاسلام ، لانه عبث أو تعابث بوحيه ، ولم يجد من يرده عن هذا العبث اللعين ، فتنصر الرجل وخرج الى الناس بنصرانيته يقول لهم : ان محمدا استكتبنى وحيه فكنت أكتب ما شئت عنده ، ولم ينكر على شيئا من ذلك على طول ما مكثت عنده فى ظل دينه أكتب له غير ما يملى على واتعابث به وبوحيه .

ولكن يظهر أن واضع هذه القصة كان حصيفا حصافة بلهاء تغلب عليه الغفلة البليدة ، فقد اكتشف أخيرا أن ذلك شىء لا يصح أن يمضى هكذا دون أن تكون له خاتمة مدهشة فى غرابتها فاخترع هذه الخاتمة : قال فمات ــ أى الرجل المجهول ــ فدفن فلفظته الارض ثم دفن فلفظته الارض ــ ثم خاف واضع هذه القصة التافهة أن أبسط العقول تأبى تصديق هذا الزعم السخيف فأراد أن يجعل من شهادة الحس مصدقا لها ــ فذكر ابن أبى داود أن أبا طلحة قال : فأنا رأيته منبوذا على وجه الارض ــ ولكن ابن أبى داود لم يذكر لقرائه عمن وصل اليه خبر أبى طلحة ؟ كما لم يذكر ، هل دفن الرجل بعد ذلك وقبلته الارض فى بطنها ؟ أو ظل منبوذا على ظهرها ؟ وهل بقى سليما معافى فى جسده كما نجى الله فرعون ببدنه ليكون لمن خلفه آية ؟ أو تخطفته السباع الجائعة ؟

هذا عبث ما كان ينبغى أن يدون فى كتاب ، بله كتابا فى المصاحف ، وحديثا عن الوحى ولكن ابن أبى داود مؤلف كتاب « المصاحف » يبدو أنه لا يبالى بشىء أمام تكثره فى الروايات واغرابه ، ولو كانت تلك الروايات تهدم أصول النبوة ، وتنقض دعائم الرسالة ، وتقدم لاعداء الاسلام أفتك الاسلحة للتقول عليه والصد عنه ، والرجل أمام حبه للاغراب فى الروايات يخلط بين روايات من هنا وروايات من هناك ، فيعمد الى رواية جاءت على ألسنة قصاص السيرة برواية جاءت على ألسنة بعض المفسرين فى معان مختلفة ، وأشخاص متعددة ، وأزمان متباعدة ويجعل منها قصة واحدة فى رواية واحدة ، وهو هنا يجىء بقصة ذكرها الطبرى وغيره من المفسرين عن رجل يدعى « محلم بن جثامة » بعثه النبى صلى الله عليه وسلم — كما تقول الرواية — مبعثا ، فلقيهم عامر بن الاضبط ، فحياهم بتحية الاسلام ، وكانت بينهم احنة فى الجاهلية ، فرماه (محلم) بسهم فقتله ، فجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء (محلم) فى بردين ، فجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم (لا غفر الله لك) فقام (محلم) وهو يتلقى دموعه ببرديه ، فما مضت ساعة حتى مات ودفنوه فلفظته الارض ، ثم دفنوه فلفظته الارض ، فجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكروا له ذلك فقال صلى الله عليه وسلم (ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ، ولكن الله جل وعز أراد أن يعظكم) ثم طرحوه بين صدفى جبل وألقوا عليه الحجارة .

فهذه قصة الرجل الذى تقول الرواية ان الارض لفظته بعد دفنه فيها ، وليس فى رواية من رواياتها رائحة تصلها بكتابة الوحى ، والتقول على الله فى كتابه ما لم يقله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى عبث خبيث .

ومن الانصاف لابن أبى داود أن يذكر له أن موضوع قصة رجل كان قد كتب من الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأملى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات فى أطوار خلق الانسان حتى انتهى الى آخر طور منها فى ابداع الله له نطق بالفاظ أربعة فى جملة تثنى على الله بما هو أهله ، وهذه القصة مذكورة فى السيرة ، وفى بعض كتب التفسير ، وهى قصة تسند فى بعض رواياتها الى عبد الله بن أبى سرح العامرى ، أسلم واستكتبه النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتد ولحق بالمشركين (ولم ينتصر) وكان سبب ردته — فيما قيل انه لما نزلت آية (المؤمنون) التى يذكر فيها أطوار خلق الانسان (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) دعاه النبى صلى الله عليه وسلم فأملاها عليه ، فلما انتهى الى قوله (ثم أنشأناه خلقا آخر) عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال (تبارك الله أحسن الخالقين) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هكذا أنزلت على) فشك عبد الله حينئذ ، وقال : لئن كان محمد صادقا لقد أوحى الى كما أوحى اليه ، ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ، فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ، وأنزل الله تعالى فى شأنه — كما يقول بعض المفسرين — وشأن أمثاله ممن يتشبث ببعض ما يسوق اليه معنى الكلام وجوه العام والخاص من كلمات يختم بها سياق قصة عجيبة فى بيان عظمة الله وابداعه والثناء عليه (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء ومن قال سأنزل مثل ما أنزله الله) وليس

فى روايات قصة ابن أبى سرح أو قصة كاتب وحى خيط عنكبوت يصلها من قريب أو بعيد بقصة رجل لفظته الارض بعد دفنه فيها .

والحذاق من النقدة المهرة قد زيفوا الرواية التى تسند هذه القصة التى ورد فيها تكلم من سمع خلق الانسان وأطوار أبداعه بما ختمت به آيات ذلك الخلق الى عبد الله بن أبى سرح ، لانها تتكىء على الكلبى فى سندها ، والكلبى زائف عند أئمة الجرح والتعديل ، والرواية الصحيحة تسند الموافقة فى انزال قوله تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين) الى المحدث صاحب الموافقات القرآنية الثابتة فى أكثر من موضع الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ففى مسند الطيالسى عن عمر رضى الله عنه قال : لما نزلت (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) قلت أنا : فتبارك الله أحسن الخالقين ، فنزلت : (فتبارك الله أحسن الخالقين) .

وأخرج ابن أبى حاتم من طريق جابر الجعفى ، عن عامر الشعبى عن زيد ابن ثابت أن الذى قال (فتبارك الله أحسن الخالقين) أثر سماعه لآيات خلق الانسان وابداعه فى أطوار مختلفة انما هو (معاذ بن جبل) وقد زيف هذه الرواية ابن كثير فى تفسيره ونقدها نقدا فنيا فقال : قال زيد بن ثابت : أملى على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين — الى قوله — خلقا آخر) فقال معاذ بن جبل : (فتبارك الله أحسن الخالقين) فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له معاذ : مم تضحك يا رسول الله ؟ فقال (بها ختمت . فتبارك الله أحسن الخالقين) قال ابن كثير : وفى اسناده جابر الجعفى ضعيف جدا ، وفى خبره هذا نكارة شديدة ، وذلك أن هذه السورة مكية ، وزيد بن ثابت انما كتب الوحى بالمدينة ، وكذلك اسلام معاذ بن جبل انما كان بالمدينة أيضا ، فالله أعلم .

وفى روايتى عمر ومعاذ لم يذكر الرواة أنهما أو أحدهما شك فى صدق الوحى وزعم أنه قال قرآنا قبل انزاله ، لانه معلوم بداهة أن أربعة الفاظ تؤلف جملة تختم بها آية سيقت فى بيان أمر عجيب فى ابداع الله وخلقه ، يسوق اليها روح الكلام وسياقه لا تبلغ أن تكون انزالا بمثل ما أنزل الله مما يوجب الشك والارتياب فى الوحى وصحة النبوة ، ولهذا لم يقع التحدى بمثل هذا القدر ، وانما وقع بسورة ، وأقصر سور القرآن ثلاث آيات ، وبهذا القدر وقع التحدى فى بيان اعجاز القرآن .

والذين يسندون ردة ابن أبى سرح وشكه الى آية خلق الانسان من سورة (المؤمنون) — على ضعفهم وتهافت رواياتهم لا يعرجون فى شأنه على هذا الخلط والخبط الذى جاء به ابن أبى داود فى غرائبه المنكرة ، وهم — بعد ذلك — محجوجون بالرواية الصحيحة التى تسند الامر فى الموافقة الى عمر ابن الخطاب ، وهو باجماع الامة صاحب موافقات قرآنية بأكثر من هذه الجملة ، وتبقى قصة ردة ابن أبى سرح المرتبطة — فى رواية الضعفاء — بآية خلق الانسان هى مخرج قصة ابن أبى داود التى ذكرها تحت عنوان (من كتب الوحى لرسول الله) وذكر فيها كاتب الوحى المجهول الذى لفظته الارض بعدما دفن

فيها ، بما زاد فيها من التهافت من نبذ الارض وتنصر الكاتب المجهول ، لا يقبلها الا من رمى بعقله وقلبه وايمانه فى أحشاش الكنائس المهجورة .

ويسوق الطبرى قصة عبد الله بن أبى سرح فى شكه وردته مساقا يقربها من قصة الرجل المجهول الذى كتب من الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبث ما شاء له العبث فى سياق ابن أبى داود فى جملتها ، وذلك فى روايتين، احداهما عن عكرمة مولى ابن عباس ، والاخرى عن السدى ، فأما التى عن عكرمة فقوله (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، أخى بنى عامر بن لؤى ، كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان فيما يملى (عزيز حكيم) فيكتب (غفور رحيم) فيغيره ثم يقرأ عليه (كذا وكذا) لما حول ، فيقول (نعم سواء) فرجع عن الاسلام ، ولحق بقريش .

وأما التى عن السدى فقوله (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء) الى قوله : (تجزون عذاب الهون) قال : نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، أسلم وكان يكتب للنبى صلى اللـه عليه وسلم ، فكان اذا أملى عليه (سميعا عليما) كتب هو (عليما حكيما) واذا قال (عليما حكيما) كتب (سميعا عليما) فشك وكفر ، وقال : ان كان محمد يوحى اليه ، فقد أوحى الى ، وان كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله . وليس فى واحدة من الروايتين ما خلط به ابن أبى داود من قصة الرجل المجهول الذى لفظته الارض بعد دفنه .

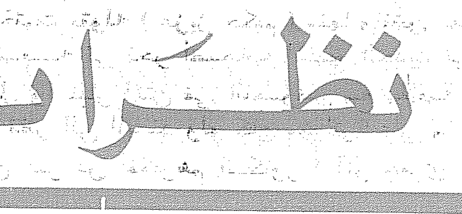
وقد ذكر الطبرى فى مقدمة تفسيره رواية عن سعيد بن المسيب موقوفة عليه فى قوله تعالى (انما يعلمه بشر) شبيهة بعض الشىء بروايـة ابن أبى داود عن رجله المجهول الذى كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن المسيب : ان الذى قال : (انما يعلمه بشر) هو كاتب الوحى الذى افتتن (من هو ؟) وانما افتتن أنه كان يكتب الوحى ، فكان يملى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (سميع عليم) أو (عزيز حكيم) أو غير ذلك من خواتم الآى ، ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحى ، فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول (أعزيز حكيم) أو سميـع عليـم) أو (عزيز عليم) ؟ فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم (أى ذلك كتبت فهو كذلك) ففتنه ذلك ، فقال : ان محمدا وكل ذلك الى فأكتب ما شئت . وهـذه رواية لا تقوم على ساق ، ويجب ردها وعدم قبولها لانها تسند الى النبى صلى الله عليه وسلم أمرا عظيما خطره ، وذلك فى قول الرواية على لسان النبى صلى الله عليه وسلم (أى ذلك كتبت فهو كذلك) والمتأمل فى هذه الكلمـة يراهـا متهافتة تهافتا يجب أن ينزه عنه مقام الوحى والنبوة ، والا فكيف يكون (عزيز حكيم) فى معناه وحقيقة وصفه الالهى هو عين (سميع عليم) فى معناه وحقيقة وصفه الالهى ، والبداهة العقلية حاكمة باختلاف معانى وحقائق النعوت الالهية .

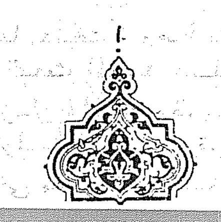
هذا . وقد ذكر السيد رشيد رضا فى تفسيره المنار روايتى الطبرى عن عكرمة والسدى ، وعلق عليهما ناقدا فقال : وهاتان الروايتان باطلتان ، فانه ليس فى شىء من السور المكية (سميعا عليما) ولا (عليما حكيما) ولا (عزيزا حكيما) الا فى سورة لقمان ، والمروى عن ابن عباس أنها نزلت بعد الانعـام ،

وأن الآية التى ختمت بقوله (عزيز حكيم) منها وثنتين بعدها مدنيات ، وهذا نقد فنى محكم ، نضعه فى نحر أصحاب المنهج الجديد فى البحث المعتمد على التنقيب والتحليل واعتبار المتن فى النصوص مع ملاءمة الزمان والمكان وظروف الاحوال ، دون نظر الى السند ولو كان متواترا على ما يقوله المستشرقون وتلاميذهم الذين عبر عن أفكارهم الدكتور (آثر جفرى) فى مقدمته لكتاب « المصاحف » .

معذرة ؟؟ لقد أطلت الوقوف مع ابن أبى داود فى أول باب من أبواب كتابه (المصاحف) بل أول صفحة من صفحات أول طبعة أخرجها الدكتور (آثر جفرى) لهذا الكتاب ، ومرة أخرى معذرة ؟؟ لانى مع اطالة هذه الوقفة لم استوف ما فى هذا الباب من مآخذ ، لان ابن أبى داود وضع لهذا الباب عنوانا ضخما ، وكان يتوقع منه أن يتحدث عن كتاب الوحى ، يستقصيهم ، ويذكر تراجمهم وأسانيدهم الصحيحة ، وما تميز به كل واحد منهم ، وما اختص به من الموضوعات ، فمنهم من كان كاتب وحى القرآن ، ومنهم من كان كاتب رسائل الملوك والرؤساء ، ومنهم من كان يكتب المعاهدات ووثائق الصلح ، وهم عدد غير قليل ، فقد بلغ بهم بعض المؤلفين فى السيرة الى أكثر من ثلاثين رجلا ، فيهم الخلفاء الراشدون ، روى الطبرى فى فضائل عثمان بن عفان رضى الله عنه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسند ظهره الى وان جبريل ليوحى اليه القرآن ، وانه ليقول (اكتب يا عثيم) وروى البيهقى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس ، جلس أبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره ، وعثمان بين يديه ، — وكان كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لكن ابن أبى داود اكتفى بصفحة واحدة سود بها بياض هذا الباب ، وأعطى لزيد بن ثابت ، وهو الفحل لا يجدع أنفه — نصفها ، ولكاتبه المجهول الذى لفظته الارض بعد دفنه نصفها الآخر ، فكانت قسمة هذه الصفحة بين الرجلين ، أخص الناس بكتابة الوحى فى جميع موضوعاته ، وألزمهم لذلك ، وقد أثبت ابن أبى داود فى نصف هذه الصفحة أن زيدا كان جارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان اذا نزل الوحى أرسل اليه فكتب الوحى ، وهو جامع مصحف الأمامين الصديق وذى النورين ، وبين رجل مجهول ، يقول عنه ابن أبى داود انه ارتد وتنصر ، ومات فلم تقبله الارض فى بطنها ، وانها لتقبل شر جيفة لأخس حيوان مشى عليها — كانت هذه القسمة كقسمة مسيلمة الكذاب الارض بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه نصفين ، ونحن اقتداء بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رده على مسيلمة قسمته بقوله (ان الله يورثها من يشاء من عباده) نقول : ان التاريخ وقضايا العلم الاسلامى بيد الله ، يلقيها على لسان وقلم من يشاء من عباده ، وحسب زيد بن ثابت شهادة الشيخين : الصديق والفاروق رضى الله عنهما فى حديث البخارى فى قولهما لزيد : (انك شاب عاقل ، لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم) .







نظرات في الأدب والعربية والقرآن

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

المدرس بجامعة دمشق

بين هـذه العناصر الثلاثة تفاعل مستمر ، ما فى ذلك شك .

فعمق الدراسة فى العربية ، يورث اهتماما أكثر بالأدب العربى ومقوماته ، وكل منهما يحمل صاحبه على مزيد من الاهتمام بالقرآن والتقدير له والاستفادة منه ، ويستتبع ذلك الاطلاع على مزيد من دلائل روعته واعجازه وتذوق قدر أكبر من فنونه الجمالية المختلفة .

فاذا شغف الرجل بالقرآن هذا الشغف ، رده شغفه الى مزيد من البحث فى العربية وآدابها ، يتلمس قيمها ويستظهر فنونها ، بما كان قد أورثه القرآن اياه من الذوق البيانى الرفيع .. ولا يزال هذا الباحث يستجلى فى خصائص أحد هذين العنصرين مزيدا من خصائص العنصر الآخر ، حتى يسمو به النظر الى ذلك الشأو الباسق البعيد الذى يمضى فيه مظاهر البيان القرآنى واعجازه الى غير نهاية ، وعندها ينقلب النظر خاسئا وهو حسير ، ليقف عند الحد الذى وقفت عنده قدرات البشر وامكانه ، وقد أيقن ان هذا البيان الخارق ما ينبغى أن يكون الا من كلام خالق البيان ...

والضعف فى العربية وعلومها ، يورث مثل ذلك فى الأدب ومباحثه ، والضعف فى كل منهما يحمل صاحبه على مزيد من التبرم والجهل بالقرآن ، اذ كان مفتاح القرآن تذوقا وفهما انما هو العربية وآدابها .

ويستتبع ذلك غموض ما يتسم به القرآن من روعة واعجاز، فلا يفهم منه هذا الرجل البعيد عن العربية وآدابها الا أنه كلام كسائر الكلام، ولا يلمس فى صوغه وبيانه أى دلالة تكشف عن أنه من كلام خالق البشر وليس من كلام أحد سواه..

ليس فى هذه الحقيقة أى خفاء، ولا أظن أن أحدا من الباحثين يتمارى فيها..

ومع ذلك فانها لا تحظى لدينا بأى اهتمام، وانما هى تحظى (وهذا أمر مؤسف للغاية) باهتمام دعاة (التغريب) الذين يمارسون عداوة أصيلة للقرآن، ومن ثم يمارسون معاداة لغته وآدابه.

أما عداوتهم للقرآن، فلست بحاجة الى تأكيدها واعادة الحديث عن أدلتها، ولا أظن ان أحدا من عامة المثقفين يطالبنى بأى برهان عليها، والذين يعلمون خبر هذه العداوة يعلمون سرها واسبابها.

وأما معاداتهم للغة العربية وآدابها، فربما اتخذت سبيلا خفيا لا يدركه من لم يستبطن الامور ويتجاوز عناوينها وشعاراتها المكشوفة.

ولعل من الخير ان نكشف عن هذه السبيل، وان كانت فى حقيقتها سبيلا مكشوفة لا تغيب عن أى باحث اسعفه الحظ بشىء من الوعى والفهم.

ان قطع الطريق الى القرآن وتبصر قيمه يتمثل فى الكيد لكل من الأدب العربى واللغة العربية ويتجسد هذا الكيد فى المظاهر التالية:

أولا — فى ميدان الأدب:

تعتمد خطوات هذا الكيد على غاية أساسية كبرى، هى تجريد الأدب العربى عن مضمونه الطبيعى المتفق مع طبيعة اللغة العربية، وحشوه بمضامين أخرى لا علاقة لها بشىء من العربية أو فلسفتها أو قيمها الجمالية المختلفة.

والأدب العربى فى حقيقته انما هو تأريخ الكلمة العربية وتقويمها، ثم السعى بها الى عرض جميع القيم الفكرية والانسانية المختلفة فى مراتبها.

والأدب بعبارة أخرى، انما هو شحذ اللسان العربى وتقويمه ثم التعبير به عن كل ما يشيع بين الناس من أفكار وعواطف ووجدان سواء أكان ذلك على سبيل النقد أم الوصف المجرد.

ويتمثل سبيل هذا التجريد فى الخطوات التالية:

أ — سلخ الأدب العربى من اطاره الاخلاقى. والاطار الاخلاقى لادبنا العربى حقيقة قائمة لا ينكر نسجه تاريخنا الحافل الطويل مع ما نسجه من القيم الادبية ذاتها، والحديث عن أحدهما يستلزم الحديث عن الآخر السلوكية مجتمعتا ضوابط وقيود آمن بالحديث عن فكرة، وللافكار والقيم السلوكية فى مجتمعنا ضوابط وقيود آمن بها المجتمع ايمانا راسخا لا تبعية فيه ولا تقليد، فلا بد أن يكون لسان الأدب ترسيخا لهذه الضوابط وتأكيدا لأهميتها.

وسبيل سلخ الأدب من هذا الاطار هو ترويج الدعوة الى ما يسمى بالأدب للادب وهى دعوة غربية تقوم على دافع الانطلاق

من كل ضابط وحد وقيد ، وهى تريد ان تستعين بالأدب تزويقا لها وتحبيبا بها وتهوينا من أمر الهمجيــة التــى تترءى فى تضاعيفها .

وليس أرباب هذه الدعــوة ، فى احقيقتــه من الأدب فى شىء وليس لهم فيه لذاته أى مقصد أو أرب ، فهم ادا ابعد ما يكونون عن مــذهب : (الأدب للادب) وهم الصق ما يكونون بعكس هذا المذهب تماما ، اذ انهم يطلبون الأدب ترويجا لدعوة أخرى لا بد لها من طلاء يستر من سوئهــا ويحبب الناس بها .

على ان مذهب الأدب للادب مذهب وهمى لا حقيقة له ، فالأدب فى واقعه لا بد ان يكــون فى خدمة أى شىء اخر ، اذ هو لسان ينطق فى تحبيب ورشاقة ولا بد لهذا اللسـان أن يختار موضوعا يتكلم عنه موجها أو ناقدا ، وهذا الموضوع لا بد أن يكون مما له أهمية وأثر فى المجتمع وتقويم علاقات الناس بعضهم ببعض ، وهو شىء يقوم على معايير وأسس مضبوطة معينة مهما كــان نــوع ذلــك المجتمــع وطابعه .

ب ــ سلخه عن القيم اللغويــة ودراساتها والتوسع فى ابحاثهــا ، مع العلم بان ذلــك يعتبر سلخا لــه عن أهم مقومات وجوده ، ومهما كان الأدب عند غير العرب من الغــربيين وأمثالهم بعيدا عن التأثير والاثر فى القيم الجمالية للغاتهم ، فانه عندنــا لشديد الاثر والتأثر باللغــة العربية وليس له أى جوهر ولاقيمة بعــد قطع هذه الصلــة بها أو توهينها . ان لغتنا العربية هى اللغة الوحيدة التى تمتاز باتساع عظيم فى متنهــا وافتتان عجيب فى أساليبها الدلالية انها اللغة الوحيدة التى تستطيع أن تسخر ثلاث كلمات منها لثلاثة معان مختلفة حسب تأليفك لتلــك الكلمات مع بعضها وترتيبها فى النسق ، ومن ثم فقد كان ثلاثة ارباع الجهد الأدبى فى هذه اللغــة منصرفا بطبعه الى كنه هذه الاساليب ودراسة ذلــك البحر الزاخر من الكلمات وفقهها .

أما اللغات الاخرى فان ضمورها من هذه الناحية على تفاوت بينهــا فى مقدار هذا الضمور ــ جعل ادابها بطبيعة الامر تنصرف الى العنايــة بناحية أخرى وهى الموضوع ولقد كان ان تولدت عن العناية المستمرة بتلك الناحية ، مذاهبهم وابتداعاتهم فيها من واقعية وخيالية ورمزى ومكشوف وغير ذلك .

ولقد كان من نتيجة هذا السلخ البطىء الذى يمكننا أن نقول عنه انه كاد أن يتم بنجاح ودون أى ضجيج ان الالفاظ العربية أصبحت على السنــة كثيــر من الادباء مســـخرة لمعان واصطلاحات أوربية ليس لهــا أى ارتباط بجوهر الأدب العربى فى أى عصر من تاريخــه .

ومن تتمة الخزى المخجل انك ترى الاديب فى كثير من الاحيان غائصــا الى قمة رأسه فى تحليل تلــك الاصطلاحات والمذاهب الغربية فى نشوة وطرب ، بينما العفونة اللغوية الظاهرة تتصاعــد من المادة الأدبية التى يتناول بها نقده وتحليله .

بل الأدب العربى عند كثير من أهله اليوم ليس الا تراجم للأدب الغربى يساق الى العربية كما هو ، أو يقتبس منه الهيكل الكامل ويرمم بعد ذلــك بكسوة ممزقــة من الافكار الأخرى .

ويعلم كل باحث لـه نصيب من الوعى ، ان أدب كل أمة انما هو المرآه التى تنعكس اليها ثقافتها وطبيعتها ، الفكريه والاجتماعيه ، لكل أمة من ذلك مالا تجده عند الامم الاخرى ، والفرق بين الثقافة والعلم ان الثقافة هى مجموعة الافكار التى نسجتها طبيعة البيئة المعينة ، اما العلم فهو الحقيقه الذاتية للأشياء من حيث هى اينما وجدت .

ولذلك فقد كان العلم هو وحده الغاذي القابلة للتصدير والاستيراد والاقتباس .

اما الثقافة فلا معنى لاقتباسها أو استيرادها كما هى ، الا استيراد الاستعمار والاستعباد الفكرى والاجتماعى بابشع أشكالها ، وعندما تعمد أمة من الامم الى أدبها فتفرغه من محتواه الذى انعكس اليه من واقعها وتاريخها ثم تتخذ منه كيسا تملأ به ثقافات الامم الأخرى وأفكارها ، فانها بذلك لا تمد عنقها ذليلة الى طوق الاستعباد الفكرى فقط بل هى تقضى بالاعدام على نفسها بمقصلة الاستعمار ...

جـ ـــ القفز به الى خارج الدائرة العربية التى هى قاعدة الأدب العربى وروحه عن طريق الدعوة الى ما يسمى (بالادب العالمى) ، وكلمة الادب العالمى قبة كبرى قائمة على سحابة من الوهم الكثيف ، وليس من وراء هذه السحابة الا حقيقة واحدة مخبوءة قلما تظهر ، الا وهى الترويج لشخصيات غربية معينة ، اقحاما لما عرفوا به من أفكار واتجاهات واعتقادات فى مجتمعنا وفرضه على واقعنا من أيسر طريق .

لا معنى للادب العالمى ، مادام الادب كما قلنا ، ليس الا مرآة صقيلة تنعكس اليها أفكار أمة معينة من الناس ، ومهما كان لاقطاب الادب العالمى من شهرة عالمية طبقت الافاق فان ذلك لا يعنى أن أفكارهم الادبية غدت بذلك أفكارا عالمية ، لست أقصد بهذا ان الادب العربى ينبغى ان يعيش فى عزلة لا يحس فيها مما يجرى حوله ولكنى اقصد ان الادب الغربى وغيره ، فى أى مظهر من مظاهره ، ما ينبغى ان يفرض نفسه على الاخرين بامتياز (العالمية) وليس له الى أدب اى أمه من سبيل تحت هذا الشعار الوهمى الكبير .

انما هو فكر أدبى كغيره ينبغى أن يخضع للبحث والنقد ثم هو قد يكون بعد ذلك مجال استفادة أو محل تحذير .

د ـــ فصله وابعاده عن الشعر العربى الرصين ، وسبيل ذلك عندهم اقامة حواجز اصطناعية بينها من الكلام المسمى بالشعر الحر .. أو الشعر الحديث .. أو الشعر المنثور ..

وللشعر العربى الرصين أهمية كبرى فى دعم كل من الادب واللغة ذلك أنه اشهى ثمار كل منها وابقاها على مر الزمان وانما قيمة الشجرة ومدى أهميتها عندما تذوق من ثمارها وتجد لذة مذاقها ، وللشعر الرصين اثر كبير فى الافئدة والنفوس ، ذلك أعظم داع الى محبة اللغة العربية وادبها والى اقتحام السبل المختلفة لدراستها ، واتقانها والمحافظة عليها والدفاع عنها .

وليس أدل على ذلك من ان الحملة التى قادها كل من سبيتا وويكلكس وكارل فورلروس ومجلة المقتطف ، على اللغة العربية الفصحى ما بين عام ١٨٨٠ وعام ١٨٩٠ داعين الى

استبدال العامية المصرية بها ، قام لها سوق كبير فى مصر وظهرت لها اصداء هنا وهناك ، ولكنها انما اختفت رغم ذلك كله بسبب ظهور شعراء فطاحل من أمثال اسماعيل صبرى ومحمود سامى البارودى ثم أحمد شوقى وحافظ ابراهيم فقد كان لشعر هؤلاء أبعد الاثر فى اذكاء محبة الفصحى فى الصدور والتعلق بها من جديد ونبذ كل دعوة تعارضها مهما كانت الحيلة والاسباب ، علم هذا كله من لا يريد خيرا باللغة العربية وكتابها العظيم ... فاتخذوا السبيل الى ابعاد منبر الشعر عن المجتمع العربى والى كسر عموده ، وتحطيم موازينه وتفعيلاته .. ولكن ذلك لا يتحقق الا باتباع طريقة التعويض أى بالاسراع الى وضع منبر اخر يخلف منبر الشعر العربى السليم ويملأ مكانه فلا يشعر المجتمع بأى فراغ فكان التعويض عن ذلك كله بما يسمى الشعر الحديث .

على ان لهذا الذى سموه بالشعر الحديث فائدة أخرى عندهم فهو وحده الذى يستطيع أن يقوم بعمليات الاجهاض لدى كل من تعتلج بين جنبيه روح شاعرية قد توجد منه شاعرا مثل شوقى .

ان الزمن لا يمكن أن يصبح عقيما بحال ، ولا يعقل أن تكون العبقرية وقفا على دفعات معينة من القرون فكل زمن ينطوى على عظماء فى الفكر والادب والعلوم ، وكل جيل يحمل فى مجموعة من بذور العبقرية مالو اسعفه المجتمع بتعهده وعدم الاضرار به لفاض هذا المجتمع بالعباقرة العظام من كل صنف وفى كل ميدان واختصاص .

ولكن العوامل المختلفة الاخرى هى التى تسحق هذه البذور والقابليات فى مهدها ، فيعقم الزمن وما هو بعقيم وتركد عقلية الجيل باكمله ، وما ركدت عقليته وانما قتلت شخصيته .

ان احبولة (الشعر الحديث) واحد من هذه العوامل ، فهى تقف بالمرصاد لكل أديب ذواق يعتلج جنانه بالشعر ويسعى الى انشاده ، لتقول له دونك فهذا هو الشعر وليس وراءه من شعر يسمو عليه وليس لك من مطمع ان تتسلق عموده وتمتلك ناصيته من هناك فقد كسر عمود الشعر .... ومات ... مات موتا أبديا بموت أميره شوقى ... فينكص الرجل على عقبه ويقنع بما حمله المجتمع عليه من (الشعر الحديث) حيث يعكف على ، نثر كلمات متقطعة مدبجة بنقاط متلاحقة ، تطبع على ورق وردى ثمين بحروف وضاءة أنيقة ، واذا بها انقلبت شعرا بقدرة قادر حكيم ...

وتشيع فى المجتمع هذه الجمل المتقطعة ، وتحتل مكان الشعر الذى يهز الرؤوس ويأخذ بالالباب حتى اذا قامت من وراء ذلك دعوة الى نبذ الفصحى واهمالها لم تجد فى طريقها أى مقاومة ضارية كتلك التى انبعثت من شعر البارودى وشوقى واسماعيل صبرى ، أما الشعر الحديث فلسوف يتنحى للدعوة الهدامة عن الطريق ، ويحييها بانحناءة ذليلة وهى تجتازها الى نهاية الطريق .

تلك هى خطوات الكيد الذى يتمثل فى ميدان الادب .

ثانيا — فى ميدان (اللغة العربية)

ان الكيد الذى لقيته وتلقاه اللغة العربية على أيدى رسل (التغريب) ليس عجيبا فى حد ذاته فان له ما يسوغه فى نظر أهله ودعاته .

ولكن العجيب حقا أن ترى السبيل الى مقاومته فارغة ، والحركة اليه

مشلولة ، وأن تجدنا نبصر ظاهرة التدنى المطرد فى علاقتنا باللغة العربية وثقافتها ، ثم لا نحرك ساكنا، ولا نقلق أو نتعجب من شيء .

وأضعاف اللغة العربية فى ألسنة أهلها ، هو السلم الطبيعى الى القضاء عليها وعلى قواعدها ومقوماتها بحجة صعوبتها ونفارها من النطق المسترسل ، والتواء قواعدها على اللسان ، فلئن لم يسبق هذه الدعوى عكوف على أضعافها بشتى الوسائل والأساليب فان أحدا لن يصدق ما يقال عن ضعفها لأنها فى الحقيقة ليست كذلك .

ويتخذ السير الى اضعافها وتعقيد السبيل اليها المراحل التالية :

أ ـ تحوير مناهجها الدراسية على نحو يضمن اقامة العقبات المختلفة بينها وبين الناشئة وهو تحوير يستهدففى مجموعه تبديد (الموضوع) واهماله عن طريق البسط والتوسع (فى الشكل) ويستند هذا التحوير الى نظريات تربوية ظاهرها فيه الفائدة وباطنها من قبلها المحق والكيد .

على أن المشكلة الكبرى التى تواجه الطالب فى أولى مراحله الدراسية للغة العربية انما تتمثل فى عجزه عن دفع ما استحكم من سلطان العامية على لسانه ، وهذه المناهج التى يؤخذ بها فى دراسته للعربية أقل شأنا وقيمة من أن تزحزح شيئا من قوة هذا السلطان .

من أجل ذلك لا تجد لهذه المناهج أى ثمرة ذات جدوى مهما أحيطت بمزيد من الساعات الدراسية ، أو بمزيد من الدرجات المشروطة فى الامتحان .. يخوض الطالب غمار هذه المناهج ويجتازها وان لسانه لا يزال يلتوى ويترطن ، وفكره لم يتبين من فقه العربية الا غواشى مختلطة فى بعضها لم يخلص منها الى شيء ولم يقطف منها ثمرة أى تطبيق .

وقد علم الباحثون أن لا سبيل لتخليص لسان الطفل ـ فى مقتبل دراسته للعربية ـ من العامية وعوجها الا أن يؤخذ بتلاوة القرآن تلاوة سليمة ويتمرس عليها . فبذلك ينشأ الطفل وان جرس الجزالة العربية ليطن فى أذنه ، ووقع التقطيع العربى الموزون مندمج فى نفسه مهما كان سلطان العامية مسيطرا عليه فى حياته العامة بين أقرانه وأهله ، وبقدر ما يتوفق الطفل فى هذه السن الى الاكثار من تلاوة القرآن وترتيله يكون انطباع الجزالة العربية فى نفسه أتم وأمكن ، وبقدر ما يخونه التوفيق فى ذلك يكون عوج العامية ولكنتها ألصق به وأمكن .

وليس يضير بالطالب ـ لكى تتحقق لديه هذه الظاهرة ـ أن تكون تلاوته للقرآن واتقانه لترتيله فى هذه المرحلة مجرد درج للألفاظ وسرد للآيات بدون فهم للمقاصد والمعانى ، بل ولا حاجة الى أن يكون الطالب قد درس فى تلك الفترة مع تلاوة القرآن معانيه أيضا ، ووقفه معلمه على شرح لغوياته وتحليل جمله .

ذلك لأن هذه الممارسة ليست عملية تربوية تتعلق بالنفس بمقدار كونها وظيفة لغوية تتعلق بتقويم اللسان ، ومن شأن التلاوة السطحية السليمة اذ يستمر عليها الطفل حينا من الزمن أن تخزن فى نفسه قوالب التعبير العربى الصحيح ، وتنسج فى خياله الصور الجمالية لألفاظه وتراكيبه ، فيصبح بعد ذلك سبيل هضمه للقواعد العربية وفقهها

وآدابها سهلا ميسورا اذ هو يتلقى كل ذلك وكأنه توضيح لما كان قد انطبع مبهما فى نفسه ، أو كأنه تربية واستثمار للنواة الصالحة التى كانت قد غرست فى ذوقه وانك لتجده سرعان ما يتذوق قواعد الاعراب ، ويسير فى طريق تطبيقها لأنها جاءت موافقة لما يستسيغه طبعه ، ولما درج عليه لسانه الذى لينه تكرار القرآن ، بل وانك لتجده سرعان ما يتذوق روح التراكيب ، ويستشعر الفوارق الدقيقة التى بين المترادفات لما كان قد مر عليه من أمثال هذه اللغويات وانطبع فى مخيلته من معانى كثير من التراكيب .

ثم انه كان من المأمول أن يتوفر فى منهاج التربية الدينية ما يجبر هذا النقص فى مناهج العربية ، ويصلح من شأنها اذ كان كل من هاتين المادتين دعما للأخرى ، ولكن الذين يستهدفون أضعاف اللغة العربية فى ألسنة أهلها لم يفتهم أن يقطعوا الروافد التى تسرى فيما بينهما وأن يطوروا من مناهج الدين أيضا حتى يصبح ضعف كل منهما دعما لضعف الأخرى .

ان مناهج الدين فى مدارسنا لا تكلف الطالب أنيقرأ خلال سنوات دراسته كلها سوى بضع نصوص أو سور يسيرة من القرآن ، وهو عندما يكلف بقراءتها لايحمل على تجويده لاعلى تقويم نطق وانما يدرسها كما يدرس قطعة من نصوص الأدب ، وياليتها تلقى من العناية ما تلقاه النصوص الأدبية المختارة .

وينتهى الشاب العربى المسلم من مرحلة الدراسة الثانوية ، وان صلته بالقرآن المبين اشبه ما تكون بصلة السائح الاجنبى ببلاد لم يرها ولم يسمع عنها يحتاج لكل خطوة فيها الى معرف ودليل .

ب — اقصاء مناهج قسم اللغة العربية فى المرحلة الجامعية عن معين العربية وجذورها الأصلية بقدر يضمن بقاء تلك العقبات المختلفة بين الناشئة واللغة العربية .

ووجه التنسيق بين هذا العامل الثانى والذى قبله هو ايجاد أكبر قدر من التوفيق بين كل من ضعف المناهج المرسومة وضعف المدرس المطبق لها .

فلن يغنى ضعف المناهج شيئا اذا كان القائمون بتدريسها أقوياء فى العربية متذوقين لآدابها وعلى صلة بينبوعها .

ولذلك تجد منهاج قسم اللغة العربية فى أكثر جامعاتنا العربية أمشاجا من دراسات لا صلة لها بجوهر هذا القسم ولبه ، فالأدب الحديث وأدب المهجر والفنون الجمالية وما الى ذلك هو الذى يؤلف مركز الثقل من عناية القسم .

أما قواعد العربية والأدب الجاهلى والاسلامى وفنون البلاغة فليست الا نثارا من دراسات ضائعة فى غمار تلك المقررات الأخرى ، فهى أقل من أن تعطى ملكة او تقوم لسانا أو تمنح صاحبها أى أصالة .

ومن أجل ذلك فقد كان طبيعيا أن تبصر خريج هذا القسم وان لسانه لا يفرق فى النطق بين كل من أداة التعريف القمرية والشمسية ، وأن تجده وهو يجاهد فى تلاوة آيتين من القرآن كما لو كان يجاهد فى حل خط أثرى وجد على جدار بناء يرجع فى تاريخه الى القرون الاولى .

فهؤلاء هم الذين يكلفون بعد ذلك بتدريس اللغة العربية لطلاب مرحلة الدراسة الثانوية وتلك هى المناهج التى توضع أمامهم لالتزامها والسير عليها مقدمتان من الضعف والالتواء والتعقيد لا بد أن تتولد

منهما نتيجة من الضعف المركب يتمثل فى الثقافة العربية لدى النشء العربى الجديد ..

حـ ـ ترويج اللهجات العامية واشاعة الدعوات المختلفة الى الدفع بها لمزاحمة الفصحى بل ولوضعها فى مكانها اذا وجد السبيل .

وتأتى هذه الخطوة بعد الخطوتين السابقتين بمثابة تكثيف وحصر للأصداء المنطلقة من وراء ظاهرة الضعف التى تحدثنا عنها .

فقد نجح التخطيط فى كلا مرحلتيه الاوليين ، واستشعر الناس ضعفهم فى العربية وبعدهم عنها وأحسوا بأن العامية أدنى اليهم وأحنى عليهم ، فأسرعت الخطوة الثالثة تستغل هذا الشعور وتكثفه وتحصره ، ثم راحت تقطره دعوة الى استبدال العامية بالفصحى ، والى احياء اللهجات العربية على صعيد الكتاب والمذياع والمكالمات الرسمية بعد أن كانت حياتها مقتصرة على الاسواق والحوانيت وفى ملاعب الاطفال .

وراحوا يسوغون ذلك بحجة أخرى من الطرافة والدجل بمكان فاللغة العربية الفصحى تتقاصر عن القدرة على التعبير عن حقيقة المشاعر ، وهى انما تقف منها عند سطح العموميات فقط ، أما اللهجات العامية فهى وحدها التى تغوص فى أعماق المشاعر ثم تستل صورها الدقيقة فى تعابير رائعة دقيقة .

اللهجات العامية التى هى حصيلة الاختزالات من أصولها العربية ، وحصيلة ما التصق بالألسن من الكلمات الاعجمية المختلفة والتعابير المشوهة ، هذه اللهجات هى التى تملك من الاشراق ما تنعكس اليها خلجات المتكلم وأحاسيسه بدقة وصفاء دون أن تملك اللغة العربية الفصحى ميزة أو اشراقا من هذا القبيل ... أى عاقل فى الناس ينطلى عليه هذا السخف أو يسمعه فلا يرى فيه أعجوبة الأكاذيب التى تأبى الا أن تقوم على قرون تناطح بها الحقيقة القائمة وجها لوجه .

ان الذى يبحث حقا عن اللغة التى تجسد الخلجات والمشاعر ، وتستل أعمق الأحاسيس التى فى النفس فتبسطها أمام فكر القارىء أو السامع فى أتم وضوح ، انما يجد غرضه فى لغة القرآن .. أجل لغة القرآن التى سمت باللغة العربية الى ذروة الاعجاز البيانى هى التى تملك هذه المقدرة دون أى لغة أخرى سواها .

وان دراسة يسيرة للكلمة القرآنية توضح لك كيف أن التعبير القرآنى يدل على المعنى المقصود بأدق الألفاظ التى تؤدى ذلك المعنى ، حتى اذا استنفدت اللغة طاقتها ، وتقاصرت عن تكميل الصورة الدقيقة فى ذهن القارىء أو السامع جاءت الصياغة مع الجرس والايقاع لتتمم ما عجزت اللغة عن تتميمه ولتصور أدق ما عجزت اللغة عن تصويره .

ان الذى يبحث حقا عن أدق وسائل التعبير انما يعكف على دراسة القرآن وتحليل نهجه فى التعبير والصياغة ، ولسوف يعود بعد ذلك بثروة كبرى الى هذه اللغة فى استعماله لها ، كما عاد بمثلها سائر علماء الأدب والبيان فى العصور المختلفة ، ولا يبحث عن ذلك بين ألسنة السوقة وعوام الناس ، التى لم تقم فى طبيعتها وأسباب انتشارها الا على أساس من ضرورة التفاهم بين أناس لا شأن لهم بأكثر من التفاهم حول المعانى والمشاعر العامة التى يعتمدون عليها فى معاملاتهم وأسباب عيشهم ، فمن أين تأتيها أسباب الروعة البيانية ،

ومقومات الرقة والدقة فى الأحاسيس والمشاعر ، وذلك هو المحيط الذى نشأت وترعرعت فيه ؟

ولقد عمد لبنانى معروف فى تبشيره بالعامية ، وحقده على الفصحى وينبوعها ، عمد الى مقاطع من الكلام العامى اللبنانى يعرضه على الناس زاعما أن فيها من الرواء والعذوبة ودقة الدلالة والتعبير مالا يتوفر مثله فى الفصحى ، وأشهد أنى ما وقفت على أسمج ولا أسخف ولا أثقل من تلك المقاطع ، وليس الذى حببها اليه ما فيها من رواء مزعوم ، وانما هو ما خيل اليه من أنها وأشباهها قد تصلح ان تكون سلاحا يقضى به على الفصحى وآدابها ، وأنت قد تجد انسانا ينحنى على كلبه القذر بالضم والتقبيل لمجرد أنه قد أنس منه أن سيأتيه بصيد ثمين .

ومن أجلى عبر الزمن أن الذين أثاروا الحرب على العربية الفصحى وأعلنوا عن غرامهم المدنف بالعامية قديما أو حديثا فى القاهرة أو فى لبنان أو فى أى صقع عربى آخر — انما هم فلول من الأجانب الذين ليسوا من هذه اللغة ومصدرها وآدابها فى شىء ، بدءاً من وليم سبيتا الى كارل فولرس الى ويلككس الى عقل ، وأشباهه ، اذا فهى دعوة أجنبية حاقدة ، تتسلل الينا فى حطة وخبث أصبح يعلم هذا أصغر طالب فى صف الكفاءة فى أى بلد من البلاد العربية .

ولكن ما الذى تهدف اليه هذه الدعوة الغربية الاجنبية الحاقدة ؟ أهى حقا لا تبغى سوى استبدال العامية بالفصحى ولا شأن لها بأى أمر من وراء ذلك ؟

ان أى متأمل فى الأمر يعلم أن الغرض الأول والاخير من هذه الدعوة انما هو حشد العقبات الكبرى بين العرب وقرآنهم الذى لا يزالون ينتمون بنسب ما اليه ، وهو نسب يظل يخيفهم على ضعفه وضآلته ، فمن المحتمل أن يقوى هذا النسب بينهم وبينه من جديد لسبب ما على حين غرة ..

وليس من ضمانة لقطع هذا النسب واقامة الحواجز والعقبات الحصينة الا تقويض ما بين العرب والقرآن من ترجمان اللغة والبيان على غرار ما تم فى كثير من البلدان ولدى كثير من الأسر والافراد . واذا كان هذا هو الغرض فما هو وظيفة أولى الأمر فى البلاد العربية ، وما الذى يترتب على الادارة الثقافية للجامعة العربية ؟

اننا لم نسمع بعد أى جواب على هذا السؤال ، ولكن مناهج التربية فى معظم البلاد العربية تتولى اجابة مؤسفة لا يشرف الآذان أن تسمعها ولا أن تصغى اليها .

وهيهات أن يغنى عن واجب وزارات التربية أى غناء ما يذاع على العالم العربى من المصحف المرتل أو ينشر فيه من نسخه الجميلة الأنيقة على ما فى ذلك من فائدة لا تنكر فى جانب آخر غير الذى نتحدث عنه .

انما الذى يجب عليها فى هذا الصدد هو أن تقيم مناهج اللغة العربية على محور القرآن ، وأن تجعل من دعم مناهج التربية الدينية أهم مقوم لمناهج العربية وأسباب نجاحها .

أما ما ينبغى أن يتوفر من ذلك فى مناهج الجامعات لا سيما فى قسم اللغة العربية من كليات الآداب فللحديث عن ذلك مناسبة أخرى ، ولعل فى هذا الهمس واللمح ما يغنى عن البحث والشرح .

الاسلام أولا

للدكتور ..
محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

نزل الاسلام شريعة عامة خالدة ، تجدد الحياة ، وتصحح العقيدة ، وتعيد الأمن والسلام للانسانية ، وتؤثل للحضارة مجدا باذخا ، وللتطور البشرى منزلة سامقة .

وذاع الاسلام فى كل مكان ، وانتشر فى كل صقع ، واعتنقته الملايين المحرومة المضطهدة المعذبة فى الأرض ، وآمنت به الشعوب من كل قارات الدنيا المعروفة آنذاك ، وانتصر فى مواجهته الكبرى للامبراطوريتين العالميتين الكبيرتين : الامبراطورية الفارسية ، والامبراطورية الرومانية الشرقية ، وكان انتصاره حينئذ كاملا ، وعملا رائعا ، لم يشهد التاريخ البشرى له مثيلا .. وخرج هرقل الامبراطور الرومانى العظيم من الشام باكيا حزينا بعد هزيمة جيوشه الكثيفة فى معركتها الكبيرة مع جيوش المسلمين حول دمشق فى العام الرابع عشر من الهجرة — ٦٣٦م ، وهو يودع أرض سورية ويقول : — سلام عليك يا سورية ، سلاما لا لقاء بعده ، وزالت سيادة بيزنطة على الشام الى الأبد .

وامتد الاسلام فبلغ حدود الصين شرقا ، وشواطىء المحيط الاطلسى غربا ، وجنوب أوروبا شمالا ، وأواسط أفريقيا جنوبا فى زمن يسير .. مما يعد معجزة فى تاريخ الأمم والانتصارات .

وفتح العرب اسبانيا عام ٩٢ هـ : ٧١١ م ، وبسط خلفاء بنى أمية نفوذهم وسلطانهم عليها .. وتوغلوا فيها شمالا حتى غزا فرنسا الحر بن عبد الرحمن عام ٩٩ هـ : ٧١٧ م .. ، واستولى بعد ذلك السمح بن مالك بسنوات ثلاث على مدن كثيرة منها ،

وقام عبد الرحمن الغافقى عام ١١٤هـ ٧٣٢ م بهجوم كبير عليها ، ووصل بجيشه الكبير الى « بواتييه » بالقرب من باريس ، فقابله شارل مارتل بجيش كبير ، وحالفه الحظ فتمكن من هزيمة الغافقى وجيشه فى يوم الجمعة الثانى من أكتوبر ٧٣٢ م — السابع من شعبان عام ١١٤ هـ ، وقتل الغافقى ، وانسحب المسلمون ، وفى هذه الهزيمة يقول أديب ومفكر فرنسى كبير هو مسيو كلود فارير :

« فى سنة ٧٣٢ م حدثت فاجعة كانت من أشأم الاحداث التى نكبت بها الانسانية فى القرون الوسطى ، وكان من آثارها أن غمرت العالم الغربى طبقة عميقة من التوحش ، لم تبدأ بالتبدد الا على عهد النهضة هذه هى الفاجعة التى أريد أن أمقت ذكراها ، وأعنى بها ذلك الانتصار البغيض الذى ظفر به أولئك المحاربون من الافرينج بقيادة شارل مارتل على كتائب العرب المسلمين الذين كان يقودهم الغافقى . ففى ذلك اليوم المشئوم تراجعت المدنية ثمانية قرون الى الوراء ، ويكفى المرء أن يطوف بفكره فى الأندلس ومدنها وحدائقها وحضارتها الخالدة ليعرف ماذا عسى أن تكون قد بلغته فرنسا منذ ذلك العهد السحيق لو أنقذها الاسلام العمرانى الفلسفى المتسامح السلمى .

وامتد الاسلام الى سواحل ايطاليا حتى وصل الى قرب روما ، وخفقت رايته على مراكش والجزائر وتونس وطرابلس وبرقة ومصر ، وشمل الشام والجزيرة العربية ، والعراق وفارس ، وخراسان وداغستان وأفغانستان .

وأغار الأمويون فى الشام على القسطنطينية عدة مرات ، وشنوا الغارات السنوية على الأناضول ، وعلى جزر البحر الأبيض المتوسط ، صقلية ، وسردانية ، ومالطة ، وفتحوها ، وفتحوا كذلك قبرص ، وكريت ، ورودس ، ودخلت بلاد ما وراء القوقاز فى حكمهم ، فدانت كلها لهم بالطاعة فى عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩ هـ ٧١٥ — ٧١٧ م) ودخلت كذلك بلاد النوبة فى حكم المسلمين ، وأجزاء كثيرة من سواحل افريقية الشرقية .

وفى عام ٨٧ هـ — ٧٠٦ م غزا قتيبة بن مسلم بلاد ما وراء النهر ، ففتحت بخارى ، وسمرقند ، والصغد وغيرها ، وتعمق فى بلاد الهند حتى وصل الى كاشغر ، وهى أدنى مدن الصين ، وأرسل عام ٩٦ هـ — ٧١٥م رسالة الى امبراطور الصين يدعوه فيها الى الاسلام ، وبذلك امتد الاسلام وانتشر فى أجزاء كثيرة من الصين ، وفتح محمد بن القاسم السند للأمويين عام ٩٣ هـ — ٧١٣ م فأصبحت ولاية اسلامية .

وسار الاسلام مع التجار المسلمين الى سومطره ، وجاوه ، والملايو ، وسيلان والفلبين ، ومدغشقر ، وأنحاء كثيرة من قلب أفريقيا فى مدى يسير .

ولك أن تتصور عظمة الدولة الاسلامية التى كانت لا تغيب عنها الشمس ، حينما كان الرشيد يجلس فى قصر الخلافة ببغداد ، ويتطلع الى غمامة بين السحاب ، فيقول لها : أمطرى أين شئت فسوف يأتينى خراجك .

وانتشرت فى العالم الاسلامى الثقافات الرفيعة ، وقامت فى المدن

الاسلامية الكبرى الجامعات والمدارس والمكتبات ، واستظلت هذه المدن بظلال وارفة من حضارة الاسلام ، وحسبنا ما بلغته من حضارة ومجد : قرطبة ، وطليطلة ، واشبيليه ، وغرناطة ، وفاس ، والقيروان ، وتونس وطرابلس ، والفسطاط ودمشق ، ومكة المكرمة والمدينة ، والبصرة والكوفة وبغداد ، والرى وجرجان ، وغيرها من العواصم الاسلامية الكبرى فى ابان ذلك العهد البعيد .

وبينما كان العلماء المسلمون فى قرطبة يترددون على خزائن كتبها السبع عشرة ، ويعودون الى بيوتهم فيتنعمون بالاستحمام فى حمامات بلغت الغاية فى النظافة والاناقة ، كان الاساتذة فى اكسفورد يستنكرون الاستحمام ، ويحسبونه من ملذات العيش الشهوانية التى يجب الترفع عنها . وحينما كان فلاسفة المسلمين مكبين على تآليف أرسطو فى دار الحكمة فى بغداد ، يقرأونها ويترجمونها أيام الرشيد ، كان شارلمان ورجال بطانته يحاولون جاهدين اتقان كتابة أسمائهم ، وتصوروا أن فى جوف الساعة الدقاقة التى أهداها اليه الرشيد شيطانا يتحرك .

وبينما كانت أوربا لا تعرف الطب ولا الأطباء كان فى بغداد فى عهد المقتدر بالله العباسى عام ٣١٩ هـ : ٩٣١م ، ٨٦٠ طبيبا ، وكان يفرض على الصيادلة والأطباء فيها منذ زمن المأمون والمعتصم اجتياز امتحان خاص ، وقد أجرى لهم سنان بن ثابت ابن قرة امتحانا بأمر الخليفة العباسى .

أى مجد هذا المجد الذى بلغه المسلمون الاولون فى زمن يسير ؟ وأية حضارة تلك الحضارة الوارفة التى عاشوا فى ظلالها بعد ظهور الاسلام بقليل ؟!

ذلك كله وغيره ، مما لا نستطيع أن نذكره فى هذه الصفحات انما ناله المسلمون بالاسلام أولا ، بالاسلام وحده ، بالاسلام العظيم ، فهو الذى أثل لهم الملك ، ومنحهم السيادة ، وفجر لهم كنوز الارض ، ووهبهم السلطان على أمم كثيرة ، كانت لها السيادة فى العالم كله قبل الاسلام ، وفى بدء ظهور الاسلام .

لقد تذكرت حينئذ كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه فى مكة بعد نزول الوحى عليه بسنوات معدودات :

« ما جئت بما جئتكم به ، أطلب اموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم . ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربى ، ونصحت لكم .. فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وأن تردوه على أصبر حتى يحكم الله بينى وبينكم » .

وذكرت كيف بدأ الاسلام ، وأنا أقرأ حديث عفيف بن قيس الكندى قال : ـــ

« كنت فى الجاهلية عطارا ، فقدمت مكة ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، فبينما أنا جالس عنده أنظر الى الكعبة ، وقد تحلقت الشمس فى السماء ، أقبل شاب كأن فى وجهه القمر ، حتى رمى ببصره الى السماء ، فنظر الى الشمس

ساعة ، ثم أقبل حتى دنا من الكعبة ، فصف قدميه يصلي ، فخرج على أثره فتى كأن وجهه صفيحة يمانية ، فقام عن يمينه ، فجاءت امرأة متلففة في ثيابها فقامت خلفهما ، فأهوى الشاب راكعا فركعا معه ، ثم أهوى الى الأرض ساجدا فسجدا معه ، فقلت للعباس : يا أبا الفضل ، أمر عظيم ، فقال : أمر — والله عظيم — أتدري : من هذا الشاب ؟ قلت : لا ، قال : هذا ابن أخي محمد بن عبد الله أتدري : من هذا الفتى ؟ قلت : لا ، قال : هذا ابن أخي ، هذا على بن ابى طالب ، أتدري : من المرأة ؟ قلت لا ، قال : هذه ابنة خويلد ، هذه خديجة زوج محمد هذا . وان محمدا يذكر أن الهه — اله السماء والأرض أمره بهذا الدين ، فهو عليه ، كما ترى ، ويزعم أنه نبى ، وقد صدقه على قوله على ابن عمه هذا الفتى ، وزوجه خديجة هذه المرأة .

نعم صدقه على ، ثم صدقته خديجة .

ثم صدقه العرب ، ثم صدقته المشارق والمغارب ، واهتزت الدنيا كلها ايمانا به وتصديقا له ، ولرسالة الاسلام التى نزلت عليه .

ولقد بكيت وأنا أتابع امتداد الفكر الاسلامى فى عهد عمر بن الخطاب ، وما شرعه للناس من شرائع الاسلام العظيمة فى العدل والحرية والمساواة وفى مراقبة الخليفة عمر لله فى شعبه وأمته ، وهو يقول فى آخر سنة من خلافته :

« أن عشت لأسيرن حولا ، فأقيم فى الشام ومصر والبحرين والكوفة والبصرة وغيرها ، فانى أعلم أن للناس حوائج تقطع عنى ، أما هم فلا يصلون الى ، وأما عمالهم فلا يرفعونها الى » .

رعاك الله يا عمر ، لقد كانت رعيتك عندك آثر عليك من أهلك وولدك ، وأحب اليك من مالك ونفسك ، وكنت بها برا رحيما ، تقيم العدالة بين الناس ، الضعيف عندك قوى اذا كان الحق معه ، والقوى عندك ضعيف اذا خذله الحق ، فارتكب جورا على أحد من الضعفاء المساكين من عامة الشعب .

— ٢ —

امتد الاسلام وامتد .

ومع ما تألب عليه من قوى الوثنية والعدوان فقد ظل يمتد ويمتد ، لأنه شريعة الله ودينه ورسالته الى نبيه محمد صلوات الله عليه وسلامه .

وقف فى وجه الاسلام الامبراطورية الرومانية الشرقية بجيوشها وأساطيلها وقوتها وحضارتها ومن حولها اوروبا كلها ، فلم تستطع أن تطفىء نوره .

وجندت اوربا لحربه حملاتها الصليبية المشهورة ، فما استطاعت أن توقف بها سيره وامتداده .

ودمر التتار حضارة الاسلام وعواصمه وجامعاته ومدارسه ومع ذلك ذهب التتار وبقى الاسلام .

وصب الاستعمار الاوربى جام غضبه على الاسلام والمسلمين فى العصر الحديث ، ومع ذلك انحسر مد الاستعمار وبقى الاسلام يدوى صوته فى كل مكان .

ومع ما دمر الاستعمار وعصره من

تراث الاسلام وحضارته وكنوزه ، وما بدد من ثقافاته وخيرات بلاده وما نهب من ثروات المسلمين ، وما نشر بينهم من كل الوان الكفر والفساد والالحاد والعداء للاسلام والحرب لمبادئه ، ونقل الكثير من الأمم الاسلامية من حياتهم الاسلامية الوارفة الى الحياة الغربية بكل مظاهرها والوان العيش والحضارة والفكر فيها .. مع ذلك كله فقد بقى الاسلام .

ويجند الاوروبيون انفسهم لحرب الاسلام فى كل مكان عن طريق النفوذ والسيادة والتجارة والثقافة والحضارة الاوروبية ، ويتعاونون مع دعاة المادية وحماتها لخلع مبادىء الاسلام من النفوس ، ولغزوهم غزوا فكريا الحاديا سافرا، بل يتعاونون مع الشيطان ومع غير الشيطان من اجل القضاء على الاسلام فى بلاده ، ومع ذلك يفشلون وينتصر الاسلام .

— ٣ —

ان حاضر العالم الاسلامى اليوم ليتمثل فى حرب العالم الغربى للاسلام حربا سافرة فى بلاده وفى خارج بلاده : البعثات التبشيرية فى كل مكان ، المساعدات تنهال على كل من يقف فى وجه الاسلام ، المذاهب اللادينية فى غزوها المستمر للشرق العربي وللعالم وللعالم الاسلامى ، دعاة العنصرية يحاربون الاسلام ويطردون المسلمين من بلادهم أو يقتلونهم ويشردونهم باسم القومية — اسرائيل تقام فى قلب العالم الاسلامى وتشن ثلاث حروب ضروس على قوة صاعدة فيه ، وتعمل من قريب ومن بعيد على الدس لكل حركة اسلامية يمكن أن تقف فى وجهها فى يوم من الايام .

ومع ذلك كله فلسوف يبقى الاسلام ولسوف ينتصر الاسلام .

ان علاج جميع مشكلات العالم الاسلامى والعربى المعاصرة ، لا يمكن حلها الا بالاسلام أولا وأخيرا ، وبازدياد الوعى الاسلامى فى جميع ربوعه وأرجائه ، وبالاقبال على التراث الاسلامى فى كل جوانب الفكر والثقافة والمعرفة والعلم اقبال المتفهم المستزيد المستضىء بما فيه من طاقات خلاقة ، وحياة متجددة وروح حضارية أصيلة .

ولقد كان طاغور شاعر الهند الكبير يرى أنه لحل الأزمة الهندية يجب أن يدرس الهندوس الكتب العربية لفهم الروح الاسلامية بطموحها وتساميها فهما حسنا .. فلماذا لا ينادى المسلمون بما نادى به طاغور البوذى من نصف قرن ؟!

مشكلات العالمين الاسلامى والعربى لا يمكن أن تحل الا عن طريق الالتقاء الاسلامى بالاسلام وأفكاره ومثله وقيمه ومبادئه وحضارته .

بل ان مشكلات العالم كله لا يمكن أن تحل فى يوم من الايام الا بالاسلام الذى سوف تهرع البشرية الى الايمان به والدخول فيه فى يوم من الأيام ، قصر أمد الوصول اليه أم طال .

وما ذلك على الله بعزيز ، ولسوف تردد الدنيا والحياة والبشرية قاطبة ما نردده اليوم فى وجه الأحداث الزاحفة علينا من الشرق والغرب : الاسلام أولا ..



للأستاذ : يوسف حسن نوفل

هناك في بلدي يعيش شعبي حياة نضاله ضد قوى البغي الممثلة في الصهيونية وهذه قصة ليلة من ليالي كفاحنا الطويل على ارضنا العربية بفلسطين ..

بلدتي نامتْ على النار وموجُ البحرِ أغفى

ريثما ينداحُ ليلٌ ريثما نلمحُ كفّا

وصباحاً عبقريَّ الرُّوح كالزهرةِ عفّا

□ ■ □

وصغيري مثل فجر ناعسِ الْوَمضةِ نائمْ

مقلتي عشٌ حواهُ تغزلُ الصمت تمائِمْ

ربما يحفظه الله ولا يجثو لظالِمْ

□ ■ □

ويهزُّ الباب عات طائشُ القبضةِ حاقِدْ

قد أتى للبيت تِنّيناً له مليون سُاعِدْ

جاء كَي يسرقَ زوجي ظَنّه بالباب ساجِدْ

□ ■ □

جئت كي تهدم داري . زوجي المطلوب غائِبْ

اطلبوه من ضميرِ الغيب من موجٍ وقاربْ

من شراعٍ تائه اللفتةِ يشتاقُ لصاحِبْ

□ ■ □

ربما تلقونه استغدَي بفم الشط ربْوَه

ربما تلقونه فوق جناح الموجِ جثـــــه

لن تطيقَ العيش حتى في سبات الموتِ سُخْرَه

□ ■ □

غير أن الغاصب الأحمقَ قد ساقَ رياحَـه

يتحدّى قلبيَ المهدودَ يجتاحُ جراحَـه

ويشقُّ الثوبَ عن طفلي ويستلُ صياحَه

□ ■ □

مثلما زقزق طـيرٌ مثلما غردَ بلبُــــلْ

مثلما رفرف حلمٌ راقصُ الأطياف مُخْضَل

راح طفلي يملأُ البيتَ صِياحاً وهُو يسْعَا

□ ■ □

وبعينين كعصفورين مقرورين يرنُــــو

لير الضابطَ مثل الليل يدنو ثم يدنُــــو

ظنه يمنحُه الدفء يناغيه ويحنُـــــو

□ ■ □

غير أن الظن قد ذاب على صدرِ الحقيقـة

فإذا الكفُّ التي يحسبُها كفاً صديقَــه

غدرتْهُ وغدَتْ تمتصُ من غلٍ عروقَــه

□ ■ □

وأنا بين ضلوع الدربِ قد ذَابتْ خطـايَا

ضاع مَن جمَّلَ بالزهرِ وبالحبِ صبـايَا

وأبوه خَلفَ سرٍ مبهمٍ أورَى أسـايَا

□ ■ □

غير أني أزرعُ الدربَ شروداً غثيـانَا

قاتلي جوعانُ لم يشبَعْ ولم يهدأ جنـــانَا
مُذْ رأى زوجيَ هذا الشهمَ لم يرضَ امْتهانَا

□ ■ □

قاتلي قـد ظنَّ زوجيَ مُجبَراً يتبَعُ أمرَه
مثلما ساقُوا كثيرا من بني الإنسانِ غيرَه
سخَّروه مثلما قد سَخَّرَ الفلاحُ ثـــورَه

□ ■ □

غير زوجي لم يشأْ أن يصبحَ الشاةَ الحَلُوبَا
لم يشأْ أن يجدلَ الليْلَ ضياعاً وشحُـوبَا
ويرى نجمَ الليالي مظلمَ العينِ كئيبَـــا

□ ■ □

مذ رأى قافلــــةً تلهثُ من ذلٍ ورقِ
كُلُّها محنيـــــةُ الرَّأْسِ على غصةِ حلقِ
وخيوطاً راعشـــاتٍ لمَّها الأفقُ برفقِ

□ ● □

ودعاه من وراءِ الصمتِ صوتٌ كالصباحِ
أنجُ يا سعدُ فركبُ البَغيِ قتَّالُ الجراحِ
وحُداه أخرسُ الدمعِ وصخَّابُ النواحِ

□ ● □

ومضى من يومها لم أحتضِنْ غير أنيني
حيثُ أحيا في ضياعِ الليلِ في وهمِ ظُنوني
وصَداهُ الحلوُ يحيا بينَ طيَّـــاتِ حنيني

□ ● □

وأمانيَّ لدى السفحِ غدتْ أشـــلاءَ حُلمِ
وتعرَّى ليليَ التائهَ في ظلمـــاتِ وهمِ

حشرجاتٌ بين آلام تباريحي وهمّي

□ ● □

كَمْ وكَم أرسى على شاطىءِ صبحي أغنياتِ
مثل رشّاتِ نسيمٍ مثل همسِ السُنْبُلاتِ
مثل شَدْوِ الجدْولِ الرّقراقِ تهفو راجفاتِ

□ ● □

كَم مشى فوق جبينِ الشطِّ يوماً بخطاهُ
وهو يغدُو بشباكٍ نسجَتْهـــا ساعداهُ
ويداهُ نبعُ حبٍ، كرْمتي، ظِلّي يداهُ

□ ● □

راحتاه مِثْلما يضفرُ نورٌ طوقَ فُـــلّ
عِنْدَما يعتكرُ الليلُ أراهَا دفءَ ليلي
بعدَهُ صـــرتُ أناجي شمعةً ترسمُ ظِلّي

□ ● □

بعدَهُ عذّبني الليلُ وأضناني النّهـــارُ
بَعدَهُ ضاعَ صفيري ضاع ذاك الاخضرارُ
عمريَ الضائعَ غطّاهُ من الدنيا غبـــارُ

□ ● □

وهنا أرخى الدُّجى السّاجي على (يافا) جَنَاحَهْ
وَغدَا يبتلعُ الصمتَ ويكْسُوهُ وشَـــاحَهْ
حينذّياك وسوطُ الظُلم يغشى كلَّ ساحَهْ

□ ● □

بلدَتِي نامتْ على النّارِ وموجُ البحرِ أغفى
ريثَما ينداحُ ليلٌ ريثما نلمحُ كفّـــا
وصباحاً عبقريَّ الروحِ كالزّهرةِ عِفّـــا

قُطْبَة بن قَتَادة السَدُوسيّ

فـاتح البصرة (الخُرَيْبـة)

اللواء الركن: محمود شيت خطاب

نسبه واسلامه :

هو قطبة بن قتادة بن جرير السدوسي أبو الحويصلة (٣) من بني ثعلبة ابن سدوس بن ذهل بن شيبان (٤) فهو شيباني .

كان صحابيا ، فقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه . قال : « قلت يا رسول الله ابسط يدك أبايعك على نفسي وعلى ابنتي الحويصلة » (٥) .

وقتادة قريب القرابة من المثنى بن حارثة الشيباني ، وقد وفد المثنى على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع الهجرية مع وفد قومه بني شيبان (٦) ، ومن المحتمل جدا أن يكون قطبة قد أسلم مع بني شيبان ، فقد كانت وفود القبائل العربية تأتي النبي صلى الله عليه وسلم مجتمعة ، فلا يذكر المؤرخون غير قسم من رؤساء القبائل ويغفلون ذكر الآخرين .

وجوز ابن الأثير أن يكون قطبة بن قتادة السدوسي هو قطبة بن قتادة العذري لان ثعلبة بن عكابة بن صعب بن وائل كان له ولد هو ضنة ، وقد دخل بنوه في بني عذرة فهم من بني شيبان أيضا . ولكن هذا التجويز فيه بعد (٧) لأن العذري شهد غزوة (مؤتة) (٨) ، التي كانت سنة ثمان الهجرية (٩) ، ولم يكن السدوسي قد أسلم بعد ، لذلك فهما اثنان .

والظاهر أن قطبة بعد اسلامه عاد مع بني قومه الى ديارهم ، لذلك نال قطبة شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهـاده :

ارتدت أكثر القبائل العربية ــ ومنهم ربيعة ــ التي كانت في منطقة

(البحرين)، فثبت قطبة مع من ثبت من قومه على الاسلام ، فكتب العلاء بن الحضرمى الى من اقـــام على اسلامه من بكر بن وائل ، أن يعينوه على قتال المرتدين حتى يعودوا الى الاسلام . فكان المثنى بن حارثة الشيبانى عـــلى رأس الذين أعانوا العلاء بن الحضرمى من بنى شيبان فى مهمته الشـاقة ، اذ ضيق الخناق على المرتدين وأخذ الطريق عليهم (١٠) .

ولا نعرف هل كان قطبة مع المثنى أم مع غيره من بنى شيبان ، فقد كان أسلوب قتال القبائل العربية فى أيام الردة وأيام الفتح الاسلامى ، هو أنهـــا كانت تقاتل تحت راية رئيسها ، ولكن قد تتعدد جبهات القتال ، فتقاتل القبيلـــة تحت رايات رؤسائها ، وقد كان قطبة من رؤساء بنى شيبان ، لأن قسما منهم قاتل تحت رايته فى الأيام الاولى من أيام الفتح الاسلامى .

ولقدكان لقطبة جهاد فى حرب الردة فى منطقـــة (عمان) والخليج العربى فلما عادت للعرب الوحدة تحت لواء الاسلام، كان له جهاد مع المثنى بن حارثة الشيبانى فى منطقة (الخريبة) وهى منطقة البصرة الحالية .

وبعث ابو بكر الصديق خالد بن الوليد بعد انتهاء واجبه فـــى حروب الردة الى العراق ، وكان قطبة مع رجاله فى منطقة (الأبلة) (١١) ، فحل خالد فى خيلـــه على قطبة ورجاله ، فقالوا : انا مسلمون ، فتركهم خالد ، وغـــزا قطبة على رأس رجاله مع خالـــد (الأبلة) . قال قطبة : حمل علينا خالـــد بخيله ، فقلنا : انا مسلمون ، فتركنا . وغزونا معه (الأبلة) فقسمناهـــا بأيدينـــا .

فقد كان قطبة يغير فى ناحية (الخريبة) من البصرة على العجم ، فلما قـــدم خالد بن الوليد سنة اثنتى عشرة الهجرية أعانه قطبة على غزو أهـــل (الأبلـــة) (١٢) . وحين وصل خالد الى منطقة البصرة كان بها قطبة من بكر بن وائل ومعه جماعة من قومه ، وهو يريد ان يفتح تلـــك المنطقـــة ، فقال قطبة لخالد : « ان أهل (الأبلـــة) قد جمعوا لى ، ولا احسبهم أمتنعـــوا منى الا لمكانك » . فقال خالـــد : « فالرأى أن أخرج من البصرة نهارا ، ثم أعود ليـــلا فأدخل عسكرك بأصحابى ، فان صبحوك حاربناهم » . وفعل خالد ذلـــك ، وتوجه نحو الحيرة ، فلما جن عليه الليل انكفأ (١٣) راجعا حتى صـــار الـــى عسكر (١٤) قطبة . وأصبح أهل (الأبلـــة) وقد بلغهم انصراف خالد عن منطقة البصرة ، فأقبلوا نحو قطبة ، فلما رأوا كثرة من فى عسكره سقط فى أيديهـــم وانكسروا . فقال خالد : « احملوا عليهم ، فانى أرى هيئة قـــوم قد ألقى الله فى قلوبهم الرعب » ، فحمل المسلمون عليهم فهزموهم وكبدوهم خسائرفادحـــة بالأموال والارواح ، اذ قتل قسم منهم وغرق فى النهر قسم آخر ، ثم مر خالـــد بالخريبة ففتحها وسبى من فيها ، وكانت (الخريبة) مسلحة للأعـــاجم .

لقد كان قطبة أول من فتح (الأبـــلة) و (الخريبة) ، وقيل : ان أول من فتح (الأبلة) هو عتبة بن غزوان . ولا تناقض بين القولين ، فقد كـــان قطبة أول من فتحها سنة اثنتى عشرة الهجرية فتح غارة أو فتحا مؤقتا ، أما عتبة فقـــد فتحها سنة أربع عشرة الهجرية فتحا مستداما .

وعندما سار خالد بن الوليد الى فتح (السواد) خلف قطبة عـــلى منطقة البصرة .

وبقى قطبة مع رجاله فى جنوب العراق ، حتى بعث عمـــر بن الخطاب عتبة بن غزوان سنة أربع عشرة الهجرية الى منطقـــة البصرة ، وكـــان بها قطبة يغير على تلك الناحية ، فكتب قطبة الى عمر يعلمه مكانه ، وأنه لو كان

معه عدد يسير ظفر بمن كان قبلـــه من العجم ، فنفاهم عن مكانهم ، فكتب عمر الى قطبة يأمره بالمقام والحذر ، ووجه اليه شريح بن عامر احـــد بنى سعد بن بكر ، فأقبل الى منطقة البصرة وترك بها قطبة ، ومضى الى (الأهـــواز) فقتل شريح هناك .

ولما وصل عتبة بن غزوان الى منطقة البصرة ، أقام فيها نحو شهر ، ثم خرج اليه أهل (الأبلـــة) فقاتلهم ، وجعل قطبة وقسامة بن زهير المازنى فى عشرة فوارس ، وقال لهما : « كونوا فى ظهرنا ، فتردان المهزوم ، وتمنعان من أرادنا من ورائنا » ولكن المعركة بين المسلمين والفرس لم تطل كثيرا حتى انهزم الفرس ، فدخل المسلمون (الأبلة) فاتحين ، وأصابوا فيها متاعـــا وسلاحـــا ومالا كثيرا .

الانسان :

لا نعرف شيئا مذكورا عن قطبة : متى ولد ، وكيف عاش ، وأى نوع من الرجال كان ، وما هى اعماله فى المجالات غير العسكرية ، ومتى توفى ؟

روى عنه مقاتل السدوسى ، وقد كان صحابيا بدون شك ، لأنهم كانوا لا يؤمرون فى الفتوح الا الصحابة (١٥) .

وبلغ من اهمال المؤرخين وأصحاب السير لقطبة ، أنهم اختلفوا فى اسمه ، فقال قسم منهم : سويد بن قطبة الذهلى ، وليس ذلك بشىء ، لأن النصوص المتيسرة بين أيدينا لا تعرف هذا الاسم ، بل تذكر قطبة بن قتادة ، وتذكر معه جهاده فى جنوب العراق ، فلا مجال للتشكيك فى اسم قطبة بن قتادة .

القائـــد :

كان قطبة قائدا يطبق مبدأ (المباغتة) فى حروبه ، وكان يبنى خطته لمباغتة أعدائه استنادا على استطلاع دقيق ، يكشف فيه نياتهم ومقدار قوتهم ، فقـــد عرف مبكرا بأن أهل (الأبلة) قد حشدوا جموعهم لقتاله ، ولكنهم أحجمـــوا عن مبادرته بالقتال لتزايد جموع المسلمين بعد قدوم خالد بن الوليد ، فكانت مجمل خطـــة المسلمين هى : انسحاب خالد ورجاله نهارا من منطقة (الأبلة) ، وعودة خالد تحت جنح الظـــلام ، ليورط أهل (الأبلة) بالالتحـــام بقوات قطبـــة ، على أمل القضاء عليها ، ظنا منهم بأن قطبة أصبح ضعيفا بعد انسحاب خالد الذى سيكون بعيدا عن الميدان فى أثناء نشوب القتال .

وهـــكذا خدع أهل (الأبلـــة) بانسحاب خالد وقواته نهارا ، ولم يقدروا أن خالدا سيعود بقواته ليلا ، ليكون مع قطبة فى قتال حماة (الأبلة) .

وحين اطمأن أهل (الأبلة) الى انسحاب خالد ، أجمعوا أمرهم على قتال قوات قطبة وحدها .

ولكنهم فوجئوا بعد أن أنشبوا القتال ، بأن قطبة لم يكن وحده فى الميدان ، بل كـــان خـــالد معه ، فغلبـــوا على أمرهم ، وفتحت (الأبلـــة) أبوابهـــا للمسلمين .

وهذا يدل على أن قطبة كان متشبعا بروح مبدأ (المباغتة) ، أهم مبادىء الحرب على الاطـــلاق .

كما أن تجمع قوات قطبة وقوات خالد فى المكـــان والزمان الجازمين لمجابهـــة أهل (الأبلة) ، يدل على تطبيق قطبة لمبـــدأ (التحشد) ، وهو من مبادىء الحرب المهمة أيضا .

لقد كان قطبة قائدا عقيديا ، يتسم بالشجاعة والأقدام ، له عقلية عسكرية ، تتميز بالاستطلاع والحصول على المعلومات الدقيقة عن العدو ، مبيني خططه العسكرية استنادا على تلك المعلومات ، لذلك كان قائدا ناجحا كل النجاح .

قطبة فى التاريخ :

يذكر التاريخ لقطبة انه اول من فتح (الأبلة) .

ويذكر له أنه فاتح (الخريبة) التى هى جزء من الموضع التى ارتفعت عليه البصرة فيما بعد .

ويذكر له أنه من أوائل قادة الفتح الاسلامى .

ويذكر له انه نهض بواجبه فى حرب أهل الردة .

رضى الله عن الصحابى الجليل ، القائد الفاتح ، قطبة بن قتادة السدوسى .

---

(١) نسبة الى سدوس (بفتح السين) وكذلك فى جميع العرب حاشا فى طىء وحدهـا ، فانهم سدوس (بضم السين) . وهو سدوس بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن وائل . انظر التفاصيل فى جمهرة أنساب العرب (٣١٧) وانظر طبقات خليفة بن خياط (١٤٧/١).

(٢) الخريبة : تصغير خربة ، موضع بالبصرة ، وسميت بذلك لأن المورزبان كان قد ابتنى بها قصرا وخرب بعده ، فلما نزل المسلمون البصرة ابتنوا عنده وفيه أبنية وسموها : الخريبة . أنظر التفاصيل فى معجم البلدان (٤٢٦/٣ ، ٤٢٧).

(٣) الاصابة (٢٤٢/٤)

(٤) أسد الغابة (٣٠٦/٤) ..

(٥) الاصابة ٢٤٢/٥ .

(٦) أسد الغاية (٢٩٩/٤) والاصابة (٤١/٦) والاستيعاب (١٤٥/٤) وانظر طبقات خليفة بن خياط (١٤٧/١) .

(٧) جمهرة أنساب العرب (٣١٥)

(٨) ابن الاثير (٣١٤/٢) .

(٩) طبقات ابن سعد (١٢٨/٢) والعبر (٩/١) وانظر الرسول القائد (٢٩٦) .

(١٠) الطبرى (٥٢٦/٢) وانظر التفاصيل فى قادة فتح العراق والجزيرة (٢٧) .

(١١) الأبلة : مدينة كانت مرفأ للسفن القادمة من الصين ، أنظر الطبرى (٩٢/٣) . وتقع جنوب البصرة القديمة بمسافة خمسة عشر ميلا وجنوب مدينة أبى الخصيب الحالية بحوالى ميلين . أنظر ما جاء عن الابلة فى معجم البلدان (٨٩/١) .

(١٢) البلاذرى (٤٧٥) .

(١٣) انكفأ على الشىء : مال . وانكفأ عنه : انصرف . وانكفأ اليه : رجع يقال : انكفأ الى وطنه .

(١٤) المسكر : الجيش ، ومجتمعه . وعسكر هنا : معسكر .

(١٥) الاصابة (١٩٤/٢) ، وقد شكك قسم من المستشرقين فيه ، فقالوا : يحتمل أنه لم يكن مسلما ، وقد ارتد عن الاسلام وتابعهم فى ذلك قسم من المستغربين ، ولا صحة لهذا الادعاء . ذلك لان أبا بكر الصديق رضى الله عنه لم يسمح لمرتد بالاشتراك مع الفاتحين جنديا أو قائدا . ولان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان لا يؤمر غير الصحابة ولا يولى القيادة من ارتد عن الاسلام كما هو معروف .

فاذا شكك المستشرقون بقطبة جهلا أو دسا ، فما عذر المستغربين ، وكيف يسمحون لانفسهم تدريس ادعاءات المستغربين فى الجامعات العربية الاسلامية ؟؟ !

مائدة القارئ

« اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

صدق الله العظيم .

اضحية النبى

روى ابو داود عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم ذبح يوم النحر كبشين أقرنين املحين موجوأين ، فلما وجههما قال : وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين . ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . اللهم منك ولك عن محمد وأمته بسم الله والله أكبر ، ثم ذبح .

عبادة العلانية

ان معظم العبادات فى الاسلام تتم فى السر ، تتم بين المرء ونفسه ، التسبيح والصدقة والصوم يكره الاعلان عنها .

غير أن هناك عبادة ينبغى الاعلان عنها بتبديل الثياب ورفع الصوت بالتلبية ، وهى الحج والعمرة .

الناس والحق

الناس والحق اصناف ثلاثة :

قليلون جدا ينصرون الحق ، ويتشجعون فى الجهر به والدفاع عنه .

وقليلون مجرمون يقفون فى وجه الحق لمصالح شخصية .

وأكثر الناس يحبون الحق ، ويحبون نصرته ، ولكن ينتظرون من يجهر به ليكونوا أتباعه .

اعتراف عالم

أعترف بأنى جبان بقدر شجاعتى فى قول الحق ... أخاف التعذيب وأخاف السجن، وأخاف الشنق ، وربما كان هذا هو السبب فى أنى أفضل العلم على السياسة . فالعلم طريق غير محفوف بالأشواك ، والسياسة طريق وعر مخفوف بالأشواك ، وربما كان هذا هو السبب فى أنى تخلفت عن زملائى السياسيين حيث تقدموا الى كانوا رؤساء زملاء .

خـــواطر

فى الايام القديمة الطيبة كان أجدادنا يقاسون أهوالا فى طريقهم الى الاراضى المقدسة .

انهم كانوا يركبون الدواب الى شاطىء البحر ، ثم يركبون البحـــر الى شاطىء الصحراء ثم يركبون الجمال ، وينامون أياما فى الطريق ، ويتعرضون للحر والبرد والعطش والجوع والخوف .

وفى القرن العشرين قصرت الطيارات والبواخـــر والسيـــارات المسافات ، ولكن اجراءات السفر والجوازات وتأشيرات الدخول والخروج والمصارف والعملة الصعبة كل ذلك أطالت هذا القصر ، ولكن بأســـلوب آخـــر .

الطمـــع

يحكى أن غنيا وعد أن يعطى فلاحـــا أرضا بمقدار ما يجرى ، على أن يرجع قبل غروب الشمس ، فجـــرى وكلما جرى ازداد طمعـــا فى الارض التى بعدهـــا ، حتى اذا قاربت الشمس الغروب بدأ يعـــود ، واستحثـــه قرب الغروب على سرعة العدو ، فمن كثرة عدوه انبت ، وفقد القدرة على الحركة فوقف مكانه ، وغربت الشمس ولم يعد للغنى فـــى موعده فلم يعطه شيئا من الارض فلا مال اقتنى ، ولا هـــو أبقى عـــلى نفســه .

فى البدايـــة

فى البداية القديمة لم تكن هناك كعبة ، ولا مسجد ، ولا شجرة ، ولا ثمرة ولا قطـــرة ماء ــ المكان واد غير ذى زرع . صحراء قاحلة تماما . فيما رواه البخـــارى عـــن ابن عباس : [جاء بها (هاجر أم اسماعيل) ابراهيم ، وبابنها اسماعيل وهى ترضعه ، حتى وضعهما عنـــد البيت وليس بمكـــة يومئذ أحد ، وليس بها ماء وضعهمـــا هناك ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفـــل ابراهيم منطلقا ، فتبعته أم اسماعيـــل ، فقالت : يا ابراهيم أين تذهب ، وتتركنا بهذا الوادى الـــذى ليس فيه أنس ولا شىء ، قالت ذلك مرارا ، وجعل لا يلتفت اليها ، فقالت له : آلله أمرك بهـــذا ؟ قال : نعم . قالت : اذن لا يضيعنـــا ..

ثم رجعت ، فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا ربه : « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحـــرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

كل ماتراه اليوم من شعائر وطواف وسعى ومتعة روحية .. كل ما تجده من فواكه الارض وثمارها تجىء الى مكة المكرمـــة فى أوانها ، وتجىء فى غير أوانها ولد من شفاه أبى الأنبياء . كان دعوة واستجيبت .

حياة الحجيج فى الخيام



للدكتور محمد كامل الفقي

ليس فى وسع هذا القلم ، ولا من هدفه ، أن يستقرىء حياة الحجيج من شتى وجوهها ، أو أن يصف كل ما فى جوانبها ، فهى أشبه ما يكون بالمحيط البعيد المدى ، تمخر الجوارى ولكن فى بعض مسالكه ، ويصف الوصافون لكن لا يصفون الا طرفا من مقوماته .

حياة الخيام فى الحج ، حياة تنم كل خاطرة فيها عن غاية ، وترمز كل لحظة فيها لمبدأ ، وما كان الله ليعذب عباده قط بشعيرة الحج ، يغدون الى عرفات ومزدلفة ومنى وجبال وقفار دون أن يكون ذلك أكثر ربحا من أية تجارة مهما درت أخلاف الرزق ، وصدق الله العظيم اذ يقول (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم) .

ولعل التعبير عن ادراك هذه المنافع بعد ايرادها بصيغة الجمع بمشاهدتها أى برؤيتها رأى العين تجسيم لهذه المنافع وأنها تحس احساسا لا ينكر .

ما سمعنا أن ملكا من جبابرة الأرض أراد أن يحج بيت الله فأقيم له فى عرفات أو فى مزدلفة أو فى منى قصر شاهق ذو أبهاء وشرفات وحدائق وجنات وهيئت له اذ ذاك الوان من الراحة والنعيم فهو يخلع تاجه وثيابه الذهبية بمجرد أن يحرم ويدخل فى عداد الحجاج ، ويصبح على صورة لا تنم عن أدنى فرق ولا مميز بينه وبين من عاشوا فى جوع وعرى وحرمان وشظف عيش طول حياتهم ، وعسى القارىء أن يطير بخياله الى تراب مزدلفة الوثير ليشهد

ما يتقلب عليه من ناس هم ملك وسوقة ومترف ومحروم ، بل لعل هذا الذى عاش حياته أخا فقر وصبر وجوع ، وعرى ، وحرمان ، أكثر سعادة بالحج منه ، فهو فى حياة ألفها ، وهو قد خلا من الضيق والتبرم وعلى أى شىء يأسف ، وهذا العيش الجاف الذى يعيشه فى الحج امتداد لخط حياته .

ثم انه كما ينطق الواقع أرجى للمغفرة من كثير من ذوى الجاه ، وأعظم أملا من الموسرين ذوى النعمة فما حظ الاولين من الجنات الا بقدر شكرهم ، وقليل من عبادى الشكور .

ليس مظهر المساواة فى الحج هو ما نهدف اليه فى هذه الكلمات ، فمظهر المساواة فى الحج ومظهر المساواة فى سائر الاركان التى بنى عليها الاسلام واضح مشرق يمد القول بروافد غزار .

هذه الخيام المضروبة على التراب المشدودة على الحجر والصخر ، التى تحميها الشمس وتسفى عليها الرياح يحيا على أرضها الضيقة التى تعلو وتهبط أسر وفدت من القصور ومن الأكواخ تضم كل واحدة منهن ما تضم من رجل وامرأة وشيخ وشيخة ، وصبى وطفل ، وما تنال شيئا من متاع الحياة الا بجهد وكفاح ، حتى الماء ما يصل اليها ولا تصل اليه الا بسعى وجهاد ومثابرة ، ثم ان كل صغير وغر فى هذه الأسرة يتناوله بقدر ، ولا يلقى بالمستعمل منه فوضى ، وكما يكون ، فله جيران ملاصقون ، فهو لا يؤذيهم كما لا يحب أن يؤذوه .

ان الأسرة الحاجة مهما ضخمت عدتها وقلت عدتها تحصل بالحكمة والعقل والتدبير راحتها فى هذا الصندوق الصغير الذى لا يقبل سعة فهو بما فيه من تلاحم وتداخل اشارة الى حياة المرء كلها ما نقص منها شىء فالحاج يأكل ويشرب ، ويلبس ويتوضأ ، ويصلى ويفرش ، ويلتحف ويهىء النور بسراج وهاج أو غير وهاج وما تكون جزئية واحدة من هذه الحياة عفوا ولا مصادفة ، فهو قد رسمها وأعدها وقدرها وفكر فيها وذلك هو سر الحياة أن يقدر الانسان المسلم حياته من شتى وجوهها ، وأن يواجه حياة الصحراء بما يواجه بها حياة الروض ، بل لعله أكثر سعادة حين يحفر لخيامه بيده ، وحين يوقد سراجه ، ويذكى ناره ، ويحمل طعامه ويجلب ماءه وحين يتوقل فى جبال الارض المقدسة ووهادها . متوقيا الشمس لكنه غير خائف منها متجنبا الضلال لكنه لا يكف عن المسير .

انه فى رحلة ، ولو عقل الناس لأدركوا أنهم فى كل لحظة من حياتهم فى رحلة ، رحلة عمل ورحلة راحة ، رحلة يقظة ورحلة نوم ، رحلة عافية ورحلة سقم ، رحلة غنى بعد رحلة فقر ، ورحلة ضيق بعد رحلة نعمة ، وكل هذه النقل تقوم على مقومات تختلف عن صاحبتها أشد الاختلاف ، وظواهر هذا الاختلاف بادية على المرء أحس بها أو لم يحس ، شكى منها أو صبر عليها ، والا فما هذا السرور الذى يغمر الوجوه وبه تشرق ، وما هذا الضيق الذى يزوى ما بين الحاجبين ، وبه تظلم القسمات ؟

والحياة فى الخيام رمز الى رحلة أخرى يستوى الناس فى الافاضة اليها ، والنفور منها وان كانوا يختلفون فيما يجدونه من جزاء .

وما يتقدم حاج من الهند أو المهجر أو روسيا أو جنوب أفريقيا أو أقصى الارض الى الحجاز الا وقد دبر كل أمره ، وفكر فى كل ما يتصور فى حياة حجة ، بل أكاد أزعم أن الحاج ولو كان من مكة يعد ويهىء ويستعد ويقدر .

والعمل للغد والحذر من المستقبل من أرقى الغايات فى الاسلام ، والتذكير الذى يزخر به القرآن يهدف الى هذه الغاية أن نعمل ، فسيرى

الله عملنا ورسوله ، وأن نتزود بخير الزاد التقوى .

تختلف أساليب التذكير بالآخرة لكنها تلح علينا الحاحا ، أن نتذكر دائما أن الدار الآخرة هي الحيوان ، وأن الحياة الدنيا ليست في الآخرة الا متاعا ، وأنها متاع الغرور .

مبدأ النظام الذي تؤسس عليه كل دعائم الحياة الاسلامية ؛ ويحرص الدين القيم أشد الحرص عليه ، يشد اليه الحاج في حياته شدا ، ويلتزمه التزاما لا يكاد يحيد عنه في سمت عسكري دقيق لا يفرضه عليه أحد انما تفرضه عليه فطرته الاسلامية حين يعود الى حياة البساطة ، ويقيم المشاعر متجردة من كذب الدنيا وغلوائها ، ولو أن الناس أخذوا أنفسهم بما فرضه الاسلام من نظام في معاملاتهم مع غيرهم وفي معاملاتهم أنفسهم لكان آخر هذه الأمة كأولها سعادة وراحة واستقرارا .

كلمة النظام مرادفة لحياة الحج وكأن النظام في هذه الرحلة حبات عقد يضيع العقد بقدر ما ينتثر من حباته .

هذه المناسك تؤدى في وقتها وعلى ترتيبها ، فالاحرام قبل الطواف ، والوقوف بعرفة قبل المبيت بمزدلفة ، وطواف الافاضة بعد العودة من عرفة والحلق أو التقصير أو الذبح بعد ذلك ، والرمي في وقته ، وبحصيات سبع يتفق عددها ، ويكاد أن يتفق حجمها والسعي بين الصفا والمروة على نظام دقيق غريب ، الكل يبدأ بالصفا والرمل بين العمودين الأخضرين والجميع يستقبل الكعبة مكبرا مرددا أن الصفا والمروة من شعائر الله .

والطواف حول الكعبة في نظام أنيق دقيق ، تزخر أفواج الناس لكنهم يتفقون في لباسهم وعدد طوافهم ، ولا يقابل فريق فريقا بل الكل يمشي في اتجاه واحد .

والأحكام الشرعية التي يتقبلها الحجيج برضا وشكر أحكام عامة تؤدى مرتبة من سائر الناس . وكثير من الناس من يغفل عن صلاة الفجر في مدنهم وقراهم ، لكن قرآن الفجر مشهود مسموع النغم بين هؤلاء ، فما ينادي المنادي به الا استجاب كل حاج وهب من نومه سعيدا قرير العين .

من حرص الناس ولو كانوا على خط ضئيل من اليسر أن يجودوا ويبذلوا ؟ من حض القوي أن يلطف بالضعيف ؛ من حث الجار على أن يرعى شعور جاره ؟

من حبب كلا في كل وأوصى كلا بكل ..؟

هذه الميادين السحرية التي تشرق في نفوس المؤمنين ، فاذا هم يد واحدة وروح واحد ، حياة الخيام في الأرض المقدسة ، وفي ظل هذه المشاعر الزكية ، هي مدرسة الصبر والارادة .

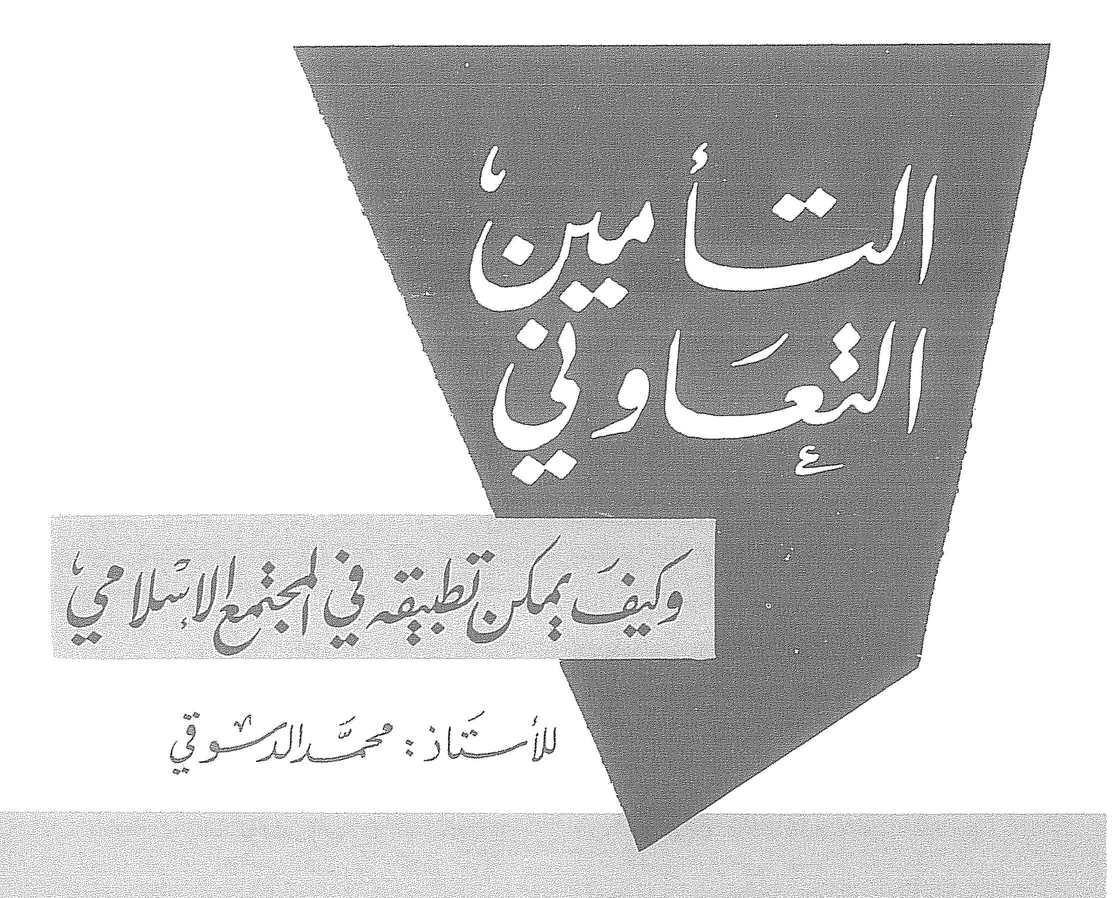
كل مترف ناعم وكل مرفهة نؤومة الضحى ، وكل شيخ فان ، أو طفل باغم يتعرض لمشقات ومتاعب لا مندوحة من الصبر عليها والرضا بها . وبقدر استعداد النفوس ولهفتها على الأجر والمثوبة يكون الاقبال على وعثاء الحج وصعبه ووعره .

كل حاج يزاحم بالمناكب وبالرمق القليل في الطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمرات وهو فيما أرى قمة المتاعب .

الاعتماد على النفس والصبر والارادة من أبرز حياة الحجيج .

وعبث أشد عبث أن يروض الناس أنفسهم على عز هذه الخلال ثم يعودوا بعد الحج للطيش والغضب والفوضى ونسيان المستقبل ، والجمود وأذى الناس .

كم في حياة الحجاج من مغاز كريمة ، ومقاصد نبيلة ، ودلالات رفيعة ، انها والله فرصة العمر ، ولا يقل الفرح في موسم الحج عن الفرح بما نرجوه من مغفرة والله عند حسن الظن .



١ ــ فى البحث الذى نشرته مجلة « الوعى الاسلامى (١) » الزهراء تحت عنوان « التأمين بين النظرية والتطبيق فى ضوء الشريعة الاسلامية » انتهيت الى أن التأمين التجارى لا يخلو فى أحسن حالاته من شبهة محرمة ، وأنه لا يقوم على التعاون ، كما أنه لا يشبه بعض صور المعاملات الفقهية المعروفة ، فضلا عن أن المجتمع الاسلامى ليس فى حاجة ماسة الى الاخذ بهذا اللون من التأمين بحيث اذا أهملنا الاخذ به وقع الناس فى عنت وحرج وتعرضوا لخطر وضرر لا قبل لهم بدفعه أو تحمل آثاره .

وقد انتهيت أيضا الى أن التأمين التعاونى نظام تبيحه الشريعة الاسلامية لانها جعلت التعاون أمرا مفروضا بين أفراد المجتمع الاسلامى وأكدت أن الفردية أو السلبية ليست من خلال المؤمن لأن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

والفرق بين التأمين التجارى والتعاونى أن الاول تزاوله شركات تجارية لا رغبة فى أداء رسالة اجتماعية ولكن سعيا وراء الربح والثروة ، ومن ثم يخضع عقد التأمين التجارى لقواعد ومبادىء لا تحقق التعادل الكامل بين المؤمن والمستأمن .

وأما التأمين التعاونى فان القائمين به لا يسعون الى جر مغنم مادى منه ، فكل منهم يجمع بين صفة المؤمن والمستأمن ، وهم يسهمون فيه ليدرأوا عن أنفسهم وأموالهم ما قد يتعرضون له من أخطار وأضرار فى صورة تكافلية لا تعرف الاستغلال أو الاثراء على حساب الغير .

٢ ـ والجدير بالذكر أن كلا النظامين بمفهومهما القانوني الوضعي عرف في أوروبا وأمريكا قبل أن يعرف في العالم الاسلامي وقد شهد القرن الماضي زحف النظام التجاري الى بلادنا تحركه بواعث السيطرة والاستغلال ، وعملت الدعاية الرأسمالية اليهودية على التمكين لهذا النظام ، والحيلولة دون انتشار النظام التعاوني غير أن هذا النظام وجد أنصارا ودعاة أثبتوا أنه أولى من غيره فأخذ يشيع في أوروبا وأمريكا في الوقت الذي تضاعف القول فيه بوجوب تعميم النظام التجاري في البلاد الاسلامية ، واختلاف الفقهاء المسلمين حول شرعية هذا النظام .

واذا كان المفهوم الوضعي للتعاون (٢) يقوم على تبادل المنافع بين أفراد المجتمع دون أن يكون هناك استغلال من شخص لآخر أو من جماعة لأخرى ، فان مفهوم التعاون في الاسلام أشمل وأكرم من هذا المفهوم ، لأن الفرد في المجتمع الاسلامي لا تربطه بأخيه المصلحة المادية فحسب ولكن تربطه أولا صلة العقيدة التي هي أسمى وأقوى من وشائج القربى والنسب ، ولهذا لم يقف التعاون في الاسلام عند تبادل المنافع المادية كما أنه في الغالب كان وما يزال اعطاء دون انتظار لأخذ .

ان المجتمع الاسلامي مجتمع يؤمن كل أفراده بأنهم خلفاء على ما بأيديهم من ثروات ، فلا يعرفون الشح والأثرة ولا يكنزون الذهب والفضة ، ولكنهم ينفقون مما استخلفهم الله فيه كما أمرهم الله ، انه مجتمع شعاره الاخاء والتكافل والتعاون ولهذا كان كالجسد الواحد أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

٣ ـ ولهذا فان التأمين التعاوني الذي أعرض له هنا برسم صورة عامة لما يمكن أن يكون عليه من حيث التطبيق ليس هو نفس هذا التأمين بمفهومه الوضعي ، وان كان يسترشد به في بعض القواعد ، وذلك لأن المجتمع الاسلامي يجب ألا يلجأ الى التطبيق الحرفي لكل الانظمة التي يأخذها عن غيره مهما تكن صالحة ، وانما عليه أن يصبغها بالصبغة الاسلامية ليظل دائما متميزا بطابعه الخاص الذي مازه الله به .

ولهذا فان أول ما يجب العمل على تنفيذه في المجتمع الاسلامي لتحقيق أهداف التأمين التعاوني هو انشاء شركة تأمين حكومية تكون مهمتها جمع الزكاة وانفاقها في مصارفها المشروعة ، فالزكاة ضريبة تكافل بين القادرين والعاجزين في المجتمع الاسلامي ، وهي ليست احسانا من المعطي ، وليست شحاذة من الآخذ ، فما قام النظام الاجتماعي في الاسلام على التسول ولن يقوم ، ولكنها حق معلوم له وظيفة اجتماعية محددة ، والدولة مسئولة عن جمعها وتوزيعها ، حتى تؤدي رسالتها على أكمل وجه نحو من تجب عليهم ومن يستحقونها .

٤ ـ واذا كانت بعض الدول الاجنبية تتيه في هذا العصر لأنها دعت الى الضمان الاجتماعي (٣) فاننا مع تقدير كل عمل يحفظ للانسان انسانيته وكرامته ، نلاحظ أن لجوء هذه الدول الى الأخذ بالضمان الاجتماعي لم يكن خالصا من الدوافع السياسية والرغبات الذاتية وتملق الطوائف التي يخشى ثورتها وعصيانها ، فمثلا عندما قامت الحرب العالمية الثانية رأت بريطانيا وأمريكا ضرورة كسب ولاء الشعوب وبخاصة طبقاتها الفقيرة المساقة الى ميادين

القتال بشىء ملموس ذى أثر فعال ، لذلك أعلنتا ميثاق الاطلسى الذى بينت مادته الخامسة رغبة الدولتين فى التعاون الاقتصادى الوثيق بين الأمم لكى يتحقق للجميع خير الظروف للعمل والتقدم والرفاهية والضمان الاجتماعى ، كذلك اتهم بعض المسئولين الامريكيين الرئيس روزفلت بأنه نادى بمشروع الضمان الاجتماعى لكسب أصوات الناخبين فى المعركة الانتخابية .

أما الشريعة الاسلامية فانها نادت بالضمان الاجتماعى منذ أربعة عشر قرنا على أسس وطيدة من المبادىء الانسانية الخالدة والتكافل الاجتماعى الشامل الذى يرعى كل فرد يعيش فى المجتمع الاسلامى دون نظر الى عقيدته أو جنسيته ، والشواهد التاريخية أشهر من أن تذكر .

والزكاة ليست غير فرع من فروع التكافل الاجتماعى فى الاسلام ، وهى نظام يحقق غايات التأمين التعاونى لمن هم فى أمس الحاجة اليه ولكنهم لا يقدرون على الاسهام فيه ، ومن هنا ، فان انشاء شركة تأمين حكومية تكون مهمتها جمع الزكاة وانفاقها فى وجوهها المشروعة — فضلا عن أنه واجب الدولة فى الاسلام — هو خطوة على الطريق السديد للوصول بالمجتمع الاسلامى الى ما يجب أن يكون عليه من التعاون الكامل والترابط الوثيق والاخاء الصادق والايثار الكريم .

وتجدر الاشارة الى أن ضريبة الزكاة لا تغنى عنها ضريبة أخرى من الضرائب التى يفرضها ولى الأمر — عن طريق الشورى — رعاية للمصالح العامة ، لأن لهـا وظيفة اجتماعية لا سبيل الى القيام بها الا عن طريق أداء الزكاة ، وهى كما أشرت آنفا ليست استجداء فهى حق وضريبة تكافل بين القادرين والعاجزين فى الأمة .

٥ — على أن انشاء تلك الشركة التى تتولى جمع الزكاة وانفاقها اذا كان يحقق الضمان والامان لمن هم فى أمس الحاجة الى الرعاية والمعاونة ولكنهم لا يقدرون على الاسهام فى التأمين التعاونى ، فان الذين يقدرون على الاسهام فى هذا النظام يمكن تقسيمهم من حيث نوعية العمل (٤) وتقوم كل جماعة يضمها عمل مشترك مثل أساتذة الجامعات والقضاة والمدرسين والاطباء والعمال على اختلاف أنواعهم بانشاء جمعية تعاونية للتأمين يدفع كل فرد فيها نسبة معينة من راتبه الشهرى ، ثم تستثمر هذه الاموال بالطرق المشروعة وترصد لسد حاجات أفراد هذه الجماعة سواء فى حالات انتهاء الخدمة أو الحوادث أو العجز أو المرض أو الوفاة أو تزويج الاولاد ، طوعا لقواعد تفصيلية يمكن وضعها وفقا لحاجة الجماعة وظروفها الخاصة .

وتقوم نقابات المهن التعليمية فى مصر بلون من هذا التأمين فهى تأخذ من كل مدرس شهريا نحو ٢٥ قرشا فضلا عن ربع العلاوة السنوية ، وتدفع فى نهاية مدة الخدمة مبلغا يكاد يكون عين ما أخذته النقابة مقسطا ، واذا توفى المدرس فى أثناء الخدمة ودون أن يكون لاولاده معاش محدد فان النقابة تدفع لهم الفرق بين ما يحصلون عليه من الدولة وما يجب أن يكون عليه معاشهم حتى يستطيعوا مواجهة أعباء الحياة .

وما تقوم به هذه النقابات يمكن التوسع فى مجاله ليشمل حالات

المرض والسرقة وتزويج الاولاد حتى لا يلجأ بعض العاملين الى ما يسمى باستبدال المعاش لأن هذا الاستبدال يؤثر على رواتبهم سواء فى أثناء الخدمة أو بعد انتهائها .

٦ — وكانت وزارة الاوقاف فى مصر تؤمن على عقاراتها السكنية — وهى كثيرة — لدى الشركات التجارية للتأمين ، وبعد مرور عدة أعوام أدركت الوزارة أن أموالها ضاعت هباء ، وأن شركات التأمين قد ابتزت منها أموالا ضخمة ثم لم ترزأ الا بمبلغ تافه ، ودفعها هذا الى انشاء صندوق اعتبارى فى الوزارة للتأمين تدفع اليه الاقساط التى كانت تدفع الى شركات التأمين ، وتقوم هيئة مسئولة بالاشراف على أعمال هذا الصندوق واستثمار أمواله ، وترصد هذه الاموال لتعويض الخسائر التى تتعرض لها تلك العقارات من اصلاح أو تجديد أو غير ذلك .

والطريقة التى أخذت بها هذه الوزارة يمكن أن تأخذ بها كل المؤسسات الحكومية على أن تقوم هيئة للتأمين التعاونى على عقارات الدولة بمهمة الصندوق الذى أنشأته وزارة الأوقاف .

أما العقارات الخاصة فانها تقسم من حيث تبعيتها لأقسام الشرطة أو المدن ويدفع كل مالك سنويا قسطا معينا ، وتتولى هيئة للتأمين التعاونى على العقارات الخاصة جمع الاقساط واستثمارها وتعويض الخسائر التى تتعرض لها هذه العقارات .

٧ — وبعد ما تقدم يمكن عرض هذا الاقتراح الذى يتمشى فيما أرى مع روح الشريعة ومبادئها ولا تحوم حوله الشبهات ، وهو مع ذلك يحقق معنى التعاون الكامل فى المجتمع الاسلامى :

أولا : أن تنشأ مؤسسة عامة للزكاة لها فرع فى كل اقليم ، ويقوم كل فرع بجمع الزكاة واعطائها الى من تجب لهم ، وتكون مهمة المؤسسة الاشراف على التحصيل والانفاق واستثمار ما يفيض عن الحاجة وادخاره لوقت الضرورة ، وهذا يؤدى الى تأمين حياة من هم فى حاجة الى التأمين ولكنهم لا يقدرون على دفع أقساطه .

ثانيا: أن تنشأ مؤسسة عامة للتأمين التعاونى تكون رسالتها الاشراف على الجمعيات التعاونية التى تكونها كل جماعة يجمعها عمل مشترك .

ثالثا : أن تنشأ مؤسسة عامة للتأمين على العقارات الحكومية وغيرها تقوم بتحصيل الأقساط ورصدها لترميم آثار الاخطار التى تتعرض لها تلك العقارات .

وهذا الاقتراح ليس سوى فكرة مجملة أما التفاصيل فيمكن وضعها بعد ذلك .

٨ — ورب لقائل أن يقول ان تأميم شركات التأمين قد حل المشكلة لأن الدولة هى التى تحصل على الارباح وهذه تنفق فى المصالح العامة ، ولكن المشكلة أن هذه الشركات تخضع لنفس (٥) المبادىء التى كانت تسير عليها قبل التأميم ومن ثم فان الشبه العديدة التى أثيرت حول التأمين قبل تأميمه ما زالت قائمة بعد التأميم .

وهناك نقطة هامة تتعلق بالقسط وذلك لأن الشركات التجارية مؤممة

أو غير مؤممة تريد الحصول شهريا على قسط لا يقدر عليه كل فرد ولهذا يحجم كثيرون عن التأمين لا لأنهم لا يطمئنون اليه دينيا ولكن لأنهم يعجزون عن دفع ما يطلب منهم ، أما القسط فى التأمين التعاونى فانه يكون يسيرا وبخاصة اذا كان عدد المشتركين كثيرا وبذلك يستطيع أصحاب الدخول المحدودة الاسهام والافادة منه ، ونظرا لأن التأمين التعاونى ليست غايته تحقيق ربح لمساهمين وخدمات لآخرين كالتأمين التجارى فان مرور الأعوام واستثمار الاقساط قد يؤدى الى تخفيض قيمة القسط فى التأمين التعاونى الى درجة أن يصبح قروشا زهيدة لا تؤثر على دخل الفرد مهما يكن (٦) قليلا ، وقد لا يدفع القسط فى بعض السنوات .

٩ — ويرى بعض رجال الاقتصاد (٧) ضرورة الابقاء على الشركات التجارية للتأمين حتى بعد تأميمها بحجة أننا نستفيد من اعادة (٨) التأمين لدى الشركات الاجنبية فى كسب عملات صعبة تقدم لنا منها ، ولأن هذه الشركات تضم أجهزة فنية وآلافا من الموظفين الذين اذا نقلوا الى وظائف أخرى فان هذا يؤدى الى تبديد طاقات فى غير محلها، كما أن لشركات التأمين دورا هاما فى الوقاية من حدوث الكوارث فلها أجهزتها الفنية التى تقوم بتوجيه الارشادات اللازمة لوقاية المصانع والأفراد من مختلف الاخطار .

ولكن هذا لا يسوغ استمرار التأمين التجارى لان هؤلاء الموظفين يمكن أن يعملوا فى مؤسسات التأمين التعاونى كما تقوم الاجهزة الفنية بأداء مهمتها فى هذا المجال كذلك .

وأما العملات الصعبة التى نحصل عليها من الشركات الاجنبية عندما نعيد التأمين لديها فان ما يدفع لهذه الشركات بالعملات الصعبة قد يكون أكثر مما يرد الينا ، وقد لا يرد الينا شىء مطلقا فيؤدى هذا الى خسارة تلحق بالاقتصاد القومى .

وقد كانت شركات التأمين فى مصر قبل سنة ١٩٥٦ مسرحا للفوضى والتلاعب ، وكانت اعادة التأمين لدى الشركات الاجنبية وسيلة لتهريب الأموال الى الخارج ، وكان صافى خسائر البلاد عن طريق اعادة التأمين فى الخارج يقدر بنصف مليون جنيه تخرج من مصر فى صورة عملات أجنبية ، ولهذا أنشأت الدولة فى مصر شركة لاعادة التأمين فى البلاد حتى لا تتسرب الاموال الى الخارج (٩) .

١٠ — وبعد فان الذى لا خلاف عليه أن الحياة الراهنة قد تعددت مشكلاتها وأن الناس يتوجسون كل يوم من أخطارها ، وأنهم فى حاجة الى نظام يكفل لهم الضمان والأمان ، بيد أن هذه الحاجة لا تفرض علينا أن نأخذ عن سوانا دون نظر الى علاقة ما نأخذ بأصول شريعتنا وقواعد ديننا . ان الاسلام دين صالح لكل زمان وكل مكان وهذه الصلاحية مصدرها حيوية هذا الدين واحترامه للعقل البشرى ، ولكن من الخطورة بمكان أن تستغل دعوى صلاحية الاسلام هذه استغلالا يجعلنا نتخلى عن تعاليم هذا الدين شيئا فشيئا لان ذلك سيقود هذه الأمة — لا قدر الله — الى زمن لا يبقى لها فيه من دينها الذى مكن لها فى الارض وجعلها خير أمة أخرجت للناس الا اسمه فقط .

ومن أجل الاسهام فى تقديم ما يحقق للناس ما يتطلعون اليه فى هذا

العصر من أمان وضمان عرضت هذا المنهج الذى لا أزعم أنه كامل أو صالح كل الصلاحية للتطبيق . ولكنه محاولة نطمع أن تنال من المختصين بعض العناية والاهتمام بغية الوصول الى منهج تأمينى يتفق مع أصول ديننا ويحقق للمجتمع التكافل والتضامن والأمان والاستقرار .

والذى أود الاشارة اليه أخيرا أن الاسلام كل لا يتجزأ وأن العبادات فيه لا تنفصل عن المعاملات ، وأنه بعد ذلك لا بد أن تكون له دولة تحميه وترعاه حتى لا يساء اليه أو يفرط فى أداء شعائره .

---

١) العدد الستون .

٢) أنظر التعاون من الناحيتين المذهبية والتشريعية للدكتور محمد حلمى مراد ص ١٢ .

٣) الضمان الاجتماعى تعبير لم يعرف الا فى العصر الحديث وقد ظهر لأول مرة فى عالم التشريع عام ١٩٣٥ حين أصدرت أمريكا قانون الضمان الاجتماعى ، ويقصد به ضمان قدر معين من الدخل للفرد كحد أدنى أو تقديم مساعدة له فى حالة البطالة أو المرض أو الشيخوخة (انظر مقدمة الضمان الاجتماعى للدكتور مهدى السعيد) .

٤) كان المرحوم الاستاذ محب الدين الخطيب من الداعين الى هذا النظام من التأمين بدلا من النظام التجارى الذى حكم عليه بأنه غير جائز شرعا .

(انظر مجلة الأزهر المجلد السادس والعشرون العدد ٥ ، ٦) .

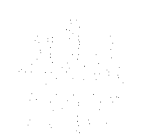
٥) الوسيط فى شرح القانون المدنى الجديد للدكتور السنهورى جـ ٧ ص ١١٠٩

٦) أنظر فلسفة النظام التعاونى ص ١٧٩

٧) أنظر لمحات فى اقتصادنا المعاصر للدكتور مظلوم حمدى ص ٢٣١

٨) اعادة التأمين : عقد بمقتضاه تلتزم احدى شركات التأمين بالمساهمة فى تحمل أعباء المخاطر المؤمن منها لدى شركة أخرى .
(راجع شرح القانون المدنى الجديد فى التأمين للدكتور محمد على عرفه ص ١٧٥)

٩) أنظر مجلة الاهرام الاقتصادى العدد ١٨٨



من المعارك الخالدة في تاريخ الاسلام

موقعة عين جالوت

الموقعة التي قضت على أطماع التتار وخلصت العالم من شر مستطير

للأستاذ : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

((ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)) (صدق الله العظيم)
آية (٤٠) من سورة الحج .

عاش ((التتار)) فى الهضبة الآسيوية الشاسعة المترامية الاطراف ، والتى تمتد من أطراف ((الصين)) الى أواسط ((آسيا)) ، واشتغلوا بالرعى ، والانتقال السريع على ظهور الخيل ، حتى تبدو حركاتهم وراء الرزق زحفا حربيا سريعا .

وفى ظل هذه الحياة القاسية نشأت قبائل ((التتار)) ، وترعرعت على أعمال العنف ، وتحايلت فى الحصول على أسباب العيش ، وأصبحت مظاهر حياتهم متميزة بالخشونة .

ولم يبدأ التاريخ الاسود لهذه القبائل الا بعد ظهور زعيمهم ((جنكيزخان)) الذى لم شملهم وجمعهم تحت شعار تميز به ، وعرف عنه ، وهو : أن الحياة للقوى وحده ولا مكان للضعيف فيها .

ومعنى كلمة (جنكيزخان) فى لغة « التتار » أعظم الحكام ، أو امبراطور البشر كله . وقد صار هذا اللقب عنوانا على الظلم ، والجبروت ، والتدمير ، والتخريب ، وعلى كل ما اقترفه « التتار » فى تحركاتهم التوسعية ، كما أصبح اسم « جنكيزخان » دلالة على غضب الله عز وجل ، ونذيرا بنقمتــه اذا نزل « التتار » بأى أرض أو حلوا بأى قطر .

وقد تميزت خططهم الحربية بالدقة والعنف ، وحسن تنفيذ القائمين عليها ، وذلك لأنها درست دراسة وافية مستفيضة ، واستغرقت وقتا كافيا لاعدادها ، وقد جرت عادة « التتار » على أن يحكموا خططهم احكاما دقيقا حتى يفاجئوا عدوهم ، ولا يتيحوا له أية فرصة ينجو بها من خطرهم ، ويفلت من شباك الدمار والخراب والموت التى ينصبونها له ، ويضاف الى ذلك أن خطط « التتار » بنيت على أساس متين من المعلومات الدقيقة .

وهذه المعلومات كان ينقلها اليهم جواسيسهم المدربون تدريبا كاملا ، والذين كانوا منتشرين فى الاقطار المجاورة لبلادهم .

جنكيز خان والشرق العربى :

بعد أن تمكن (جنكيز خان) من اخضاع معظم « التتار » لسلطانه ونفوذه ، اتجه ناحية الغرب ، فاصطدم بالسور الامامى الذى يحمى بلاد الشرق العربى ، من خطر قبائل البدو فى وسط آسيا وكان هذا السور ممتدا فى أرض خراسان بالشمال الشرقى من فارس ، وفى بلاد ما وراء النهر التى يجرى فيهــا نهرا سيحون وجيحون ، وقد انتشرت فى تلك المنطقــة المدن العــامرة ، والمواقع الاستراتيجية الهامة ، التى تؤدى مباشرة الى اقليم العراق من أرض الشرق العربى ، ومن هذه المدن (بخارى) التى علا صيتها ، وذاع اسمها بعلمائهــا المشهورين فى الحديث الشريف والفقه الاسلامى ، ومدينة (سمرقند) التى اشتهرت بأسوارها الحصينة المنيعة ، وحدائقها الغناء النضرة .

وقد حل بتلك المدن وغيرها الدمار والخراب على أيدى (التتار) الذين قتلوا أهلها ، وذبحوا علماءها وفقهاءها ، واحتلوا رقعتها الواسعة .

غزو العراق وسقوط بغداد :

تحرك « هولاكو » بعد أن قضى على الدولة الاسماعيلية وســار مباشرة صوب « بغداد » ، وبعث فى الوقت نفسه جيشا آخر للزحف على « بغداد » عن طريق « تكريت » و « الموصل » ، تحت قيادة « بايجونوين » ، وكان عدد القوات المقاتلة التى تحت امرة « هولاكو » وحده ثلاثين ألف مقاتل .

وزحفت جيوش « التتار » زحفا سريعا نحو « بغداد » وأصبحت قوات « بايجونوين » على مقربة من « بغداد » واشتبكت مع جيوش الخليفة العباسى فى قتال عنيف ، على الضفة الغربية من نهر « دجلة » وهزمتهم هزيمة فادحة ، حيث غرق عدد كبير وانسحبت القوات الباقية ، ثم أخذ القائد التتارى يوالى

زحفه حتى اقترب من دار الخلافة نفسها ، وصار لا يفصله عنها سوى نهـر « دجلة » .

وفى نفس الوقت هاجم « هولاكو » مدينة « بغداد » من الضفة الشرقية وأحاط بها ، وأصبحت (بغداد) أسيرة الحصار التتارى ، وسرعان ما سقطت حاضرة الخلافة الاسلامية فى أيدى (التتار) ، فقتلوا الخليفة أشنع قتلة ، ثم مضوا ينتهبون المنازل ويعتدون على الاعراض ، ويريقون الدماء ، ويخربون المساجد ، والجوامع ، وعمدوا الى المكتبات فألقوا بما فيها فى نهر (دجلة) ، واتخذوا منها جسرا تمر عليه خيولهم ، وظلوا فى عدوانهم الاثيم مدة أربعين يوما قتل خلالها قرابة مليونى نفس من المسلمين ، وكان ذلك فى شهر المحرم سنة ٦٥٦ من الهجرة ، التى تعتبر أسوأ سنة مرت بالشرق العربى ، وقد وصفها خطيب بغداد فى الجمعة الاخيرة بقوله : « اللهم أجرنا فى مصيبتنا التى لم يصب الاسلام وأهله بمثلها وانا لله وانا اليه راجعون » .

الممـاليك :

صاحب قيام دولة المماليك فى مصر تطورات داخلية سريعـة ، ذلك أن شجرة الدر قد تآمرت على زوجها عز الدين أيبك ودبرت خطة لقتله ، فأثار قتله غضب المماليك ، فولوا مكانه ابنه المنصور نور الدين الذى كان طفلا لا يتجاوز الخامسة من عمره ، وقتلوا شجرة الدر انتقاما لرئيسهم ، غير أن مدة حـكم المنصور لم تطل ، فسرعان ما ظهر خطر التتار على البلاد الاسلامية ، وسقطت بغداد فى أيديهم وقضوا على الخلافة العباسية ، ثم ابتدأوا يتحركون صـوب بلاد « الشام » ، وحينئذ أدرك المماليك أن هذا الخطر يتطلب سلطانا قويا ، قاهرا يوقفه عند حده ويقضى عليه ، والملك المنصور طفل لا يقدر على القيـام بأعباء الحكم وتدبير شئون المملكة .

وتم عزل المنصور ، ونصب سيف الدين قطز نفسه سلطانا على « مصر » ، وفى ذلك الحين كانت بلاد « الشام » الاسلامية قد وقعت فى قبضة « التتار » ودانت لسلطانهم ، ولم يبق خارج نطاق نفوذهم غير الحجاز ، ومصر ، واليمن .

انذار من التتار :

رسالة هولاكو الى قطز :

بعث هولاكو أثناء وجوده فى بلاد الشام بانذار الى سيف الدين قطز ، يطالبه فيه بالاستسلام ، ويذكر له أن التتار قد غزوا جميع البلاد ، ولم تستطع أى قوة أن تردهم أو تقف فى طريقهم .

« انا نحن جند الله فى أرضه ، خلقنا من سخطه وسلطنا على من حل به غضبه ، فلكم بجميع البلاد معتبر ، ومن عزمنا مزدجر ، فاتعظـوا بغيركم ، وأسلموا الينا أمركم قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا ، ويعود عليكم الخطأ ، فنحن ما نرحم من بكى ، ولا نرق لمن شكا ، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد ، وطهرنا الارض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد ، فعليكم بالهرب وعلينا الطلب ، فأى

أرض تؤويكم ؟ وأى طريق تنجيكم ؟ وأى بلاد تحميكم ؟ فما لكم من سيوفنا خلاص ولا من مهابتنا مناص » .

وكان الوفد الذى حمل رسالة « هولاكو » الى قطز يتألف من بضعة عشر رجلا يرأسهم خمسة من كبار « التتار » الذين يجيدون التحدث باللغة العربية اجادة تامة . وكان بصحبة الوفد صبى تترى .

وعندما قرأ قطز رسالة « هولاكو » جمع أمراء المماليك لأخذ مشورتهم فيما يجب أن يفعله ، فكان رأى أكثرهم التلطف فى الرد على رسالة « هولاكو » دفعا لشره ، ثم يتفقون معه على قدر معين من المال يدفعونه اليه كل عام بصفة جزية ، وبذلك يتحاشون هجومه على البلاد واهلاك الحرث ، والنسل ، وكاد اجماعهم يكون عاما ، على أنه لا فائدة من محاربة « التتار » ، واللين فى مثل هذا الموقف أفضل من الشدة ، فانه لا طاقة لهم بهم .

أثار هذا الرأى غضب قطز عقب سماعه ، وبدت آثار الغضب على وجهه ، وتغير لونه حتى كاد يقطر دما من شدة احمراره ، ثم عمد الى رئيس الجماعة الذى يمثلهم ويتحدث بلسانهم وانتزع منه سيفه وحطمه على ركبته ، ثم ألقاه على الارض فى وجهه وصاح فيه قائلا : « ان السيف الذى يجبن حامله على القتال لخليق به أن يكسر هكذا ويلقى فى وجه صاحبه » .

تصرف حاسم :

أمر قطز باحضار أعضاء الوفد للمثول بين يديه ، فأحضروا ، فقال لرجاله : « اصنعوا بهم ما أمرتكم به » فخرجوا بهم من مجلسه ما عدا أحد الرسل فقد استبقاه عنده ، ونودى فى الناس ليخرجوا ويشاهدوا أعضاء وفد هولاكو فخرج الرجال ، والنساء ، والاطفال لرؤيتهم ، وقد أركبوا على ابل وقد شد وثاقهم ، ووجوههم متجهة نحو ذيول الابل ، وسارت جموع الناس تحيط بهم ، وأخذوا يهتفون ، ويصيحون ، ويشيرون بأيديهم فرحا ، وبعد وصول الموكب الى سوق الخيل قتلوا أحد الرسل وعلقوا رأسه بالسوق ، وعندما بلغوا باب زويلة قتلوا الثانى وعلقوا رأسه بالباب ، وعلقوا رأس الثالث على باب النصر ، والرابع بصحراء الريدانية ، ثم أنزل الباقون وقتلوا دفعة واحدة .

وأمام باب القلعة أمر قطز باحضار الرسول الذى كان قد استبقاه واستثناه من القتل ، ليجعله يرى ما يحل باخوانه ، ويشاهد أيضا استعراضا للجيش الاسلامى ، ثم قال له : « أخبر مولاك اللعين بما شاهدته من بعض قواتنا ، وقل له ان رجالنا ليسوا كمن شاهدهم من الرجال قبلنا ، وقل لمولاك اننا استبقينا الصبى التترى لنملكه فى بلادكم عندما نكسركم ونمزقكم كل ممزق » ثم كلف فرقة من جنوده بحراسته والمحافظة على حياته ، وتوصيله الى حدود البلاد حتى يعود الى « هولاكو » سالما .

وهنا قد يسأل سائل فيقول : كيف يتأتى لحاكم مسلم يفهم الشريعة الاسلامية ويفقهها أن يأمر بقتل رسل أعدائه ، وهو يعلم تمام العلم أن الاسلام يحرم ارتكاب مثل هذا العمل ؟

فيكون الجواب : ان التتار لم يكونوا فى يوم ما أهلا للتعامل بقوانين

الشريعة الاسلامية ، أو بأى قانون آخر من القوانين ، فعوملوا بمثل معاملتهم ، فقد كانوا يقتلون الرسل .

الاستعداد للمعركة :

لم يكتف سيف الدين قطز بتجهيز جيش ضخم قوى لمواجهة « التتار » ، بل صمم على أن يقيم أمامهم جبهة قوية موحدة من ملوك « الشام » وكان يعلم مقدار خوفهم من « التتار » وميلهم الى مسالمتهم وموادعتهم ، فأرسل الى كل ملك من ملوك الشام رسالة يبين له فيها صدق عزمه على مقاتلة التتار ، وانه قد أعد لهم جيشا لا طاقة لهم به ، وأنه يعتبر بلاد الشام قلاعا وحصونا أمامية لـ « مصر » ، وأن سقوطها فى أيدى التتار يعد خطرا على بقية الدول الاسلامية ويهدد سلامتها ، ويؤكد لهم قطز فى رسالته أنه لا يطمع فى ملك الشام ، وانما هدفه هو صد ووقف هذا الزحف التترى الجارف الذى يكتسح كل شىء فى طريقه ويدمر ويهلك كل من يقف فى طريقه .

بيد أن هجمات التتار كانت قد اشتدت على بلاد الشام ووقعت غالبية البلاد فى قبضتهم فلجأ ملوكها الى قطز فأكرم وفادتهم ، وجعلهم يشتركون معه فى تحمل تبعة الجهاد فى سبيل الله .

وكان قطز يريد تأجيل التحرك بجنوده الى ما بعد انقضاء شهر رمضان الذى حل ، الا أن تحركات التتار صوب مصر كانت أسرع من أن تدع له فرصة الانتظار حتى ينقضى شهر رمضان ، فقد أتت اليه الانباء بأن طلائع التتار قد وصلت الى مدينة غزة ، وبلدة الخليل ، وقتلوا الرجال ، وسبوا النساء ، والصبيان ، ونهبوا الاسواق ، وارتكبوا من الجرائم ما تتفتت له الاكباد ، وتقشعر منه الابدان ، فلم يعد أمام قطز الا أن يسرع لمجابهتهم ، والتعجيل بالخروج لمناجزتهم ، فنودى فى الناس بالاستعداد للخروج جهادا فى سبيل الله .

وأمر قطز قواته بالتحرك الى « الصالحية » ، وفى الصالحية انتظر قطز حتى تكاملت عدة الجيش وعتاده ، وانتظر أيضا تكامل الامراء .

وعندما تكامل جميع الامراء عقد مجلسا عسكريا للمشاورة وتبادل الآراء ، وتحدث قطز عن المسير لمواجهة التتار ، وعن ضرورة تحركهم لملاقاتهم ، فأبى عليه ذلك عدد كبير من الامراء ، وتمسكوا بعدم مغادرتهم الصالحية ، حتى تأتى جيوش التتار فيصدوها عن البلاد

استشاط قطز غضبا عند سماعه لكلامهم هذا ، وتأثر تأثرا شديدا لدرجة أن لسانه انعقد فلم يستطع النطق لبضع لحظات ، ثم ما لبث أن انفجر فيهم صائحا وهو يقول : « بئس الرأى الضعيف رأيكم ، أما والله ما حملكم على هذا الا الجبن ، والهلع من سيوف التتار أن تقطع رقابكم هذه « ألم تعلموا أنه ما غزى قوم فى عقر دارهم الا ذلوا » . ثم استطرد فى كلامه قائلا : والله لأتوجهن بمن معى لقتال أعداء الله ، فمن اختار الجهاد منكم فليصحبنى ، ومن لم يشأ فليرجع غير مأسوف عليه ، فان الله مطلع عليه » .

ولم يكد قطز يتم حديثه حتى أسرع بالاشارة الى الامراء الذين أيدوا رأيه

بالزحف أن ينعزلوا فى ناحية ، ثم طلب منهم أن يبايعوه على المسير لقتال أعداء الله والاسلام ، فبايعوه على النضال ، والقتال ، حتى الموت ، فلم يجد بقية الامراء الذين خالفوه فى الرأى مناصا من الموافقة على المسير ، وهكذا وحد قطز الرأى فى جيشه وجمعه على كلمة واحدة .

زحف ومناوشات :

أمر قطز جيشه بأن يأخذ نصيبا من الراحة استعدادا للمهمة الخطرة التى ستواجهه ، ورتب فرقا من الجنود لتسهر على حراسة الحدود وبخاصة الجهات الامامية نحو الشام حتى لا تأتى طلائع التتار فتفاجئهم وتأخذهم على غرة .

وفى الربع الاخير من الليل قام قطز من نومه وأيقظ قواده ، وطلب منهم اصدار الاوامر للجنود بالتحرك ، وكلف ركن الدين بيبرس أن يستطلع أخبار التتار ، وكانت استطلاعاته على درجة ممتازة من الكفاءة ، وجعله قائدا على القوات الطليعية للجيش .

وقد دلت هذه الخطة العسكرية التى رسمها قطز على مدى ما كان يتمتع به من ذكاء ، وخبرة ودراية واسعة بالفنون الحربية ، فقد كان يرى أن الهجوم خير من انتظار الاعداء حتى يصلوا اليه ، وأن عنصر المباغتة والمفاجأة من أعظم الاسلحة الحربية .

وبقدر ما كان قطز قائدا حربيا كان سياسيا محنكا يدرك الاثر القوى الذى تحدثه العوامل النفسية فى رفع الروح المعنوية فى نفوس الجند ، ولذلك فقد وفق تمام التوفيق فى اختياره لركن الدين بيبرس ليكون قائدا للجيش الاستطلاعى ويعتبر هذا الاختيار بمثابة وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، فبيبرس صاحب انتصارات باهرة فى كل معركة خاضها .

ونجح قطز فى أولى مراحل زحفه ، فبمجرد وصول بيبرس الى أطراف الحدود المصرية علم أن طلائع جيش التتار موجودة فى مدينة غزة فأسرع الى مجابهتها غير هياب ولا وجل ، وسرعان ما دب الوهن فى نفوس التتار الذين فوجئوا بالجيش الاسلامى يزحف عليهم زحفا لم يكن فى حسبانهم فهربوا من غزة مسجلين أول انسحاب لهم فى تاريخهم الحربى ، ودخل بيبرس « غزة » ، ومهد الطرق المؤدية اليها لتستقبل القوات الرئيسية .

ووصل قطز الى مدينة غزة ، فمكث بها ليلة ، ثم تابع زحفه لمواجهة التتار ، واختار طريق الساحل حتى وصل الى مدينة عكا ، التى كانت معقلا وملاذا للبقية الباقية من الصليبيين ببلاد الشام ، بعد أن فقدوا كل ما كانوا يحتلونه من أراضى تلك البلاد على يد صلاح الدين البطل المسلم .

ولقد أظهر قطز مهارة سياسية وبعد نظر ، وانتفاعا بكل ما مر به من التجارب ، فلم ينس محاولات الصليبيين عقد محالفات مع التتار ضد المسلمين ، لذلك لم يغتر بمظاهر ترحيبهم به ، بل كان يشعر ازاءهم بشعور الحذر المرتاب عندما أبدوا له استعدادهم لمعاونته بكل ما يحتاج اليه فى حربه مع عدوه .

ولم يبين لهم قطز أنه مرتاب فى أمرهم ، بل وضح لهم أن كل ما يطلبه

ويبتغيه منهم هو أن يقفوا موقفا حياديا فلا يكونون معه أو ضده ، وأقسم لهم أنه لو تبعه فارس منهم أو راجل بغية الحاق أذى أو ضرر بجيش المسلمين ، لرجع اليهم وحاربهم قبل أن يواجه التتار .

واستمر قطز فى تنفيذ خطته التى تعتمد على المبادأة أو المبادرة بالهجوم ، فأصدر أمره الى بيبرس بأن يتابع هجماته وغاراته الجريئة على قوات التتار المتفرقة فى نواحى بلاد الشام ، والتصدى لطلائعهم التى كانت توالى ارهاب الاهالى وتشيع الفزع والرعب بينهم ، فقام بيبرس بتنفيذ هذا الامر وأظهر مهارة حربية جبارة فى مناوشة التتار ، وفى الكر والفر ، حتى وقف على أخبارهم ، وعرف مدى امكانياتهم ، وقوتهم وأماكن تجمعهم ، وصار على علم تام بكل خططهم وتكتيكاتهم ، ثم بعث بكل هذه المعلومات الى قطز .

موقعة عين جالوت :

وظل قطز يتابع سيره حتى انضم الى بيبرس عند « عين جالوت » ، وهناك نظم قواته وجعلها فى حالة استعداد وتأهب ، ثم عقد مجلسا عسكريا لرسم خطة المعركة ودراستها ، وقد اشترك فى هذا المجلس الامراء ، وقواد الفرق ، وألقى قطز فى المجلس كلمة بليغة مؤثرة ملأت صدور الحاضرين حماسة ، وتعطشا للجهاد ، فذكرهم بأنهم فى معركة الهدف منها نصر الاسلام ، وانقاذ المسلمين ، فهى معركة جهاد ، ونضال فى سبيل الله ، وحذرهم من غضب الله سبحانه وعقابه اذا هم وهنوا ، أو تقاعدوا ، أو تهاونوا فى المعركة ، فلا مفر من الاقدام والتضحية ، والثبات ، حتى لا ينزل بهم التتار ما أنزلوه بغيرهم من قتل ، وأسر ، وخراب ، وتدمير .

ومضى قطز فى كلمته يزيد من حماستهم بذكر العديد من مساوىء التتار ، حتى تأثر الامراء ، وقواد الفرق الحربية وأجهشوا بالبكاء من شدة تأثرهم ، وصمموا على القتال حتى يتم لهم احراز النصر ، أو يموتوا شهداء فى سبيل الله والوطن .

وفى صبيحة يوم الجمعة ١٥ من رمضان سنة ٦٥٨ هـ ، التقت طلائع الجيش الاسلامى بطلائع التتار فهزمتها هزيمة ساحقة ، بيد أن التتار تمكنوا فى صباح اليوم التالى من اعادة تنظيم قواتهم ، واحتلوا المنطقة الجبلية من أرض المعركة ، وأصبح منظرهم يثير الرهبة والرعب ، خاصة وأنهم كانوا يستعدون للانتقام للضربة التى لحقت بهم ، متأهبين للدخول فى معركة فاصلة وحاسمة ، ومما زاد من خطورة الموقف كثرة الضوضاء والرعب الذى حل بأهالى القرى المجاورة .

المعـــركة :

وحلت ليلة الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ، وقطز مخيم بجنوده فى « عين جالوت » ، وفى مواجهته معسكر التتار الذى تتوافد عليه جماعاتهم

طوال الليل ، وكلا الفريقين ينتظر بفارغ الصبر طلوع النهار ، وهو على يقين من أن الغد سيكون هو اليوم الفاصل الحاسم .

وطوال تلك الليلة لم يأو قطز الى فراشه ، وانما ظل ساهرا مسهدا ، وعندما غلبه النعاس من شدة التعب نام على مقعده ، ولم يضع جنبه على الارض .

وكان « هولاكو » قد رحل عن بلاد الشام راجعا الى بلاده عندما وصلته الانباء بوفاة أخيه « منكوخان » ملك التتار ، فأناب عنه فى قيادة الجيش «كتبغا» وأمره بمواصلة القتال والزحف حتى يصل الى مصر .

وفى الصباح وقف الجيشان وجها لوجه ، وخشى كل منهما لقاء الآخر ، فقد كانت هذه المعركة بالنسبة لكل منهما معركة مصيرية ، وعاق كل منهما أمر أخر دخوله فى المعركة ، فالتتار وقفوا ينتظرون وصول قائدهم « كتبغا » الذى لم يكن موجودا وقتئذ ، والمسلمون ينتظرون موعد حلول صلاة الجمعة ليبدأوا فى قتال عدوهم .

ولم تطل مدة المواجهة بين الجيشين ، فقد وصل « كتبغا » ، ونظم جنوده ، وسرعان ما تقارب الفريقان ، فأخذت سهام التتار تمرق بين صفوف المسلمين ، وعندما اشتد الامر أمر قطز جنوده بالهجوم ، فتقدموا الى الامام حتى تلاحمت الصفوف وتصافحت السيوف ، ودارت رحى الحرب واشتعلت نيرانها ، وأظهر كل من الفريقين استبسالا عظيما ، غير أن كفة المسلمين كانت هى الراجحة على كفة عدوهم .

وكان قطز فى قلب الجيش الاسلامى يتابع القتال بصدر منشرح ، والفرحة تطل من عينيه ، فقد سره أن يرى جنوده يهاجمون التتار بعد أن كانوا يتهيبون لقاءهم ، ويظنون أنهم قوم لا يقهرون .

وكان الصبى التترى الذى أبقى قطز على حياته ليكون ملكا على التتار واقفا على فرسه بين مماليك قطز ، فقال له قطز : « تقدم يا ملك التتار » ، فشق الصبى صفوف المسلمين أمامه ، ثم اقتحم صفوف التتار وراح يضرب فيهم بسيفه يمينا ويسارا ثم يتخلص منهم ويعود الى صفوف المسلمين ، ويقف فى نفس مكانه الاول على يسار قطز الذى يشجعه قائلا : « مرحى يا ملك التتار » .

وقد حدث هذا الفعل من الصبى مرارا ، فصار المسلمون يفسحون له الطريق اذا ذهب منطلقا كالسهم الى صفوف التتار ، أو اذا قفل عائدا اليهم ، وهم مندهشون من بطولته وشجاعته ، ويقولون له : « احمل يا ملك التتار ، مرحى يا ملك التتار » .

بيد أن الصبى التترى لم يكن يقوم بهذا العمل الا بدافع حبه لبنى جنسه ، فقد كان يبلغهم كل ما يريدون معرفته من معلومات عن الجيش الاسلامى فى كل مرة من مرات ذهابه اليهم ، ودلهم على المكان الذى به قطز ، وقد تم وضع خطة مؤداها أن يتبع فرسان من التتار الصبى أثناء رجوعه الى جيش المسلمين ، فيتمكنوا من قتل قطز قائد الجيش ، فتتحطم بذلك معنويات الجنود ويسهل عليهم الحاق الهزيمة بالمسلمين .

وقد لاحظت « جلنار » زوجة قطز ذلك ، اذ كانت ممتطية صهوة جوادها تلاحظ ما يدور فى المعركة ، وانها لكذلك اذ رأت الصبى التترى يهجم على التتار كعادته ، ثم يرجع مسرعا ووراءه خمسة جنـــود تتاريين مندفعين نحو قطز ، ففوجىء قطز ودهش ، وبهت الرجال من حوله واضطربوا ، ولكن قطز واجههم بسيفه فقتل منهم ثلاثة ، وأصيب فرسه فترجل ، وعند ذلك قصده الفارســـــان التتاريان فأخذ يقاتلهما ، ثم قصد أحدهما وضرب قوائم فرســــه فوقعت به ، وأوشك الفارس التترى الآخر أن يعلو ظهر قطز بسيفه الا أن فارسا ملثما برز له شغله عن قطز ، فتبادلا ضربتين بالسيف سقطا صريعين على أثرهما ، وصاح الفارس الملثم قائلا : « يا سلطان المسلمين ، ها قد سبقتك الى الجنة » ، وكان هذا الفارس قد قتل الصبى التترى .

وتنبه فرسان الحرس لمـــا يرمى اليه التتار فالتفوا حول قطز ، وقتلوا الفارس الذى ضرب قطز فرسه ، وضموا الصفوف الامامية ، ووقفوا ســـدا منيعا لحماية قطز ، فلم يتركوا لأحد فرصة الوصول الى قطز أو الاقتراب منه .

وتذكر قطز صوت الفارس الملثم الذى كان السبب فى نجاته ، وشك فى أمره ، فذهب اليه وكشف عنه نقابه ، فاذا هو زوجته « جلنار » التى كانت تلفظ أنفاسها الاخيرة ، فراعه الامر وحملها بين يديه وهو لا يدرى ماذا يفعل ، وأرسل الى بيبرس الذى كان يتولى قيادة ميسرة الجيش أن يتولى مكانه ، وحمل زوجته الجريحة الى خيمته وأرقدها على فراشه ، وأخذ يقبل جبينها والدموع تنهمر من عينيه وهو يقول لها : « وازوجتاه ، واحبيبتاه » ففتحت عينيها على صوته ، وظهرت ابتسامة على شفتيها عندما رأت وجهه ، وقالت له فى صوت خافت واهن : « لا تقل واحبيبتاه . . قل واإسلاماه » ، وما لبثت أن لفظت آخر أنفاسها بين يديه ، فطبع على جبينها قبلة الوداع ، وجفف دموعه ، وقلبه يكاد ينفطر من الالم ، وقام من فوره وخرج من خيمته وركب فرســـا أسرع به الى ميـــدان الجهاد .

وعندما رآه جنوده يأخذ مكانه فى قلب المعركة هتفوا جميعا فى صـــوت واحد : « الله أكبر » ، وتمثلت لهم بطولة السلطانة الشهيدة فهانت عليهم أنفسهم وتحمسوا للقتال ، وقاتلوا فى بسالة قتال المستميت ، ولمـــا رأى « التتار » ذلك هجموا على المسلمين واستبسلوا فى القتـــال ، فحدث اضطراب فى ميمنـــة المسلمين ، وواجه قلب الجيش حملات شديدة من التتاريين ، فاضـــطر تحت الضغط الى أن يتقهقر قليلا الى الوراء ، وعندما رأى قطز ذلك تقدم الى الامام وكشف عنه خوذته وألقاها على الارض ، وصاح بأعلى صوته : « واإسلاماه ، واإسلاماه ، وإسلاماه . يا الله ، انصر عبدك قطز على التتار » ، وهجم بعزم وشدة وصلابة بمن معه هجمة صادقة ، وراح صوته يدوى فى أنحاء غور « عين جالوت » ، فردد جنوده النداء معه ، وهجموا معه هجوما عنيفا قويت به الميمنة ، فتقدمت ببطء شديد من جموع « التتار » الذين حاولوا منهـــا تطويق الجيش الاسلامى ورأى قطز « كتبغا » قائد التتار يصول ويجول ويضرب بسيفين ، وكلما أصيب فرسه استبدله بآخر ، وهو يتحين الفرصة ليشق لبعض رجاله طريقـــا يصلون منه الى قطز .

وأبصر قطز وهو يحارب عارى الرأس سهما مسددا نحوه ، فشد عنـــان

جواده ، فوثب الجواد قائما على رجليه ، فنفذ السهم فى صدره وتداعى ، فنزل من فوقه قطز وظل يقاتل وهو مترجل ويقول : « الى بجواد » ، فأراد أحد جنوده أن يتنازل له عن فرسه فرفض وأبى وقال له : « اثبت مكانك . ما كنت لأمنع المسلمين الانتفاع بك فى هذا الوقت » . وأخذ يحث جنوده على أن يوسعوا الطريق الذى شقوه فى صفوف العدو ليصنع بذلك حاجزا قويا بين ميسرة العدو وسائر جيشه ، ولم يزل هذا الحاجز يتسع بصفوف جيش المسلمين التى تندفع فيه حتى انكشف المكان الذى به « كتبغا » قائد التتـــار ، وأراد قطز أن يلقـــاه ولكن جنوده تقدموه محاولين صده ، غير أن قطز زجرهم قائلا : « دعونى له ، ليس له قاتل غيرى ، أريد أن أقتله بيدى » .

ولم يتحقق أمل قطز ، فقد قتل قائد التتار أحد الامراء ، وعلم المسلمون بمصرع قائد الاعداء الذى لا يقهر ، فصاحوا جميعا مكبرين تكبيرة ألقت الذعر والرعب ، فى نفوس التتار ، فازداد هلعهم ، واختلت صفوفهم ، وتزعزعت ، وابتدأوا يتقهقرون .

وعندما رأى قطز ذلك أمر جنوده الذين كونوا حاجزا بمساعدة صـــفوف الميمنة على أن يطوقوا ميسرة العدو تطويقا كاملا ، ثم اندفع بالقلب لمســاعدة ميسرة المسلمين التى عليها بيبرس فى تطويق من لم يستطع الهرب من قلب العدو وميمنته ، فحوصر معظم جيش التتـــار فى هاتين الدائرتين ، ولم يتمكنوا من الفرار ، فأعمل فيهم المسلمون القتل ، ولم ينج منهم سوى عدد قليل استطاعوا أن يفروا .

وتحصنت فرقة من التتار بتل مجاور لميدان المعركة ، وأخذوا يمطرون المسلمين وابلا من سهامهم ، فأحاط بهم المسلمون وجالدوهم على القتال حتى أوقعوا بهم الهزيمة وسحقوهم سحقا .

وانتهت الموقعة بانتصار المسلمين واندحار المعتدين ، واستجاب الله عز وجل لدعاء قطز ، وتهللت وجوه المسلمين بالبشر والسرور بما أنعم الله عليهم من نصر مؤزر كريم .

ونزل قطز من على فرسه وقبل الارض ، ومرغ وجهه فى ترابها ، وصلى ركعتين شكرا لله عز وجل ، ثم أخذ يتلو قوله تعالى : « وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » (١٠ ـــ الأنفال) .

هذه هى موقعة « عين جالوت » ، التى تعد من أهم المواقع الحاسمة فى تاريخ الاسلام ، وفى تاريخ العالم كله ، فالتتار منذ خروجهم من موطنهم الاصلى لم يذوقوا طعم الهزيمة والانكسار أبدا ، ولهذا أشاعوا الرعب وأثاروا الذعر فى العالم الاسلامى كله .

ويعترف المؤرخون الاوربيون عند التأريخ لهذه الموقعة ، بأنها لم تنقـــذ العالم الاسلامى من خطر التتـــار المخرب المدمر فحسب ، بل أنقذت العـــالم المسيحى كذلك ، لأنه لم يكن فى أوروبا المسيحية وقتذاك ملك قوى يستطيع مقاومة التتار ومحاربتهم لو ظلوا على انتصاراتهم المتوالية وتقدموا فى اتجاههم الطبيعى نحو أوروبا .

الرؤى والأحلام

الرؤيا الصالحة جزء من النبوة

• هدف هذه الدراسة • الأنبياء والرسل والرؤى

• رسول الله صلى الله عليه وسلم والرؤيا وتعبيرها •

نماذج من رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبيرها وتأويلها

للأستاذ : عاصم الأدفوي

روى أبو قتادة بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« الرؤيا الصالحة من الله ، والرؤيا السوء من الشيطان ، فمن رأى رؤيا فكره منها شيئا فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان لا تضره ولا يخبر بها أحدا ، فان رأى رؤيا حسنة فليبشر ولا يخبر الا من يحب » ..

(صحيح مسلم)

أولا ـــ هدف هذه الدراسة :

تهدف هذه الدراسة الى لفت أنظار المسلمين الى موضوع يمس حياة كل منا .. يؤثر فينا .. يتأثر بنا .. وهو الرؤى والاحلام التى يراها كل منا فى رحلة النوم كل يوم .. فالانسان منا يقضى ثلث عمره نائما .. وعند النوم تتحرر الروح بعض التحرر من اسار الجسم الانسانى وتنطلق الى عوالم مختلفة ومتباينة .

وأن ما نراه فى ساعات نومنا من رؤى خيرة أو أحلام سيئة هو نتاج أو انعكاس لحياتنا .. وما قابلناه فى نهارنا .. وخلال ساعات العمل .. أو الفراغ ، كما أن الرؤى والاحلام ترهص بما يصيب الفرد فى المستقبل القريب أو البعيد ، ولكن باختلاف بين فرد وآخر .

ولدراسة الرؤى والاحـــلام فى بلاد الشرق والغرب المتقدمة مكانتهـــا واحترامها .. وقوانينها العلمية .. وقواعدها .. ومناهجها .. وأساليبها ، فعلى سبيل المثال فى العيادات النفسية (السيكولوجية) والاكلينيكية يلجـــأ أخصائيو العلاج النفسى الى دراسة أحلام الافراد وذلك من أجل الوصول الى المرض النفسى .. جذوره .. أسبابه .. متى بدأ ..؟ كيف تطور ..؟ ما هى الخبرات المختلفة التى أدت الى اصـــابة المريض نفسيا حتى يصف العـــلاج المناسب .

وكما حملت الانباء أخيرا أن بعضا من علماء الطب فى الغرب والشرق يستطيعون التنبؤ بالامراض التى تصيب جسم انسان ما فى أيامه المقبلة ، وذلك عن طريق دراسة أحلامه ورؤاه .

واذا فالهدف الرئيسى من هذه الدراسة هو محاولة توجيه والقاء بعض الاضواء الكاشفة الى هذا الموضوع الروحى .. وأثره فى حياة كل منا .. وكيف تؤثر الروح في الجسم .. وكيف تتأثر به ، فالانسان مكون من روح وجسم .. وليست الحياة مادة فقط .

وقد اختلفت النظريات .. وتعددت وجهـــات النظر فى موضوع الرؤى والاحلام .. وفى تعبيرها وتأويلها وتفسيرها ..

فهناك التفسير الجنسى أو التفسير الفرويدى الذى قال به عالم النفس « سيجموند فرويد » فى كتابه عن تفسير الاحلام ، فمن المعروف أن سيجموند فرويد يصدر فى كل آرائه ونظرياته عن عامل أساسى لديه هو غريزة الجنس ودورها فى صياغة حياة الفرد ، ولا ينكر انسان ما دور الغريزة الجنسية فى حياة الفرد ، لكنها مع غيرها من غرائز ومكونات للشخصية تساهم فى صياغة الفرد والمجتمع .

وقد وجهت الى فرويد وآرائه نقاط نقد من علماء النفس الآخرين وأهمهم أدلر ويونج اللذان اهتما بباقى العناصر والمكونات التى تصوغ حياة الافراد فى غير الجنس .. أو فى غير الغريزة الجنسية .

والا فأين يتلمس تلاميذ سيجموند فرويد ومعتنقو آرائه ونظريته فى رؤيا وحلم يمكن أن يراها شاب عربى رأى فى نومه السماء وهى تمتلىء بالطائرات ، طائرات العرب وطائرات اسرائيل وهى تشتبك مع بعضها .. هل يمكن أن يفسر هذا الحلم لهذا الشاب العربى ــ الذى يعايش يوميا أخبار حرب الطيران بين العرب واسرائيل ــ بالتعبير الجنسى أو بالتفسير الفرويدى ؟

أم أنه يعبر ببساطة شديدة على أنه قلق ومعاناة للصراع بين العـــرب واسرائيل ؟!

ثم هناك التفسير الشعبى للرؤى والاحلام ، والذى يعتمد على كل التراث الفولكلورى لشعب من الشعوب من حيث لغته اليوميـــة وألفاظه .. عاداته وتقاليده .. أعرافه الشائعـــة .. أمثالـــه الشعبيـــة (الجوعان يحلم بسوق العيش) .

وأيضا هناك التفسير الدينى الذى يعتمد على الكتب السماوية والاحاديث النبوية .. والقصص والحكايات والامثال الدينية .

.. هذه هى بايجاز بعض وجهات النظر والتى تقف وراء تعبير وتأويل الرؤى والاحلام ، ولكن ليس فى هذا المقال مجال لمناقشتها .. وانما نقطة البدء ــ كما نظن ــ ستكون عن رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتباره معلم الانسانية .. ورسول الله الى الناس .. وهادى الخلق أجمعين .

ولكن قبل أن نحيا بين هذه الصور عن رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسن أن نذكر طرفا من أشهر الرؤى التى وردت عن الرسل والانبياء الذين اختتموا بمحمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

الانبياء والرؤى :

ذكر القرآن عددا من الرؤى التى رآها الرسل والانبياء .. ولقد عظمت قيمة الرؤيا بأنها جزء من النبوة (١) ففى الحديث الشريف : عن أبى هريرة رضى الله عنه بسنده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة » .

ومن أشهر الرؤى : رؤيا سيدنا ابراهيم عليه السلام ، والرؤى الثلاث التى وردت فى سورة يوسف عليه السلام .

رؤيا سيدنا ابراهيم عليه السلام :

وهى التى رأى فيها سيدنا ابراهيم عليه السلام أمرا الهيا بذبح ابنه اسماعيل عليه السلام (٢) : « رب هب لى من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه ان يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » .

يقول أستاذنا الشيخ محمد فريد وجدى — رحمه الله تعالى — فى تفسيره المختصر عن رؤيا ابراهيم عليه السلام فى ذبح اسماعيل عليه السلام (٣) « فلما بلغ ابنه السن الذى يسعى فيها معه فى أعماله قال له : يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك قربانا لله ، فانظر ماذا ترى ؟ قال يا أبت افعل ما يأمرك الله به ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ، فلما استسلما لأمر الله وصرفه على وجهه ، ليذبحه ، وناديناه قائلين قد حققت الرؤيا فكان ما كان من سرورهما وشكرهما لله على ما أنعم عليهما » .

الى أن يقول (٤) « انا كذلك نكافىء المحسنين . وفديناه بكبش يذبح بدله عظيم » .

سيدنا يوسف عليه السلام :

وكما كان لكل نبى ورسول معجزة يهبهـا الله له ، خص — سبحانه وتعالى — سيدنا يوسف عليه السلام بتأويل الرؤيا وتعبيرها وتفسيرها (٥) : « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » .

وفى سورة يوسف عليه السلام ثلاث رؤى :

الاولى : خاصة به .

والثانية : كانت لرفيقيه فى السجن : الخباز والساقى .

والثالثة : كانت لملك مصر وحاكمها .

فأما الرؤيا الاولى الخاصة به فقد كانت رؤيا رآها وقصها على أبيه (٦) :

« اذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » .

ومرت سنوات وسنوات امتلأت بالاحداث حتى عبرت هذه الرؤيا (٧) :

« فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين . ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين أخوتى ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم » .

وفى السجن قضى يوسف عليه السلام بضع سنين كان معه فيها خباز الملك وساقيه : « وعرضا عليه رؤياهما (٨) :

« ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين » وقد عبره لهما يوسف (٩) :

« يا صاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الامر الذى فيه تستفتيان » .

وقد كان الامر كما عبره يوسف وبقى ساقى الملك حيا .

ثم كانت الرؤيا الثالثة التى رآها حاكم مصر (١٠) : « وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون . قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين . وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون . يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون » .

وقد عبرها يوسف : ثم ليعلو بعدها شأنه فى مصر (١١) : « قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون . ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون . ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » .

ثالثا ـــ الرسول الكريم والرؤى وتأويلها :

تلك كانت بعضا من رؤى الانبياء والرسل عليهم جميعا أفضل الصلاة وأزكى السلام .. فالعلاقة اذا وثيقة بين النبوة والرؤيا ، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (١٢) « أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة » .

وتعددت روايات الاحاديث النبوية الشريفة عن نسبة الرؤيا الى النبوة : فقيل ان الرؤيا الصالحة جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة ، وقيل ان الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة وقيل ان الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءا من النبوة .

وأيا كان الامر .. وأيا كانت النسبة فلقد كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يطلب من أصحابه أن يقصوا رؤاهم ليتأولها (١٣) : « عن ابن عباس بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان مما يقول لأصحابه من رأى منكم رؤيا فليقصها اعبرها له » .

ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم قواعد تعبير الرؤيا والاحـــلام الصالحة (١٤) :

١ ــ هناك نوعان من الرؤى : رؤى صالحة وأخرى سيئة .

٢ ــ اذا رأى المسلم أو المسلمة رؤيا سيئة فلينفث عن يساره ثم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولا يخبر بها أحدا أبدا .

٣ ــ اذا رأى المسلم رؤيا حســـنة فليخبر بهـــا كل من يحب من الاهل والاصدقاء والمعارف والجيران .

رابعا ــ نماذج من رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأويلها وتعبيرها :

١ ــ رؤيا الرفعة فى الدنيا والعاقبة فى الآخرة (١٥) : « عن أنس بن مالك بسنده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنى فى دار عقبة بن رافع فأتينا برطب من رطب ابن طاب فأولت الرفعة لنا فى الدنيا والعاقبة فى الآخرة وان ديننا قد طاب » .

٢ ــ رؤيا السواك (١٦) :

حدث عبد الله بن عمران بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أرانى فى المنام أتسوك بسواك فجذبنى رجلان : أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواك الاصغر منهما فقيل لى كبر فدفعته الى الاكبر » .

٣ ــ رؤيا الهجرة الى يثرب .. وغزوة أحد (١٧) :

عن أبى موسى بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلى الى أنها اليمامة أو هجر فاذا هى المدينة يثرب ، ورأيت فى رؤياى هذه أنى هززت سيفا فانقطع صدره فاذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد . ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فاذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين . ورأيت فيها أيضا بقرا والله خير فاذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد واذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد وثواب الصدق الذى آتانا الله بعد يوم بدر » .

٤ ــ رؤيا ليلة القدر وسوارا الذهب (١٨) :

عن أبى سعيد الخدرى بسنده ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على منبره ، وهو يقول « أيها الناس ، انى قد رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها ورأيت فى ذراعى سوارين من ذهب ، فكرهتهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين صاحب اليمن وصاحب اليمامة » .

وفى صحيح مسلم أنهما مسيلمة الكذاب والاســـود العنسى المتنبئـــان المشهوران .. فى حديث قريب من هذا فى روايته .

٥ ــ رؤيا غزوة أحد (١٩) :

قبيل غزوة أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين :



« انى قد رأيت والله خيرا ، رأيت بقرا (تذبح) ، ورأيت فى ذباب سيفى ثلما ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة » قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« رأيت بقرا لى تذبح ، قال فأما البقر فهى ناس . من أصحابى يقتلون ، وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب سيفى : فهو رجل من أهل بيتى يقتل . وفى غزوة أحد قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٦ — رؤيا ما حدث فى بنى جذيمة بعد اسلامهم من قتل (٢٠) :

وكان خالد بن الوليد قد قتلهم بعد أن أسلموا وتبرأ الرسول صلى الله عليه وسلم من فعلته .

« قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أنه حدث : عن ابراهيم بن جعفر المحمودى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت كأنى لقمت لقمة من حيس فالتذذت طعمها فاعترض فى حلقى منها شىء حين ابتلعتها فأدخل على يدى فنزعه » . فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : « يا رسول الله ، هذه سرية من سراياك ، تبعثها ، فيأتيك منها بعض ما تحب ويكون فى بعضها اعتراض فتبعث عليا فيسهله » .

وقد حدث أن دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طـــالب للذهاب الى بنى جذيمة ودفع دياتهم .

ويورد كمال الدين محمد بن موسى الدميرى فى معجمه عن حياة الحيوان الكبرى ثلاثا من رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان للدميرى فى معجمه هذا اهتمام خاص بالرؤى وتعبيرها .

٧ — رؤيا الغنم البيض والغنم السود (٢١) :

يقول الدميرى : « روى الحاكم فى مستدركه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت غنما سوداء دخلت فيها غنم كثير بيض » قالوا : فما أولته يا رســـول الله ؟ قال : العجم يشركونكم فى دينكم وأنسابكم ، قالوا : العجم يا رسول الله ، قال : لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من العجم » !!

وفى رواية قال صلى الله عليه وسلم : « رأيت فى المنام غنما سوداء يتبعها غنم عفر : يا أبا بكر عبرها ، قال : هى العرب تتبعك ثم يتبعها العجم ، فقـــال صلى الله عليه وسلم : هكذا عبرها الملك سحرا » .

٨ — رؤيا النبى ينزع فى قليب :

وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم أنه ينزع فى قليب وحوله أغنام سود وغنم عفر . ثم جاء أبو بكر فنزع نزعا ضعيفا ، والله يغفر له ، ثم جاء عمر فأستحالت غربا (يعنى الدلو) فلم أر عبقريا يفرى فريه . فأولها الناس بالخلافة لأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما . ولولا ذكر الغنم السود والعفر لبعدت الرؤيا عن معنى الخلافة والرعاية .

اذ الغنم السود والعفر عبارة عن العرب والعجم.

وأكثر المحدثين لم يذكروا الغنم فى هذا الحديث وذكره الامام أحمد والبزار فى مسنديهما وبه يصح المعنى .

٩ ـ رؤيا العذق المدلى فى الجنة :

وينقل الدميرى عن كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس : « ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه أنه دخل الجنة فرأى فيها عذقا مدلى فأعجبه ، فقال : لمن هذا : فقيل : هذا لأبى جهل ، فشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك ، فقال : ما لأبى جهل والجنة ، والله لا يدخلها أبدا ، فانه لا يدخلها الا نفس مؤمنة ، فلما أتاه عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه مسلما ، فرح به وقام اليه ، وتأول ذلك العذق عكرمة ابنه .

كل هذه الرؤى التى رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تدور حول الايمان والاسلام وانتشاره بين العرب والعجم والحرب والهجرة أى كل ما كرس له الرسول الأعظم حياته وتترجم قصص جهاده لانقاذ أمته .. وانقاذ الانسانية .. كما عاشها فى يقظته .. وكما انعكست وبدت فى منامه ورؤياه .. فقد قال الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام : (ان عينى تنامان ولا ينام قلبى) ..

---

(١) صحيح مسلم ـ كتاب الرؤيا ـ
(٢) القرآن الكريم : سورة الصافات من الآية ١٠٠ ـ ١٠٧ .
(٣) المصحف المفسر محمد فريد وجدى مطابع الشعب ١٣٧٧ صفحة ٥٩٣ .
(٤) نفس المصدر السابق ص ٥٩٣
(٥) القرآن الكريم سورة يوسف الآية رقم ١٠١ .
(٦) سورة يوسف الآية (٤) .
(٧) سورة يوسف رقم ٩٩ ، ١٠٠ .
(٨) سورة يوسف الآية ٣٦ .
(٩) سورة يوسف الآية ٤١ .
(١٠) سورة يوسف الآية ٤٣ ـ ٤٦ .
(١١) سورة يوسف ٤٧ ـ ٤٩
(١٢) صحيح البخارى
(١٣) صحيح مسلم ـ كتاب الرؤيا
(١٤) صحيح مسلم ـ كتاب الرؤيا
(١٥) صحيح مسلم ـ كتاب الرؤيا
(١٦) صحيح مسلم ـ كتاب الرؤيا
(١٧) صحيح مسلم ـ كتاب الرؤيا
(١٨) سيرة ابن هشام الجزء الرابع ص ٢٠٩
(١٩) سيرة ابن هشام الجزء الثالث ص ٦
(٢٠) سيرة ابن هشام الجزء الرابع ص ٤٤
(٢١) حياة الحيوان الكبرى ـ كمال الدين محمد بن موسى الدميرى الجزء الثانى ص ٣٣٦ .
(٢٢) حياة الحيوان الجزء الثانى ص ٣٣٦
(٢٣) حياة الحيوان ـ الجزء الثانى صفحة ٤٩٤



اذا نحن أخذنا أنفسنا بالحديث عن دور الكتب ، فى نشأتها وتاريخها قبل أن تبلغ ما وصلت اليه اليوم ، من التقدم والتنظيم والتنسيق . فلا بد لنا من الرجوع الى الأعصر الأولى لبداية الحضارة الانسانية بمفهومها العلمى ، كى نلقى نظرة سريعة على الدوافع النفسية التى تختلج فطريا فى صدور الأفراد والجماعات ، وتثير فيها الشوق التلقائى الى تجميع الكتب وحيازتها والحفاظ عليها .

وليس من شك فى أن هذه الدوافع ، لا تعدو أن تكون أثرا طبيعيا لغريزة الفضول التى جبل عليها الانسان مع باقى طبائعه الأصلية .

ونحن نلاحظ ، من خلال معطياتنا العفوية ، أن كل واحد منا ، يحس فى أعماقه ميلا لا شعوريا ، للاطلاع على ما يختلج فى صدر الآخرين من الآراء والأفكار ، وذلك حتى تتم له القدرة على الموازنة بين هذه الآراء والأفكار ، وبين ما يحمله هو بالذات منها فى نفسه .

ومن هنا بدأت الخطوات الأولى فى طريق المعرفة التى هى ، فى الواقع ، قوام الحضارة وأساس التمدن .

وعلى هذا يكون الكتاب ، وهو مستودع الرأى وحصيلة المخاض الفكرى ، الوسيلة الأولى التى تذرع بها الانسان ليعرب عن ذات نفسه ، ويتبين فى ذات الوقت ، ما فى نفس غيره ، على حد سواء .

ولسنا الآن بصدد الامعان فى تقصى مجاهل التاريخ البشرى ، لندرك البداية فى هذا الصدد ، ونسير معها الى غايتنا من هذا الحديث ، فهذا أمر ليس لنا فيما نحن فيه مكان ولا متسع من زمان . بل نحن نؤثر أن نكتفى الآن بما أثبته ثقاة المؤرخين ، عن أقدم ما عرف من المكتبات وتنظيمها فى العهود التى لم تعد مجهولة من التاريخ القديم .

يقول المؤرخون : — ان أقدم من أنشأ المكتبات فى العالم هم البابليون . وذلك حوالى سنة ١٧٠٠ قبل الميلاد . فقد عثر علماء الآثار فى حفرياتهم

نشأتها وتاريخها عند الأقدمين

للشيخ : طه الولي

بوادى الفرات على آجـرة بابلية ، فيها كتابة بالقلم المسـمارى تتضمن قائمة بأسماء ملوك بابل . ومن جملتهم ملك اسمه « شرجينا » (سرجون) ويظهر أن هذا الملك كان سـامى الأصل ، عربى العنصر ، وكان محبا للعلم والعمارة ، مولعا بالكتب ، فأنشأ فى مدينة « ورفة » ما سماه « مدينة الكتب » ، وعهـد الى رجل من خاصـته بجمع الكتب لها من كل مكان ، وانتدب فى هذه المكتبة ثلة من العـلماء للانصراف الى التـدوين ، والتأليف والشرح ، والتعليق ، كما استعان بأهل الفكر من سائر الأمصار لينقلوا ويترجموا ما عندهم من المعارف والفنون الى اللغة البابلية .

وعلى هذا يمكننا القول بأن الملك البابلى (شرجينا) هـو أول من اهتم بتدوين العلوم وألوان الثقافة بشكل منسق وشامل ، كما يمكننا اعتبار « مدينة الكتب » فى ورفة من اعمال العراق ، أول مكتبة فى التاريخ .

ومن حسن الحظ ، أن بقايا هذه المؤسسة الثقافية وجدت فى حالة لا بأس بها ، فنقلت الى المتحف البريطانى حيث ما تزال حتى اليوم ، وهى عبارة عن الواح من الطين المشوى منقوش عليها بالحرف المسمارى باللغة السـامية البابلية .

وكذلك ، فقد اكتشـف الرائد الأثرى الانجـليزى « لايارد مفيل » أثناء حفرياته فى مدينة « نينوى » بالعراق ، مقر الملك « آشـوربنى بال » ، وفى أحد أقبيته مكتبة ، وتتألف هذه المكتبة من ألواح نظمت بعناية فائقة ، ورتبت بانتظام دقيق ، وبلغ عددها عشرة آلاف لوحة من الآجـر ، وفى هذه الألواح ما يفيد بأن الملك (آشور بنى بال) المذكور أباح لرعاياه أن يرتادوا هذه المكتبة للمطالعة والدراسة ، وأنه كان يحرضهم على الكتابة والتأليف بقوله : —

« من يتفوق فى الكتابة على الآجر فانه يتألق كالشمس .... » .

ويبدو أن القدماء كانوا يختارون لمكتباتهم أماكن ملحقة بالمراكز الدينية ، أى بالمعابد والهياكل والأضرحة القديمة . فلقد عثر المنقبون فى مدينة ، طيبة ، بمصر على مقبرتين تدل كتابتهما على أن صاحبيهما — أبا وابنه — كانا يحملان

لقب « مكتبى » ، ولا ريب أن المذكورين كانا ينتسبان الى أكبر هيئة للعلماء فى زمانهما ، وهى طبقة رجال الدين .

ولقد ترك لنا المؤرخ « ديود وروس » وصف مكتبة عثر عليها فى جملة مخلفات الملك « أوسيمند ياس » فى مقبرته على نحو ما كان يفعل الفراعنة فى جمع ما يتوسمون الافادة منه ، بعد انتقالهم الى الدار الآخرة فى المعابد التى تضم أضرحتهم الملكية .

ولقد ذكر « ابن النديم » فى كتابه المعروف (بالفهرست) « ان ملوك الفرس بلغ من عنايتهم بصيانة العلوم ، وحرصهم على بقائها على وجه الدهر ، واشفاقهم عليها من أحداث الجو ، وآفات الأرض ، أن اختاروا لها من المكاتب أصبرها وأبقاها ، وأبعدها عن التعفن ، والدرس ، وهو لحاء شجر الخدنك ، ويسمى « التوز » ، وبهم اقتدى أهل الهند والصين ، ومن يليهم من الامم ... فلما حصلوا لمستودع علومهم أجود ما وجدوه فى العالم من المكاتب ، طلبوا لها من بقاع الأرض ، وبلدان الأقاليم ، أصحها تربة ، وأقلها عفونة ، وأبعدها من الزلازل والخسوف ، وأهلكها طينا ، وأبقاها على الدهر بناء ، فأودعوه علومهم ، وقد بقى الى زماننا هذا ، ويسمى « ساوويه » (أى القصر المنيف) ، ويتابع ابن النديم قوله : ؟ .. ولما كان قبل زماننا تهدمت من هذه المصنعة ناحية ، فظهرت فيها على أزج معقود من طين الشقيق ، فوجدوا فيه كتبا كثيرة من كتب الأوائل مكتوبة كلها فى لحاء التوز ، مودعة أصناف علوم الأوائل بالكتابة الفارسية القديمة . وكان فيها كتاب منسوب الى بعض الحكماء المتقدمين » .. الخ ..

والذى يبدو لنا من كلام المؤرخين اجمالا عن أمثال هذه المكتبات أنها كانت فى جملة الممتلكات الخاصة للملوك ، ومن هم فى حكمهم ، من الامراء وأصحاب الجاه والنفوذ والسلطان ، وأنها لم تكن توضع تحت تصرف الجمهور للمطالعة الحرة والافادة العامة .

اما المكتبات العمومية التى يلحظ فيها أن تيسر اشاعة المعرفة بين أفراد الأمة وسائر الأوساط الشعبية ، وفق المفهوم الحديث للمكتبات العصرية الراهنة ، فانه يمكن القول بأن اليونان ، كانوا بلا شك ، أول من عنى بهذا النوع من المؤسسات الثقافية ، وأنشأوها لتكون منهلا عذبا يرتادها الناس للقراءة والمطالعة ، من كل فئة أو طبقة دون أى حجاب أو قيد .

من ذلك المكتبة التى أنشأها البطالسة بالاسكندرية ، وهى المكتبة التى أحرقها البطريرك كيرللس فى القرن الخمس للميلاد ، وجعل محتوياتها التى بلغت ٧٠٠ الف كتاب طعمة للنيران التى أججتها الاختلافات الكنيسية فى ذلك الحين .

ولما بزغت شمس الرومان ، **وازدهرت امبراطوريتهم بعد اليونان** ، اكتفوا بالاستيلاء على ما كان هؤلاء الأخيرون قد أنشأوه من المكتبات فى مختلف البلدان ، ومن أشهرها مكتبة « برغاموس » التى نقلوها من مكدونية الى حاضرة ملكهم روما . ومحتويات هذه المكتبة لم تكن تقل على ما يروى المؤرخون عن ٢٠٠ الف مجلد فى سنة ١٦٧ قبل الميلاد ، عندما أهداها « مرك انطونيو » لصديقته « كليوباترا » ملكة مصر ، كما نقل الرومان كذلك مكتبة أثينا الى بلادهم فى سنة ٨٦ قبل الميلاد ، حتى اذا وسد الأمر فى روما الى قسطنطين الاكبر ، صرف هذا الامبراطور اهتمامه الى شؤون العلم والمعرفة ، وأسس مكتبته الكبرى فى عاصمة الامبراطورية سنة ٣٥٥ بعد الميلاد .

على أن العرب على خلاف من سبق ذكرهم من سائر الأمم ، فانهم لم يتركوا لنا فيما تقدم من جاهليتهم — ويا للأسف — أى أثر يساعدنا على التعرف الى تراثهم المكتبى .

وان المعلومات اليسيرة والمتفرقة عن آثارهم المكتوبة قبل الاسلام ، لا تستهوينا للوقوف عندها كثيرا .

ومن الجائز أن من عاش من مفكريهم فى غمرة الجاهلية ، ونعت بالكاتب ، من الجائز أن يكون هؤلاء قد سجلوا أحوالهم مجتمعة ، وتابعوا أنساب قبائلهم ، ودونوا أخبار العرب وأشعارهم فى الكتب ، غير أن هذه المصنفات لم تصمد أمام تقلبات الزمن ، أو لم تحفظ فى أمكنة معينة ، فلم يصل الينا منها شىء يفيدنا عنها .

والظاهر أن أمر هذه الكتب العربية ومجامعها قد أهمل بسبب انشغال الناس بالحركة الاسلامية التى انبثقت بمكة المكرمة فى أوائل القرن السابع للميلاد ، فضاعت الكتب ، وعفى أثر المكتبات ووجد الناس فى البعث الفكرى الجديد ما يغنيهم عن تراث الماضى وآثاره .

ولم تكن مثل هذه الظاهرة غريبة لأن المواد التى كانت تستعمل فى حينها للتدوين والكتابة كانت بدائية وسريعة التلف .

غير أنه بالرغم من سحابة الغموض والابهام التى ضربت رواقها على الحياة العربية فى العصر الجاهلى ، وحجبت كثيرا من مظاهر نشاطاتهم الفكرية يومئذ فى ذلك العصر ، وعلى الرغم من وصف القرآن الكريم العرب بالأميين ، الذين أرسل الله اليهم واحدا منهم ، أى أميا مثلهم ، وعلى الرغم من تحدث النبى محمد صلى الله عليه وسلم عن أمته (الأمية) التى لا تقرأ ولا تكتب ، على الرغم من كل ذلك فقد وردت فى الكتاب والسنة أكثر من اشارة الى أن العرب كانوا يقرأون ويكتبون ، وهذا أمر طبيعى اذ لا يعقل أن يخاطب كل من القرآن الكريم ، والذى أنزل عليه ، قوما ببلاغة القرآن ، وعمق الحديث ، لو لم يكونوا على علم وبصيرة بالقراءة والكتابة ، وذلك مع العلم بأن المصادر القديمة التى تحدثت عن أيام الجاهلية حملت الينا قصصا عن « مجلة لقمان » « والزبر » « وصحيفة لقيط » وغيرها ، وكل ذلك يوحى بالطبع الى أن العرب كانوا على معرفة بالقراءة والكتابة ، وأنهم بلغوا فيها الشأو الذى يمكنهم من التجاوب مع الدعوة الاسلامية الجديدة التى جعلت من الأسلوب القرآنى أداة لتحدى هذه الأمة فى ادعائها للبلاغة والفصاحة والبيان .

وما دمنا قد تواضعنا على صحة ما نسب للعرب من احاطة معقولة بالقراءة والكتابة ، فليس يضيرنا بعد هذا أن نشير الى اهتمامهم بما يشبع فضولهم الى الاستمتاع بألوان المعرفة ، وضروب الثقافة من خلال الكتاب المسطور . فقد ورد فى الأخبار أن النسابة الراوية هشام بن محمد بن السائب الكلبى كان يقول : —

« كنت استخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ أعمار منولى منهم لآل كسرى ، وتاريخ نسبهم من كتبهم » بالحيرة . . .

كما ذكر المؤرخون أن النعمان ملك الحيرة ، أمر فنسخت له أشعار العرب فى (الطنوج) (أى الكراريس) فكتبت له ثم دفنها فى قصره الأبيض ، فلما كان

المختار بن عبيد الله ، قيل له : ان تحت القصر كنزا فاحتفره ، فأخـــرج تلك الأشعار ، قالوا . . .

فمن ثم ، كان أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة .

وكذلك قيل ان النعمان بن المنذر كان عنده ديوان فيه أشعار الفحول ، وما مدح به هـــو وأهل بيته ، فصـــار ذلك الى بنى مروان من خلائف الأمويين بالشام .

وننتقل بعد هذا الى الحديث عن الكتب والمكتبات بين الجاهلية وصدر الاسلام

يقول شيخ العروبة أحمد زكى باشـــا فى دراسة له عن الحفظ والتدوين عند العرب : « قد علمنا أن الأمة العربية فى زمن الجاهلية لم تكن من الكتابة فى شىء ، ونزيد الآن أنها لم تكن منذ برأها الله حتى منبثق فجر الاسلام تعرف من العلوم الا ما تقتضيه أدنى معيشة ، كتربية بعض الدواب ، وانتجاع منازل الغيث ، والعلم بالأنســـاب ، وبرمى الســـهام ، وغير ذلك من المبادىء التى لا يسع البدوى جهلها .. غير أن نصيبهم من العلوم كان قليلا فلم يبلغوا فيها اذ ذاك مبلغا يضطرهم الى الـــتدوين ، فكانوا يكتفون بالحـــفظ ولم يفطـــنوا للتدوين لقلة حاجتهم اليه . . .

ويتابع شيخ العروبة رحمه الله قوله : ــ « وما كانوا ــ أى العرب ــ يعرفون الكتب ، بل كانوا ينهون الطلبة عن النظر فيها ، والاعتماد عليها ، لئلا تتناولها أيدى التصحيف والتحريف والتزوير المقصـــود ، فيقعوا فى شر أعمال المفسدين ، أو خوفا من أن يقصروا همتهم على اللفظ دون المعنى ، أو يعتمدوا على الكتب فيهـــملوا الرواية التى هى عندهم قوام العلوم ، لاســـيما الأدبية والنقلية منها ، ولقد كان العلماء وقتئذ يفاخر بعضهم بعضـــا بالحفظ ، وقلما يكون لأحدهم كتاب واحد يعتمد عليه فيما يزاول ، وكان بعضهم يهلك كتبه خوفا من الاتكال عليها » .. اهـ .

غير أننا نجد فى كلام زكى باشا عن موقف العرب فى جاهليتهم من الكتابة والتدوين جنوحا الى الاطلاق والتعميم ، دون أى مبرر ، فجاء حكمه على أسلافنا قبل اسلامهم قاسيا ومتزمتا . لا يخلو فى الواقع من التطرف والغلو والمبالغة .

ولو أننا رجعنا الى غيره من المـــؤلفين والمؤرخين لوجدناهم فى حديثهم عن أوائل عهد العرب بتدوين المعارف والعلوم ، وجمعها فى صفحات ، أكثر اعتدالا ، وأدنى الى الحق والانصاف . فقد نقل الأديب المصرى احمد امين عن ابن خلدون فى مقدمته قوله : ــ

« . . . كان عرب الحيرة أرقى من عـــرب الجزيرة ، كان منهم من يعرف الفارســـية ويجيدها ،وان عدى بن زيد الحميرى كان من تراجمة ابرويز ملك الفرس ، وأبو زيد ، كان شاعرا وخطيبا وقارئا كتاب العـــرب والفرس .

كما نجـــد العلامة العراقى جواد على ، فى كتابه « تاريـــخ العرب قبل الاسلام » يقول : « انه كان بين سكان الحيرة أناس يحسنون الكتابة والقراءة واللغات الأعجمية كالفارسية والسريانية واليونانية وقد ظهر فيهم من ألف فى الموضـــوعات اللاهوتية ومباحث فى الكتاب المقدس ، وفى الشـــؤون الطبية واللغوية والتاريخية » .

وفى كتاب « الفهرست » لابن النديم ، أن أول من وضع الكتاب العربى :

نفيس ، ونضر ، وتميم ، ودومة ، من ولد اسـماعيل ، وأنه لما هدمت قريش الكعبة ، وجد فى ركن من أركانها حجر مكتوب فيه : السـلف ابن عبقر ، يقرأ على ربه السلام . ويقول ابن النديم : انه كان فى خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم فى جلـد أدم ، ذكر فيه : حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة ، على فلان بن فلان الحميرى من أهل وزل صنعا ، عليه ألف درهم فضة كيلا بالحديد ، ومتى دعاه بها أجابه ، شهد الله والملكان .

واذا صح ما يزعمه بعض المؤرخين من أن حمورابى ، الذى عاش قبل أربعة آلاف سـنة . كان عربيا فانه يمكننا القول بأن كتابه المعروف بشريعة حمورابى يمكن اعتباره أقدم كتاب عربى فى التاريـخ حتى الآن ، ولـقد عثر على هذا الأثر العلمى سنة ١٩٠١ ميلادية فى السوس من بلاد فارس ، وجد منقوشا على مسلة طولها سـبعة أقدام من الحجر الصـلد ، كتب بالحرف المسمارى ، الذى كان معروفا عند البابليين ، والمعدود أصلا من أصول الخط العربى ، ولغته بابلية قريبة من اللغة العربية .

واذا نحن تجاوزنا ظلام الجاهلية ، وأقبلنا على ضياء فجر الاسـلام ، فاننا سنجد أنفسنا حيث كنا من قبل فيما يتصل بالكتابة والتدوين ، كما سنجد حرجا كبيرا ، بل عجزا مطبقا اذا طمعنا فى العثور على كتاب آخر الى جانب كتاب الله ، القرآن الكريم ، ذلك أن الرسول الأعظم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم لم يدخر وسعا الا وبذله فى سبيل الحفاظ على امتياز هذا الكتاب المقدس ، ومستواه السامى ، لما يضـم بين دفتيه من تعاليم دينية تنزلت بها العناية الالهية على بنى الانسان من سكان هذه الأرض .

ولقد آزر التوفيق النبى عليه السـلام فى بلوغ اربه الى أبعد الحدود ، واستطاع بما أوتى من دراية ومرونة ولباقة أن يحبط كل محاولة لتدوين كلام غير « كلام الله » حتى ولو كان هذا الكلام مما كان يحدث به هو نفسـه فى المناسبات المختلفة التى لم يكن لها صلة بالوحى المنزل .

ولسنا نملك الا اعتماد الرأى التقليدى فيما يتصل بانفراد القرآن الكريم بالتدوين دون غيره فى عهد النبوة ، وهو رأى يوحى بتحديد غاية النبى صـلى الله عليه وسلم فى الاحتراز من الخلط بين الدستور الاساسى للدين الاسلامى ، وبين ما يتصل بهذا الدستور من شروح وتفاسير توضيحية ، ولعلنا نسـتطيع أن نبيح لأنفسنا تفسير هذا الموقف الحازم ، من خلال رغبة صاحب الرسالة الجديدة فى أن يحيط كتاب دعوته السماوية باطار من الفراغ الزمنى والفكرى ، يحول دون اضطراب هذا الكتاب مع المدونات الأخرى التى يجب أن تبقى دونه فى الزمان والمكان والقيمة .

واذا كان النبى محمد صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب ، فانه اتخذ لنفسه نفرا من صـحابته الذين كانوا على علم بالقراءة والكتابة ليكونوا « كتبة الوحى » وبالفعل فان هؤلاء الكتبة وقفوا أنفسـهم على تدوين ما كان يوحى به الى النبى صلى الله عليه وسـلم من الآيات القرآنية ، واثباته على ما كان يقوم يومئذ مقام الورق اليوم من العسب واللخاف والرقاع وأحيانا من الحـرير وقطع الأديم ، والأكتاف (عظام الابل) وذلك على عادة العـرب ، حينها ، بالكتابة على هذه المواد التى كانت تطلق عليها اسم : الصحف .

وبلغ من اهتمام النبى محمد صلى الله عليه وسلم وحرصـه على تدوين القرآن وجمعه وتأليفه فى كتاب واحد ، أنه جعل يوصى ابن عمه على بن أبى

طالب رضى الله عنه اذا أزفت ساعته الأخيرة فى هذه الدنيا وواراه فى حفرته ألا يخرج من بيته حتى يجمع كلام الله من جرائد النخل وأكتاف الابل ويؤلفه (أى يجمعه) فى كتاب واحد .

وهذا الاهتمام الايجابى بتدوين القرآن الكريم ، وجمع آياته ، وسوره ، بين دفتى كتاب واحد كان يقابله من قبل النبى صلى الله عليه وسلم اهتمام سلبى بعدم السماح بكتابة ما يحدث به من غير الوحى الرسمى ، فلقد نقل الينا الثقاة من الرواة أحاديث كثيرة بصرف الناس عن تسجيل الحديث الشريف بالكتابة والتدوين ، منها ما روى مسلم فى صحيحه عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

« لا تكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى فلا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

ولقد التزم الصحابة الكرام رضى الله عنهم بما أوصاهم به النبى صلى الله عليه وسلم ، سواء فى حياته أو بعد انتقاله الى الرفيق الأعلى ، فلم ينقل عنهم أنهم تسامحوا بوجود كتاب آخر الى جانب كتاب الله الوحيد ، فى شؤونهم الدينية ، حتى ولو كان هذا الكتاب وصاة نبوية أخيرة لصلاح أمور المسلمين ، وعدم انحرافهم الى الغى والضلال ، فلقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : لما اشتد بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعه قال : — ايتونى بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده . قال عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنا .

وحين يتصدى عمر بن الخطاب لهذا ، فانما هو يتجاوب مع ما كان النبى نفسه يدعو اليه ، ويلح عليه فى كل مناسبة من ضرورة الابقاء على القرآن الكريم مدونا وحده ، كيلا يتداخل فيه كلام ليس منه من جهة ، ولا يلتبس موضوعه ، وهو بعد غض طرى فى غيره مما هو مدون من جهة ، يؤيد ذلك ما ذكره صاحب « مختصر جامع بيان العلم وفضله » ابن عبد البر النمرى عن عروة : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أراد أن يكتب السنن ، وهو على امرة المؤمنين فاستفتى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، فأشاروا عليه أن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله شهرا ، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له ، فقال : انى كنت أريد أن اكتب السنن ، وانى ذكرت قوما كانوا يكتبون قبلكم كتبا ، فأكبوا عليها ، وتركوا كتاب الله ، وانى والله لا أشوب (وفى نسخة لا ألبس) كتاب الله بشىء أبدا .

ومثل عمر ابن مسعود الذى صحب النبى صلى الله عليه وسلم ، وفقه رسالته ، ثم أصبح بعد وفاته عليه السلام واحدا من المراجع الموثوقة فى التشريع والسنة ، فلقد ذكر أنه أخذ من بعض زائريه صحيفة عليها كتابة من غير القرآن ، وطلب الى جاريته أن تسكب عليها الماء ، ومحاها بيده قائلا : — ان هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ، ولا تشغلوها بغيره .

بيد أن هذا الحظر الذى أحكم طوقه على الكتاب فترة النبوة ، وما بعدها زمن الخلفاء الراشدين ، لم يدم طويلا ، فطبيعة الأمور ، وتطور الحياة ، وتداخل العناصر الانسانية المتباينة ، التى آلف بينها الدين الجديد ، كل ذلك أدى فى النهاية الى انفراج الأفكار بعد تزمتها ، واتساع الصدور بعد تحرجها ،

واستعادت الكلمة المكتوبة سبيلها الى الصحف ، وان لم تكن وحيا منزلا فى قرآن كريم .

وها هو ابن النديم ، فى كتابه الفهرست ، يذكر لنا أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ما ان اطمأن الى استقرار الخلافة فى سلطانه وآل بيته ، حتى أرسل الى عبيد بن شرية الجرهمى أن يقبل عليه من صنعاء اليمن ، ليروى بين يديه الأخبار المتقدمة ، وما يتصل بملوك العجم والعرب ، وسبب تبلبل الألسنة ، وأمر افتراق الناس فى البلاد ، وأمر موظفيه بأن يدونوا ما يرويه عبيد ، وينسب اليه . ثم ان ابن النديم يضيف الى ذلك قوله : — ان لعبيد هذا مؤلفات كثيرة منها (كتاب الأمثال) فى نحو خمسين ورقة رآها هو بنفسه .

والذى حكاه لنا ابن النديم من أمر معاوية رضى الله عنه مع صاحبه اليمانى ، يدلنا بما لا يقبل المناقشة والشك ، أن الكتاب العربى وجد له مكانا كريما فى رحاب الحاكمين من العرب ، الذين أولوه اهتمامهم ، وأقبلوا عليه يلتمسونه من صدور الرجال ليثبتوه فى متون الصحف ، ويتخذوا منه مرجعا أمينا فى معرفة مصادر التاريخ ، وألوان العلوم المختلفة .

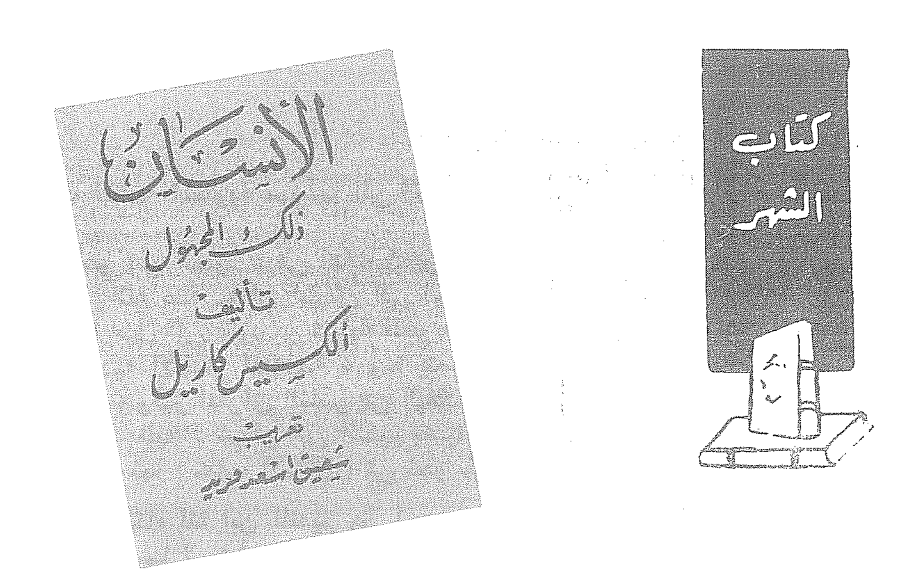
والناس ، شأنهم فى كل مكان وزمان ، على دين ملوكهم ، وأهواء هؤلاء الملوك ، يتنافسون فى محاكاتهم وتقليدهم فى تقاليدهم ، محبة لهم ، أوزلفى اليهم ، أو تساميا الى ادراك سويتهم فى الجاه والمقام .

فاذا كان أمير المؤمنين قد أفرد للكتب فى مقره مكانا يعوذ به كلما آنس من نفسه رغبة بالانصراف عن شؤون الحكم وشجونه ، فانه جدير بواحد من رعاياه أن يتخذ من داره ناديا ، يتداعى اليه الناس لازجاء أوقات فراغهم بالمطالعة فى الكتب ، أو فى محاورة أحجار الشطرنج ، وما الى ذلك مما يكون فى النوادى عادة ، فقد حدثنا أبو الفرج الاصبهانى فى أغانيه قال : — كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحى ، قد اتخذ بيتا فجعل فيه شطرنجين وزادت وقرقات (من ألعاب الصبيان) ودفاتر (كتب) فيها من كل علم . وجعل فى الجدار أوتادا فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ، ثم جر دفترا فقرأه ، أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم .. الخ .

.. أجل ، كان للعرب فى أيام مؤسس الدولة الأموية ، دار مستقلة ، فيها غرف متعددة خصص بعضها للكتب يطالع بها من يشاء ، وأخرى لألعاب التسلية يقصدها من يشاء ، وقاعة للاستراحة ، وعلى الجدران مشاجب ، وما اليها ، تعلق عليها المعاطف ، وما يثقل كاهل الرواد من رداء أو قباء ، والذين يطلبون العلم من كل طبقة ، ومن كل لون ، يتوافدون عليها ، ويتداولون على رفوفها ، ليتنا ولوا الكتاب الذى يطلبونه من المكان المخصص له ، بحسب مادته ومؤلفه ، وموضعه ، حتى اذا استوفوا حاجتهم من القراءة ردوه حيث كان من قبل ..

صورة من الماضى طويت دونها مئات السنين ، ليس فى حاضرنا ما يختلف عنها فيما أعتقد الا بعض الفروق والتفاصيل التى فرضتها ظروف الحياة المتطورة ، خلال أربعة عشر قرنا من الزمان .

وبعد ، فلعلنا نستطيع بعد الذى قدمناه أن نزعم بأن العرب كان لهم فى جاهليتهم ، وعند انبثاق الاسلام فى ربوعهم صلة رحم موصولة مع الكتاب والمكتبات جديرة بأن تقنع المؤرخين بأن هذه الأمة لها فى تاريخ الفكر نصيب من التقدير والاحترام .



الانسان ذلك المجهول

تأليف الدكتور : الكسيس كاريل

تقديم الاستاذ : رمضان لاوند

لم يحدث في تاريخ الكتاب المعاصر لجيل الحرب العالمية الثانية أن الرأي العام المثقف والدوائر العلمية ذات العلاقة ، قد تأثرت بكتاب معين بين مؤيد ومعارض كما تأثرت بكتاب الدكتور الكسيس كاريل الذي قدمه بعنوان « الانسان ذلك المجهول » .

فمن هو الدكتور المؤلف لهذا الكتاب أولا ؟ ولماذا كانت الشهرة الخاصة لهذا الكتاب ثانيا ؟ وما هي المواقف الرئيسة التي تميزت بها مادة الكتاب ثالثا ؟ وهل استطاع المؤلف أن يسلط بمادته العلمية في هذا الكتاب ضوءا على الحقائق النهائية التي يسعى اليها الانسان منذ عرف نعمة القراءة وقيمة تقليب النظر في خلق السموات والأرض والحياة؟ .

الاجابة عن هذه التساؤلات تفرض علينا أن نقسم موضوع هذه المقالة الى أربعة اقسام .

من هو الكسيس كاريل ؟

الدكتور الكسيس كاريل من مواليد قرية قريبة من مدينة ليون الفرنسية

لعام ١٨٧٣ . تابع مراحل دراسته كلها حتى بلغ نهاية المرحلة الجـامعية فى هذه المدينة وحصل على اجازة الطب من جامعتها . ثم انتقل الى مدينة ديجون الفرنسية أيضا فحصل من جامعتها على اجازة فى العلوم .

وبعد سنوات انتقل الدكتور كاريل الى الولايات المتحدة حيث شارك فى نشاط العلماء فى معهد روكفلر للابحاث العلمية فى نيويورك .

ومنح عام ١٩١٢ م جائزة نوبل تقديرا لابحاثه الطبية الفريدة . وفى عام ١٩٣٩ وكان قد أمضى ثلاثين عاما فى معهد روكفلر اعتزل العمل الوظيفى الرسـمى وانصرف الى تعميق أبحاثه المتعلقة (بالقلب الميكانيكى) الذى يقـال ان فى امكانه توفير اسباب الحياة للمريض بدلا من القلب الاصلى لمدة غير محدودة .

فى اثناء الحرب العالمية الثانية اشترك مع أطباء آخرين فى القيام بمهمات خاصة عهدت اليه من قبل وزارة الصحة فى بلاده . وتوفى عـام ١٩٤٤ عن عمر ناهز الواحد والسبعين من أعوام قضى اكثرها عاملا من أجل المعرفة .

وقبل وفاته بسنوات أصدر كتابه « الانسان ذلك المجهول » فأحدث بما ضمنه من النظرات النفاذة والأصيلة ضجة واسعة فى الرأى العام المثقف وفى عدد من الدوائر العلمية ذات العلاقة .

اسباب شهرة الكتاب :

يبدو لنا أن شهرة كتاب « الانسان ذلك المجهول » تعود أولا الى طبيعة الموضوع نفسه. فالملاحظ أن منجزات العلم الغربى منذ بداية النهضة بعد القرون الوسطى حتى اليوم هى منجزات تتصـل بالجانب المادى البحت بسبب مـن سهولة البحث فيه وملاحظة وقائعه واكتشـاف القوانين والسنن الثابتة التى تنظم وجوده . من أجل ذلك ابتعد العلم الغربى عن الابحـاث البيولوجية فى بداية الامر واهتم بالابعاد المادية الجـامدة للموجودات . وبعد أن حقق العلم الحديث قفزات واسعة فى ميدان الفيزياء والكيمياء المعدنية وما يتصـل بهما من موضوعات وحقق اكواما من الاختراعات التكنيكية المدهشة وجد نفسه أمام معميات « الحياة والأحياء » فاضطر لتعبئة جهوده من أجل التعرف الى أسرارهم واكتشاف القوانين التى تنتظم بها تحركاتهم . ولما كان الانسان هو فى طليعة الكائنات الحية من حيث الاهمية ومن أكثرهـا تعقيدا واثارة للاهتمام فقد جاء كتاب « الانسان ذلك المجهول » بمثـابة الخطوة الكبرى التى حققتهـا موجة البحوث الانسانية المعاصرة .

وتعود شهرة الكتـاب ثانيا الى ما يتميز به من الشـمول . فالواقع أن المؤلف لم يصدر فيما حققه وناقشه عن تجـاربه الخاصة وحسب بل لجأ الى مجموعة الابحاث والدراسات التى قام بها زملاؤه فى المعهد المذكور وهم فئات متخصصة فى جملة من العلوم المادية والانسانية . وقد جاء فى مقدمة المؤلف بهذا المعنى ما يلى : « من حسن حظى أن سمح لى مركزى بأن أدرس دون بذل أى مجهود أو الطمع فى أى ثناء ظواهر الحياة فى تعقيدها المخيف .. فلاحظت كل وجه من وجوه النشاط البشرى بصفة عملية . كما أننى عليم بكل ما يكتنف الفقير والغنى ، الصحيح والسقيم ، المتعلم والجاهل ، ضعيف العقل والمجنون ، الذكى والمجرم الخ » ثم يقول : « لقد القت بى الظروف فى طريق الفلاسفـة والفنانين والشعراء والعلماء ، والعباقرة والقديسين .. كما درست فى الوقت

نفسه التركيب الميكانيكي الغائر فى أعماق الأنسجة كتلافيف المخ الذى هو فى الحقيقة الأساس العميق للظواهر العضوية والعقلية » . وأما عن نشاطه فى المعهد بخاصة فيقول : « هناك أفكر فى ظواهر الحياة حينما يحللها الخبراء الذين لا يبارون أمثال ملتزر وجاك لويب ونجيوشي وكثيرون غيرهم الخ » .

ولو أتيحت لنا فرصة لنقل كل ما ذكره عن المعلومات التى توفرت بفضل جهوده وجهود عشرات من المتخصصين فى مختلف فروع المعرفة لاتضحت لنا ظاهرة الشمول التى تميز بها كتابه . فهو اذن لم يعتمد الأبحاث المخبرية وحسب فى هذا الكتاب بل لجأ الى كل الدراسات الانسانية من تاريخ وعلم نفس وتربية واجتماع وأخلاق ودين وفلسفة الخ ..

أما السبب الثالث لشهرة كتاب « الانسان ذلك المجهول » فهو فى أنه لم يرتفع فى تعقيده الى مستوى الخبراء المتخصصين ولم يهبط فى تبسيطه الى تعميمات السطحية الابتدائية . لقد جعل من موضوعاته مادة لا يرفضها المتخصص بل لعلها تثير اهتمامه ولا تستعصى على القارىء المثقف العادى بحيث يعجز عن متابعة قراءته ويقول فى تبرير المحاولة التى قام بها لتأليف الكتاب « اننى عالم تماما بالصعوبات التى تقترن بالاقدام على هذا العمل .. ومع ذلك فقد حاولت أن أودع جميع المعلومات التى تتصل بالانسان صفحات كتاب صغير . اننى لا أرضى الاخصائيين لأنهم يعرفون أكثر مما أعرف ولن اسر الجمهور لأن هذا الكتاب يشتمل على كثير من التفصيلات الفنية ومع ذلك فانه لم يكن لى مفر من تلخيص معلومات عدة علوم » .

وأما السبب الرابع لشهرة الكتاب فيعود الى جدة الموضوع وطبيعته اللتين فرضتا نفسيهما أمام الاحتمالات الشديدة للتدهور والانحطاط فى حضارة اليوم .

المؤلف يعلن فى مقدمة الكتاب قوله « لقد فتنهم « أى ناس اليوم » جمال علوم الجماد .. انهم لم يدركوا ان اجسامهم ومشاعرهم تتعرض للقوانين الطبيعية وهى قوانين أكثر غموضا ، وان كانت تتساوى فى الصلابة ، مع قوانين الدنيا .. كذلك فهم لم يدركوا انهم لا يستطيعون أن يعتدوا على هذه القوانين دون أن يلاقوا جزاءهم » ثم يقول بعد قليل « ان الانسان يعلو كل شىء فى الدنيا فاذا انحط وتدهور ، فان جمال الحضارة ، بل حتى عظمة الدنيا المادية ، لن تلبث أن تزول وتتلاشى » ..

مادة الكتاب :

وهنا نجد أنفسنا أمام السؤال الثالث الذى طرحناه مع غيره فى بداية هذا الحديث « ما هى المواقف الرئيسية التى تميزت بها مادة الكتاب ؟ » .

من الممكن أن نجيب عن هذا السؤال بكلمة واحدة مقتبسة من العنوان نفسه :

ان مادة الكتاب التى تميزه من سواه هى « الانسان » . ومما يؤكد هذه الحقيقة العناوين التى قدمت بها الفصول الثمانية لكتابنا هذا . انها كلها تدور حول الانسان نفسه « الحاجة الى معرفة الانسان معرفة أفضل ــ علم الانسان الجسم ووجوه النشاط الفسيولوجي ــ النشا طالعقلى ــ الزمن الداخلى ــ الوظائف التنسقية ــ الفرد ــ اعادة صياغة الانسان » ..

ولما كانت هذه العناوين اطارات واسعة لجملة كبيرة من المعانى والحقائق التى تتجاوز الآلاف عدا فان أى محاولة لتلخيص الكتاب تبقى محاولة عاجزة عن استيعاب الحقائق الرئيسة فيه ولكن هذا لا يمنعنا من تقديم صورة تقريبية لما يحتويه لا لتغنى القارىء عن متابعة الحقائق فى صفحاته بل لتكون بمثابة الحافز الذى يدفع القارىء الى البحث عنه والتأمل فيما ورد فيه .

معرفة افضل بالانسان :

المؤلف الدكتور الكسيس كاريل يؤكد الحقيقة المتفق عليها وهى أن علوم الطبيعة الجامدة قد سبقت علم الحياة باشواط كثيرة مما سبب جهلنا الفاضح بحقيقة تكويننا الجسدى والنفسى . وهو يرى أن المنجزات الضخمة التى حققها الانسان فى الفيزياء والكيمياء والتى بلغ بها قمة التكنولوجيا الحديثة ان فى ميدان غزو الفضاء او تحليل معادن الارض وفلذاتها المختلفة وصنع مركبات جديدة منها أو فى ميدان العقول أو الآلات الحاسبة .

ويرى أن السبب فى ارتفاع الاكوام العظيمة من المعلومات المادية فقط مع جهلنا التام نسبيا بحقيقتنا الانسانية راجع الى طريقة وجود اسلافنا والى تعقد التركيب الانسانى من الناحيتين الجسدية والعقلية .

ثم يطرح المؤلف عددا غير قليل من الأسئلة الاساسية المتعلقة بالانسان ويقول انها لم تجد الاجابات الصحيحة لها فى الدوائر العلمية المختصة من مثل .

١ ـ كيف تتحد جزئيات المواد الكيماوية لكى تكون المركب والاعضاء المؤقتة للخلية ؟

٢ ـ ما هى ، طبيعة تكويننا النفسانى والفسيولوجى ؟

٣ ـ كيف تقرر الجينس (١) الموجودة فى نواة البويضة الملقحة صفات الفرد المشتقة من هذه البويضة . ؟

٤ ـ ما هى طبيعة العلاقات بين الشعور والمخ ؟

٥ ـ كيف تنتظم الخلايا فى جماعات من تلقاء نفسها مثل الأنسجة والأعضاء ؟

٦ ـ ما هى مصادر وطبيعة العمليات الميكانيكية الخفية التى تبنى الجسم البسيط والمعقد فى الوقت ذاته الخ . .

وهناك أسئلة أخرى كثيرة منها ما ورد فى الفصل الأول من الكتاب وفى الصفحة ١٨ منه بصورة خاصة ومنها ما لم يرد وهى كلها تشكل علامات استفهام يقف العلم الحديث أمامها عاجزا حتى اليوم . ولعل أهم سؤال معجز يهمنا نحن البشر هو « كيف نستطيع أن نحول دون تدهور الأنسان وانحطاطه فى المدنية العصرية ؟ » .

والمؤلف يرى أن حياتنا الصناعية الحديثة قد حققت تغييرات شديدة فى بيئتنا المادية وفى أنواع أغذيتنا وفى ظروفنا العقلية والنفسية . وقد انهارت بسبب ذلك كل الثقافات القديمة بما فيها المعتقدات الدينية فى الغرب بخاصة .

---

(١) الجينس وتسمى الناسلة وهى المركب الحيوى الذى تتقرر به وباعداده ذكورة الانسان وانوثته وخصائصه المختلفة .

المجهود أصبح أقل .. والمتعة أصبحت أوفر .. والتلهف على السلع تزايد بصـــورة تلفت النظر والرغبة فى الثراء قد بدأت تتجـــاهل القيم الاخلاقية .. والاحساس بالنهم يزيد بصورة مخيفة .

أما التقدم الصحى فقد أصبح قادرا على انقاذ الضـــعفاء والاقويـــاء من المرضى وبالتالى أصبح قادرا على تمديد حياة الانسان لفترة تتفاوت طولا وقصرا وهى ظاهرة تحول دون أن يلعب قانون بقاء الأصلح دوره فى صـــنع المجتمع الصحى القوى .

ويعلن المؤلف بعد عرض مطول للظروف العصرية الجديدة أن الحضارة اليوم « تجد نفسها فى موقف صعب لأنها لا تلائمنا ، فقد انشئت دون أية معرفة بطبيعتها الحقيقية ، اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية ، وشهوات الناس واوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم وعلى الرغم من انها انشئت بمجهوداتنا الا انها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا » .

ثم ينهى المؤلف مناقشته لهذا الموضوع فيؤكد فى ص ـــ ٤١ ـــ وجوب أن يكون الانسان مقياسا لكل شىء . ولما كان غريبا فى واقع أمره عن العالم الذى ابدعه بفضل التقدم الاعتباطى للعلوم المادية فقد وجب أن يعاد النظر فى خطة الدراسة القائمة .

ما هو علم الأنســـان : ؟

وينتقل المؤلف الى الفصل الثانى ليقول لنا الحقـــائق التالية التى نوردها على صورة عناوين سريعة لا تفى بالفرض المطلوب .
يقول :

١ ـــ معلوماتنا عن الانسان كثيرة ولكنها مشوشـــة غير متجانسة .

٢ ـــ يجب أن نحقق توازنا فى الجهود المبذولة لدراسة نواحى الانسان المختلفة والاهتمام بالظواهر المعقدة تماما كالاهتمام بالمظاهر البسيطة .

٣ ـــ علم الانسان يجب أن يجزأ الى علوم فرعية كثيرة وهو فى حاجة الى فنون متعددة . ومن الممكن اعطاء صورة عددية تقريبية لهذه الفنون التى منها بالاضافة الى الالكترونات والذرات والخلايا والانسجة والاخـــلاط ووظـــائف الاعضاء ـــ علوم النفس والاجتماع والتربية والاخلاق والاقتصاد والدين وفلسفة الفنون الجميلة الخ ..

كما يقرر فى ص ٤٨ أن « علماء الفسيولوجيا فى القرن التاســـع عشر وتلاميذهم الذين لا يزالون يتسكعون حولنا ارتكبوا مثل هذا الخطأ حينما حاولوا ان يختزلوا الانسان اختزالا تاما الى كمياء مادية » .

ولا ينسى المؤلف تسليط الضوء على ظاهرة لافتة للنظر عند العلماء . انه يقرر ان هؤلاء العلماء يختارون من بين الوقائع ما يساعدهم على اثبات فرضية لهم خاضعين فى ذلك لاحساساتهم الخاصة وتكوينهم العلمى والفلسفى . انهم يهملون الموضوع الصعب أو الغامض أو يخفون جزءا من الحقيقة فى الجداول التى ينظمونها ذلـــك لأن العقل الانسانى بطبيعته يميل الى الحلول الدقيقـــة الواضحة والمتميزة بالسهولة البالغة .

والمثل على ذلك أن علماء وظائف الاعضـــاء العصريين هم أشد اهتماما

بالظاهرات الطبيعية الكيمائية عند الحيوانات الحية منهم بالتركيبات الوظيفية المعقدة للاعضاء . يضاف الى ما سبق أن كثيرا من العلماء المتخصصين في علم الانسان يتجاهلون الحقائق التى لا تتفق مع معتقداتهم العلمية أو الفلسفية كما هو شأن جان روستان الذى توفى منذ عام ونيف فى فرنسا والذى كانت أبحاثه العلمية وطريقة اختياره للوقائع خاضعة لفلسفته المادية ولالحاده بالحقيقة الالهية .

ان جان روستان بالرغم من معرفته وخبرته الكبيرة باسرار علوم الحياة يبدو متحيزا فى تقرير الحقائق لأنه لا يقبل منها بوعى أو بغير وعى منه غير تلك التى تثبت نظرياته الفلسفية السائدة أو المسبقة التى تبناها لنفسه .

ومع ذلك فان صاحب كتاب « الانسان ذلك المجهول » لا يلبث أن يقرر حقيقة علمية هامة فى قوله ص ٥٤ « تبدو الوسيلة العلمية للنظرة الأولى غير قابلة للتطبيق على تحليل جميع وجوه نشاطنا » .

يقصد بذلك أن الحقائق التى لا بعد لها فى المكان والزمان لا يمكن أن تقاس بالاجهزة العلمية . فهذه الاجهزة مثلا لا تستطيع أن تقيس الغرور والحقد والحب والجمال أو الأحلام والالهام ولكنها تسجل بسهولة بالغة الانعكاسات المادية الوظيفية لهذه الحالات النفسية على الأعضاء البشرية .

الدكتور الكسيس يعتقد أن فى وسع العلم أن يغزو مملكة النفس وميدان الوظائف الاخلاقية والادبية الغامضة ولكن هذا الغزو يتم بطريقة غير مباشرة .

هكذا تتوفر للعلماء معرفة متكاملة بالانسان وبالتالى يتحقق التوازن بين الجانبين المادى والروحى . والخلاصة أن صاحب الكتاب الدكتور كاريل يعلن فى نهاية هذا الفصل المهم من كتابه ص ٥٩ « أن علم الانسان يستخدم جميع العلوم الأخرى . وهذا سبب من أسباب بطئه وصعوبته » .

الجسم ووجوه النشاط الفسيولوجى :

وفى فصل آخر ناقش الدكتور موضوع الجسم البشرى من خلال نشاطه الوظيفى ، فلاحظ حقيقة أساسية هى أحساس الانسان باصالة شخصيته . قال ص ٧٥ « اننا شاعرون بوجودنا ، وبأننا نملك نشاطا خاصا بنا ، أى بشخصيتنا .. ونعلم ايضا أننا نختلف عن الأفراد الآخرين ، ونعتقد أن ارادتنا حرة ، ونشعر بالسعادة أو التعاسة .. وهذه البديهيات تعين لكل منا الحقيقة النهائية » .

وفى فقرة أخرى من هذا الفصل يلاحظ وجود علاقة بين طبائع الانسان وشكله وطريقة شد قامته بل وشكل وجهه الخ .. ثم ينتقل الى التفصيل فيبدأ بالحديث عن الجلد الذى يغطى السطح الخارجى للجسم فاذا به يسلط الضوء على وقائع مدهشة معجبة فى مميزات الجلد وخصائصه لا يسعنا أن ننقلها الى القارىء بسبب من ضخامة المادة وتنوعها . فاذا انتهى من التعرض للجلد أعلن حقيقة أخرى هى أن « جسمنا الداخلى لا يشبه تعاريف التشريح الكلاسيكى . فعلم التشريح فى نظره هو اعجز ما يكون عن اعطاء صورة حقيقية للجسد البشرى . ولا ينسى فى أثناء العرض الدقيق والمكثف فى الوقت نفسه لأسرار الجسم البشرى ، أن يحدثنا عن الاخلاط التى تلعب دورا بالغ

الأهمية فى جعل الحياة مستمرة وفى تحقيق التوازن المطلوب . ثم ينتقل بعد ذلك الى جملة من الموضوعات يأتى فى مقدمتها دور الغدد الجنسية ووظائفها التى تتجاوز حفظ الجنس . انه يقرر انها تزيد من قوة النشاط الفسيولوجى والعقلى والروحى ويعقب على هذا قائلا فى ص ١٠٨ « فليس هناك خصى أصبح فيلسوفا عظيما أو عالما خطير الشأن أو حتى مجرما عاتيا ، لأن للخصيتين والمبايض وظائف على أعظم جانب من الأهمية » .

وتبلغ دهشة الدكتور مبلغا شديدا حين يتعرض لرأى القائلين بتساوى المرأة والرجل . انه يؤكد ان أهمية الجنسين غير متساوية فيما يتعلق بتكاثر الجنس « وأن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتى من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية ومن وجود الرحم والحمل أو من طريقة التعليم . اذ أنها ذات طبيعة اكثر أهمية من ذلك . أنها تنشأ من تكوين الانسجة ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محددة يفرزها المبيض » ص ١٠٨ — أما الأعصاب وما فيها من عوالم غريبةومدهشات وتعقيدات فىكلجزءمناجزاءالجسم البشرىوبصورةخاصة فى الدماغ فقد تحدث عنها المؤلف حديثا مطولا قرر فيه عجز العلم عن التعرف للكثرة الساحقة من اسراره الخفية .

النشاط العقلى :

وبعد أن يلخص الدكتور المؤلف قصة الجسم البشرى فى فصل يشغل ستين صفحة من الكتاب ينتقل الى موضوع النشاط العقلى فيناقش فيه الموضوعات التالية :

١ — النشاط العقلى وعلاقته بجميع وجوه النشاط الجسدى .

٢ — قياس النشاط العقلى وشروط نموه والعقول المنطقية والسريعة الادراك والبصر المغناطيسى وتراسل الأفكار .

٣ — النشاط الأدبى مع ما يرافقه من التغييرات الكيماوية .
٤ نشاط علم الجمال . الجمال واهميته العملية .
٥ — رأى فى تجارب ما لا يدركه العقل .
٦ — التناسق بين الاحساسات العقلية والاخلاقية والذوقية .
٧ — العلاقة بين وظائف الاعضاء والنشاط الذهنى .
٨ — التفكير والعمل والصلاة والمعجزات .
٩ — تأثير البيئة الاجتماعية على وجوه النشاط العقلى .
١٠ — الأمراض العقلية والبيئة الاجتماعية .

والملاحظ أن هذه الموضوعات ليست مما يسهل تقديم صورة عنه الى القارىء .

أن كلا منها فى حاجة الى عدد من الصفحات فى أقل تقدير . ولذلك فاننا نقصر عرضنا هنا على تقرير الحقيقة التالية التى قررها المؤلف فى اثناء تعرضه لظاهرة الصلاة وتأثيرها فى تحقيق تغيرات أساسية فى بناء الجسم . وبعد أن يستعرض عددا من هذه التغيرات التى حصلت بالفعل يقول ص ١٧٣ « أن لمثل هذه الحقائق مغزى عظيما فانهما تدل على حقيقة علاقات معينة ذات طبيعة ما زالت غير معروفة ، بين العمليات السيكولوجية والعضوية .. وتبرهن على

الأهمية الواضحة للنشاط الروحي الذى أهمل علماء الصحة والمربون ورجال الاجتماع دراسته اهمالا يكاد يكون تاما .. هذه الدراسة تفتح للانسان عالما جديدا » .

الزمن الداخلي :

وهنا نبلغ أعقد الفصول فى الكتاب واكثرها اثارة للاهتمام . ذلك أنه يحاول فيه أن يدرس علاقة الزمن بالحياة البشرية . أنه يعرف الزمن الداخلي فى ص ١٨٩ كما يلى : « ان الزمن الداخلي هو تعبير عن تغييرات الجسم ونشاطه ابان الحياة .. وهو مساو لذلك التتابع المستمر لحالاتنا التركيبية والأخلاطية والفسيولوجية والعقلية التى تكون شخصيتنا » .

ثم يستشهد المؤلف بفقرة مما كتبه ويلز فى كتابه « آلة الزمن » فيقول نقلا عنه « ان صورة الانسان فى سن الثامنة والخامسة عشرة والسابعة عشرة والثالثة والعشرين وهلم جرا هى أجزاء ، أو بالأحرى صورة فى ثلاثة أبعاد لمخلوق ثابت غير قابل للتعديل ومكون من اربعة ابعاد . والبعد الرابع هنا هو الزمن » .

ولننقل رأيا آخر لبرغسون الفيلسوف الفرنسى استشهد به المؤلف أيضا فى ص ١٩٠ قال : « ان العمر ليس لحظة تأخذ مكان أخرى .. فالعمر هو التقدم المستمر للماضى الذى ينهش المستقبل ويتورم كلما تقدم .. وتكدس الماضى فوق الماضي يستمر دون تراخ . وفى الحقيقة أن الماضي يحفظ نفسه آليا ومن المحتمل أن يتبعنا بكليته فى كل لحظة .. ولا شك فى أننا نفكر بقسم صغير فقط من ماضينا . بيد أننا نرغب ونصمم ونعمل بكل ماضينا بما فى ذلك الميل الأصلى لروحنا » .

ويعقب المؤلف على كلام برغسون فيقول فى الصفحة نفسها :

« اننا تاريخ .. وطول هذا التاريخ ، يعبر عن غنى حياتنا الداخلية أكثر مما يعبر عنه عدد سنوات حياتنا . ونحن نشعر بشكل غامض اننا لسنا اليوم مثلما كنا بالأمس .

اذ يبدو كأن الأيام تطير بسرعة اكثر فاكثر . الا أنه لا يوجد بين هذه التغييرات ما هو دقيق أو مستمر الى درجة كافية بحيث يمكن قياسه » .

مما سبق يتبين لنا ان الانسان يحتفظ بوحدته لا فى فترة معينة ثابتة بل عبر حياته كلها . انه يحس بهذه الوحدة مهما تغير فى مظهره الخارجى رغم احساسه بوجود تطورات نفسية فى اعماق ذاته . هذه الوحدة المستمرة تتمثل فى حركة أعضائه من ناحية وفى تتابع مشاعره واحساساته من ناحية اخرى . وفى كلتا الحركتين تبرز حقيقة الزمن الداخلى عنده .

الوظائف التنسيقية :

هل يعلم الكثيرون بأن العمر مشروط بوظائف التنسيق فى داخل الجسم البشرى ؟ وهل يعلمون أن التكيف مع الاحداث والوقائع فى كل عضو من الأعضاء هو الذى يرمز الى وجود الوظائف التنسيقية ؟ وهل يعلمون أن عملية

التنســـيق هذه يجب أن تواجه كل تغيير وكل طارىء بحيث تخلق المناعة فى الجسم ضد كل الاخطار ؟ وهل يعلمون أخيرا بأن الحضارة الحديثة بما حققته من التغييرات العنيفة فى نظـــام العيش فى التنقل وطبيعة الســـكن والعمل والأغذية والتعليم وغيرها قد أحدثت عجزا ظاهرا فى قدرة الوظائف التنسيقية على النهوض لمسؤولياتها التى تحتفظ معها باستمرار الحياة ؟

كل هذه الأسئلة يجد القارىء اجابات واضحة عنها فى الفصل السادس من الكتاب تحت عنوان « الوظائف التنسيقية » .

الفرد واعادة صياغته :

كيف نظر الدكتور الكسيس كاريل الى الفرد ؟ ما هى حقيقة الدور الذى يقوم به ؟ وما علاقته بالبيئة الاجتماعية أو الطبيعية ؟ هل نجح المجتمع الحديث فى بناء هذا الفرد واعداده الاعداد الذى يتيح له فرصة ممارسته لحياة قوية سعيدة ؟ واذا لم ينجح فما الذى يجب أن يفعله العلم المعاصر ؟

يجيب المؤلف عن هذه التساؤلات بتقرير الوقائع والملاحظات التالية :

١ ــ الأنسان نتيجة الوراثة والبيئة وعادات الحياة والتفكير .

٢ ــ انه عاجز عن تكييف نفسه مع البيئة التى خلقتها التكنولوجيا .

٣ ــ مصيره هو الانحلال فيما اذا استمرت هذه البيئة بظروفها القائمة .

٤ ــ نحن مسؤولون عن هذا المصير لا الميكانيكا ولا العلم .

٥ ــ الانســـان المعـــاصر نقض القوانين الطبيعية فاســـتحق العقوبة الحتمية .

٦ ــ ان مبادىء الدين العلمى والآداب الصناعية سقطت تحت وطـــأة غزو الحقيقة البيولوجية .

٧ ــ الحضارة آخذة فى الأنهيار الأن علوم الجمـــاد قادتنا الى ميادين ليست لنا . فاصبح الفرد بها ضيقا متخصصا فاجرا غبيا غير قادر على التحكم فى نفسه وفى مؤسساته .

٨ ــ هناك أمل فى بعث قوة الأجداد وجرأتهم فى ارادة الانسان العصرى الخ ..

ويتساءل المؤلف بعد ذلك قائلا : ترى هل ما يزال هذا الانسان قادرا على تحقيق مثل هذا البعث ؟ ويجيب عن هذا السؤال فى فصل أخير وطويل بعنوان « اعادة صياغة الانسان » خلاصته المطالب التالية التى يعتبرها المؤلف ضرورية التحقيق . أنها :

١ ــ ضرورة تغيير مظهرنـــا العقلى بحيث نتخلص من تفوق الكم على النوع والمادة على الروح .

٢ ــ اعداد نوع من العلماء قادر على استيعاب أحدث النتائج التى تم الحصول عليها فى كل العلوم الانسانية .

٣ ــ انشـــاء معاهد جديدة قادرة على تحـــرير الانســـان من مذاهب الحضارة الصناعية والمبادىء التى يرتكز عليها كيان المجتمع العصرى .

٤ ــ يجب تكوين ثقافة بغير راحة وجمال بغير ترف وآلات بغير مصانع

مستعبدة للانسان وعلم بغير عبادة للمادة .. وهذه كلها تعيد الى الانســان ذكاءه واحساسه الأدبى وحيويته .

ويحاول المؤلف من بعد أن يكشف عن مواطن الضـعف فى مختلف فئات المجتمع وينتهى الى تقرير الصورة التى يتخيلها لانسان المستقبل القادر على تحمل المتاعب والارتفاع الى مستوى المسؤولية ومواجهة الهزيمة والنصر يقول فى ص ٣٤٤ « فالعدو فوق أرض خشنة ، وتسلق الجبال ، والمصارعة ، والسباحة والعمل فى الغابات والحقول ، والتعرض لتقلبات الطقس ، والمسؤولية الأدبية المبكرة ، وقسوة الحياة بصفة عامة تؤدى الى تناسق العضلات والعظام والاعضاء والشعور » .

وبعد أن يقرر سلسلة من الوقائع والملاحظات يعلن فى الفقرة الأخيرة من الصفحة الأخيرة ما يلى :

« لأول مرة فى تاريخ الانسانية ، تســتطيع حضــارة متداعية أن تميز اسباب انحلالها ولأول مرة تجد مثل هذه الحضــارة قوة العلم الهـائلة تحت تصرفها .. ترى هل ستستخدم هذه المعرفة وتلك القوة ؟ انها املنا الوحيد فى الفرار من المصير المشترك لجميع حضارات الماضى العظمى .. ان مصيرنا بين ايدينا .. فيجب ان نسير قدما فى الطريق الجديد » .

هل نجح المؤلف في التشخيص ووصف الدواء ؟

الواقع أن الحقائق التى سجلها المؤلف فى كتابه « الانسان ذلك المجهول » هى من الأصالة والقوة بحيث أنها تفرض علينا اعادة النظر فيها وتدبر ما فيها من الوضوح والواقعية . ولكن هذا كله لا يمنعنا من أن نقرر بعض الملاحظات الخاصة بمنهجه فى عرض الموضوع ومناقشته .

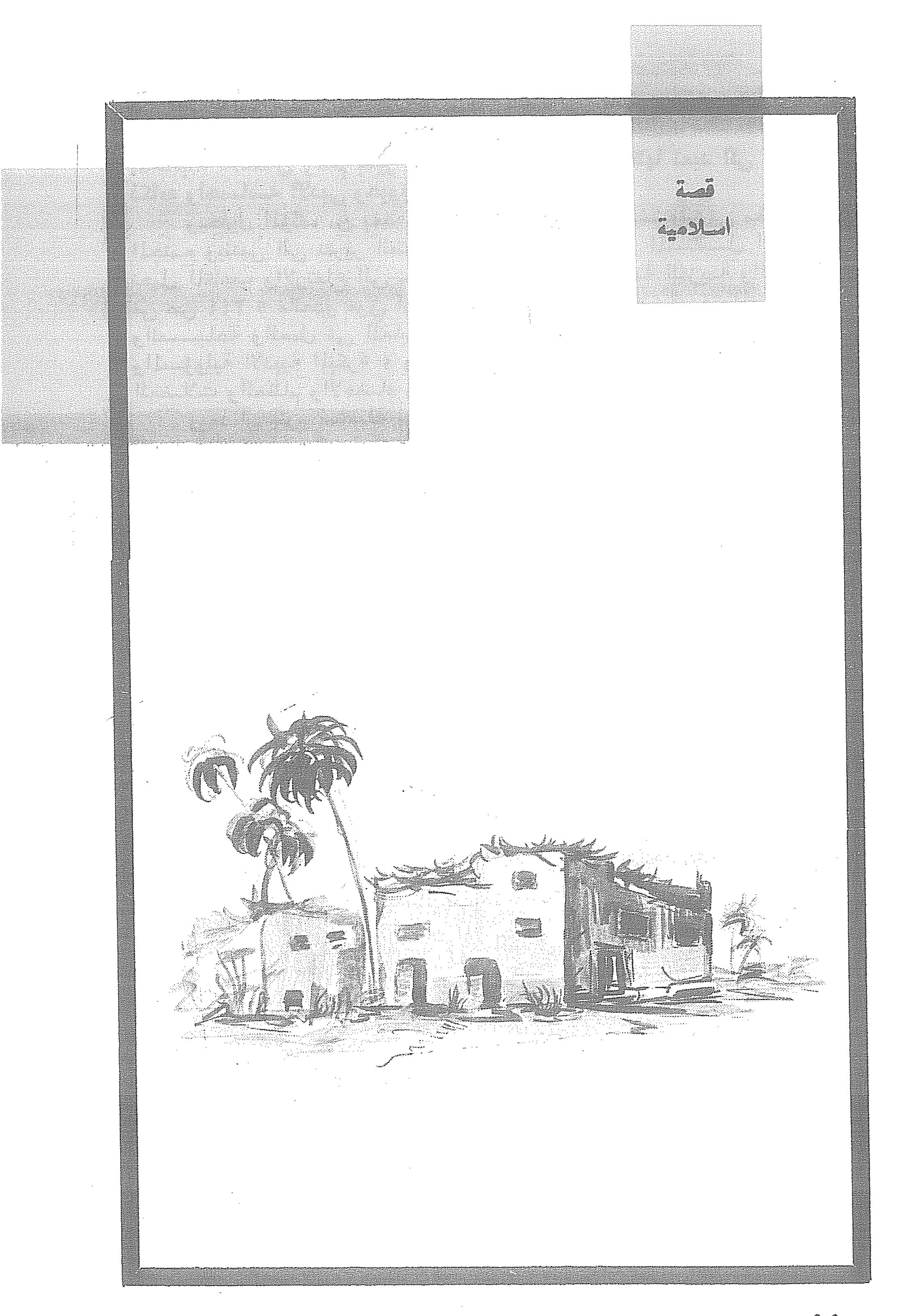
١ ــ اعلن المؤلف أن المنهج العلمى المتبع حتى اليوم قد فشل فى فهم الانسان وبالتالى فى انقاذه .

٢ ــ الاقتراحات التى يقدمها لتحرير الانسان من المخـاطر نابعة من المنهج العلمى نفسه .

٣ ــ انه بالرغم من اهتمامه بالجوانب الأخلاقية والأدبية واعتباره اياها ذات اهمية اساسية يجهل المصدر الأساسى للوعى الاخلاقى والادبى الذى لم يعترف به العلم الغربى وهو الدين .

٤ ــ اهمال الكسيس كاريل للجانب الدينى نابع من فشل الكنيسة الغربية فى مواجهة اخلاقيات الحضـارة الجديدة واستيعاب مشكلاتها الانسانية .

٥ ــ اننا بالرغم من موافقتنا على جوانب التشخيص فى كتابه واستفادتنا البالغة من الوقائع العلمية التى اوردها ما نزال نؤمن بأن الحس الاخلاقى الذى يحقق التوازن فى الحياة الانسانية مع النمو العلمى المادى فى حاجة الى الاسلام الذى هو وحده من دون كل الاديان قد اعتبر حركة الحياة فى ضـوء قوانينها الطبيعية الميدان الأساسى لمسيرة الوعى الدينى . وقد اعلن عن جوهره هذا حين رفض الكهانة وجعـل من تشريعاته وآدابه واخلاقيـاته توكيدا لقوانين الطبيعة والحياة .


قصة
اسلامية



للأستاذ : عبد اللطيف فايد

جلس امير المؤمنين ((عمر بن الخطاب)) يفكر بعد ان فتح الله على المسلمين بلادا كثيرة ، ودخل اهلها فى دين الله افواجـا .. فمن قبل ، وعلى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، دانت جزيرة العرب كلها للدين الحق .. وايام خلافة ابى بكر ، دكت جيوش المسلمين حصون الفرس والروم فى العراق وفى الشام ، وانضمت جموع جديدة تحت راية الايمان ، كلها تعلن اعتناقها لدين التوحيد .. والآن ، وخلال الأعوام الزاهرة التى انقضت من خلافة عمر ، تم القضاء على سلطان الاكاسرة ودخل الفرس فى الاسلام افواجا .. وها هو ذا عمر يفكر فى اجابة ((عمرو بن العاص)) على رايه فى فتح مصر ، وما هى الا فترة قد تطول قليلا او تقصر حتى تحرر جيوش المسلمين مصر من ظلم الروم وعسفهم وجبروتهم ، وسيجد اهلها من سماحة دين الاسلام ما يدفعهم الى الـدخول فيه مؤمنين به معتنقين له ..

مرت هذه الخواطر بفكر عمر بعد ان فرغ من صلاة الجمعة بالمسلمين ذات يوم من ايام العام السابع عشر للهجرة ، وقد ازدحم مسجد الرسول بالمؤمنين حتى ضاق بهم على سعته .. وتساءل : كيف يتسع هذا المسجد للوفود الجديدة التى آمنت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا ، ولمن سيشرح الله صدورهم بعد ذلك ، وبخاصة فى موسم الحج ، والمسجد ليس مكانا للصلاة فحسب ، ولكنه منتدى المسلمين يتحلقون فيه فيقراون القرآن ويتدارسون آياته ويفقهون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مكان المشورة فى الراى بين المسلمين ومقر الحكومة !!

وسرعان ما وجد امير المؤمنين المخرج .. لقد زاد النبى فى المسجد ايام حياته ، فقد مكث هذا المسجد على حاله منذ اقام جـدرانه رسول الله

والمسلمون لأول مرة ست سنوات كاملة .. ولما فتح الله على المسلمين « خيبر » فى السنة السابعة من الهجرة ، واصبحت مدينة الرسول كلها خالصة للمسلمين ، ووفد عليها كثير ممن هداهم الله للاسلام واعتنقوه دينا ، يتخذونها سكنا ومقاما وظهرت الحاجة الى توسعة المسجد حتى يجد فيه هذا العدد الكثير من المسلمين مكانا حينما يؤدون فرائضهم او يسمعون من النبى او يتشاورون فى امر من امور دينهم ودنياهم ، فوسع النبى لهم مسجده بمقدار نصف مساحته الاولى او اقل قليـــلا .. وعمر يذكر عنه انه قال بعد ان دانت له جزيرة العرب كلها : « ينبغى ان نزيد فى المسجد » .. وقطع هذا القول حين ذكره عمر ، ما كان قد راوده من تردد قبل ذلك : هل يترك مسجد الرسول كما تركه الرسول ؟ ام يزيد فيه ليتسع للجموع التى تفد الى ارض النبى وتقبل على هذه البقعة الطاهرة من الديار ، تحج البيت العتيق ، وتؤدى المنـــاسك ، وتزور المسجد النبـــوى وتصلى فى الروضة الشريفة .

★ ★ ★

لكن كيف له ان يوسع رقعة المسجد ويخرج بجدرانه الى ما وراءها ، ودور جماعة من المسلمين تتحلق المسجد من عدة جوانب . الا ان هذه الدور لم تكن عائقا امام فكر عمر ورايه وعزمه ، فجمع اصحابها واعلن فيهم قراره ، وانه ليس هناك بد من ازالة دورهم ليتسع مسجد الرسول للمسلمين .. ولكل منهم الخيار بين ثلاث : اما ان يبيعه داره فيرسل اليه من يقدر قيمتها ويعطيه الثمن من بيت مال المسلمين ، واما ان يقدمها هدية فله الشكر على ما اهدى ، واما ان يتصدق بها على مسجد رسول الله ، ومثل هذه الصدقة عند الله جزاؤها ..

وارتفعت الاصوات بالموافقة .. هذا فى عسر من امره ويحتاج الى المال يبنى به دارا اخرى ياوى اليها ويظل تحت سقفها عياله ، وهذا فى بسطة من الرزق ، وسيجد عند الله ثواب ما يبذل من دار لمسجد النبى .

صوت واحد ارتفع يرفض ما عرض عمر من خيار .. لم يكن صوت شخص بعيد القرابة من النبى ، او مسلما تاخذه الشبهة فى دينه او فى بلائه عن هذا الدين بالنفس والمـــال ، وانما كان قريبـــا من النبى قرابة تجعله اول من يقدمون دورهم لمسجد الرسول عن نفس طيبة ، وقلب مطمئن وحب لأن تتسع رقعة المسجد كثيرا وكثيـــرا على حساب دورهم ومـــا يملكون .. انه « العباس بن عبد المطلب » عم النبى .. ان داره تقع على يمين المسجد ، ولا بد منها لتضم الجدران الجديدة الرقعة الفسيحة ، التى رسمها عمر فى ذهنه لواحد من المساجد الثلاثة التـــى لا تشد الرحال الا اليها ..

وعلى عادة عمر فيما يصدر من قرارات واجه هذا الرفض فورا بما يستحق . قال للعباس : « اذا اهدمها » .. وظن عمر انه بهذا القرار

واصل الى بغيته ، فالمسجد للمسلمين جميعا ، ليس حكرا على عمر ، ولا على من سيلي شئون المسلمين بعده ، ولا على واحد من هذه الامة التى وصفها الله بانها خير امة اخرجت للناس .. وهو حينما يقضى بهدم دار ((العباس بن عبد المطلب)) ، لن يجد احدا يطعن فى قضائه ، أو ينكر عليه ما يفعل .. لكن ((العبـــاس بن عبد المطلب)) واجــه قرار عمر ، واصراره علي تنفيذه ، باصرار علي الاعتراض يصل الى حد الرفض ، قائلا له : انها دارى ، اشتريتها من مالي ، ولا حق لك فى اخراج اهلى منها ، وهدمها على كره منى ، ولو كان ذلك لتوسعة مسجد الرسول ..

☆ ☆ ☆

واخذ العجب من منطق العباس على عمر كل جوانب نفسه .. كيف يحدث هذا من عم النبى ! .. وكيف يضن بداره على المسلمين ، يوسع بها عليهم مسجدهم ! ان عمر والمســـلمين يذكرون له مواقفــه الطيبة من النبى واتباعه وهو لا يزال على دين آبائه واجداده :

يذكرون له حمايته لابن اخيه من ايذاء قريش له ولصحبه ..

ويذكرون له انه شهد مع النبى بيعة العقبة الكبــرى ، حين اقبل الحجيج من يثرب فى عام البيعة ، وفيهم من المسلمين ثلاثة وسبعون رجلا وامراتان ، ودبر النبى امر اللقاء بهم عند العقبة ، ليبــايعوه على التأييد والنصرة ان هو قدم اليهم مهاجرا ، فذهب اليهم مع عمه هذا ((العباس ابن عبد المطلب)) ، وقبل أن يتكلم النبى او يتكلم احد من اهل يثرب ، تكلم هو .. فقال : ((يا معشر الخزرج ، ان محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل راينا فيه ، وهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وقد ابى الا الانحياز اليكم ، فان كنتم ترون انكم وافون له فيما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه ، فانتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم مسلميه وخاذليه بعد خروجه اليكم فمن الآن فدعوه)) ..

ويذكرون له بعد ان منيت قريش بالهزيمة فى غزوة بدر واعتزامها الانتقام من المسلمين فيما سمى بعد ذلك بغزوة احد ـ انه بعث فى سر الى النبى بكتاب مع رجل من قبله يطلب اليه فيه ان ياخذ حذره ، فقد تهيات له قريش تطلب الثار ، وخرجت اليه فى ثلاثة الوية ، كل لواء من الف رجل ، وعلى راسهم سادتهــا ونقباؤها يستحــثون مائتى فارس ، ويستعينون فى القتال والرمى بثلاثة آلاف بعير ، ومعهم من العدة والسلاح كثير وكثير ، وقد صحبوا نساءهم يدفعنهم الى القتال ، ويهددنهم بالعار ان فروا مهزومين ..

ويذكرون له انه كان صاحب المشورة على النبى فى زواجه من ميمونة شقيقة زوجه ((أم الفضل)) ، بعد أن شرح الله صدرها للاسلام حينما شاهدت عظمة المسلمين في عمرة القضاء .. لم ينكر عليها اسلامها ، وانما اغتبط لها ، ودفعها الى هذا الشرف العظيم الذى اصبحت به من

امهات المؤمنين ، وهذه من خصوصيات حياة النبى لا يشير بها الا صاحب مكانة من قلب النبى ..

ويذكرون له ان النبى قبل جواره لأبى سفيان ليلة فتح مكة وكانت سيوف المسلمين توشك ان تضرب عنقه ، بل ان النبى زاد لأبى سفيان بعد اسلامه وبناء على راى العباس ، فوضع على صدره شارة الفخر حينما قال : « من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ، ومن اغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » ..

يذكرون له ذلك كله . وغير ذلـــك كله ، وهو لم يدخل بعد فى دين الاسلام ، ويذكرون له الاخيرة وهو فى ساعات اسلامه الاولى ..

ويذكرون له بعد اسلامه ان النبى ولاه من مناصب البيت الحرام سقاية الحجيج من زمزم ..

ويذكرون له صيحته المدوية فى جيش الاسلام يوم حنين حين تفرقت جموعه فى اول المعركة وكادت الهزيمة ان تلحق بهم بعد انصرافهم عن النبى .. لقد صاح العباس يومها فى المســلمين : « يا معشر الأنصار الذين آووا ونصروا ! .. يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ! .. ان محمدا حى فهلموا ! » وكرر هذه الصيحة حتى سمعتها جنبات الوادى ، واستعاد المسلمون فى لحظات ذكريات امجــادهم وشرفهم ، فاجتمعوا بعد تفرق ، وكانت هذه الصيحة هى صيحة النصر ، وكروا على العدو ، فاعزهم الله بنصره بعد ان كان الخذلان سيلحق بهم عقب الجولة الاولى ..

ويذكرون له مكان الشرف والصدارة بين الصحابة المستشارين فى عهد الخليفة الاول « ابى بكر الصديق » وفى عهد الخليفة الثانى « عمر بن الخطاب » الذى يرفض الآن خياره فى اعطائه داره لتدخل ارضها فى ساحة مسجد الرسول بعد توسيعه ..

* * *

ماذا فى نفس « العباس بن عبد المطلب » من وراء هذا الرفض .. ان المسلمين لا يزالون يذكرون مع ما يذكرون من المواقف الطيبة للعباس ابن عبد المطلب ، ان النبى اعلن حمايته للعباس يوم بدر ، فاصدر امرا بالا يتعرض له واحد من اصحابه وان لقيه احدهم فلا يقتله .. وهم يذكرون كذلك ان النبى صعد على منبره ذات يوم حين علم ان بين بعض الناس وبين العباس شيئا ، وهم يريدون ايذاءه ، فقال يا ايها الناس : اى اهل الارض اكرم على الله ؟ .. قالوا : انت .. قال : فان العباس منى وانا منه ، لا تؤذوا العباس فتؤذونى ، ومن سب العبــاس فقد سبنى » .. ان هذه القرابة للعباس من النبى ، وهذه الحمــاية من النبــى له حتى لا يتعرض له احد بفعل يؤذيه او قول يسىء اليه من شانهما ان يدفعا العباس الى ان يكون من السابقين الى وضع دورهم بين يدى عمر امير

المؤمنين ، ليوسع بها مسجد الرسول ، حتى يتسع للمسلمين بعد ان فتح الله عليهم بلادا كثيرة .. ولكن العباس اتخذ موقف الرفض !!

* * *

عمر لا يرضى بان يكون هذا الموقف من العباس خاتمة لفكرته في توسيع مسجد الرسول ، فاختصم العباس وابى ان يتركه حتى يجعل بينهما واحدا من أصحاب رسول الله يحكم بينهما ، فاختار العباس صحابيا جليلا هو ((ابى بن كعب)) ليقول رايه فى القضية .. وما كان عمر ليرفض

اختيار ((ابى بن كعب)) حكما ، وما كان ليرفض له قضاء ، فابى بن كعب هو الملقب بسيد المسلمين ، وهو واحد من اصحاب بيعة العقبة الكبرى وهو كاتب وحى النبي ، وهو الذى امر الله رسوله أن يقرا عليه القرآن ، وهو الذى وصفه النبى بانه اقرا امته للقرآن ، وهو الذى شهد مع النبى بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها ، وهو صاحب اكبر حلقة فى مسجد الرسول لتعليم القرآن وتفقيه المسلمين فى دينهم .. لقد رحب عمر بتحكيم هذا الصحابى الجليل بينه وبين عم النبى ، واثقا من ان الحكم سيكون فى جانب رايه بهدم دار العباس لادخال ارضها فى المسجد ..

غير بعيد تقع دار ((ابى بن كعب)) .. وما هى الا لحظات حتى كان عمر والعباس يطرقان باب الدار .. ويلقاهما سيد المسلمين بالبشر والترحاب ، ويقص عليه عمر قصة موقف العباس ، فيقول ابى : ان شئتما حدثتكما بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. واخذ يقول : ((ان الله أوحى الى داود ان ابن لى بيتا اذكر فيه . فخط داود خطة بيت المقدس ، فاذا تربيعه ببيت رجل من بنى اسرائيل ، فساله داود أن يبيعه اياه فابى . فحدثت داود نفسه ان ياخذه فاوحى الله اليه ان يا داود امرتك أن تبنى لى بيتا اذكر فيه فاردت ان تدخل فى بيتى الغصب وليس من شأنى الغصب . ان عقوبتك الا تبنيه . قال : يا رب فمن ولدى؟ ، قال : فمن ولدك ، وبناه سليمان بن داود)) فاخذت الدهشة بكل قسمات وجه عمر بينما ارتسمت على وجه العباس ابتسامة ساخرة .. لقد اراد خليفة المسلمين ان يرغم العباس على امر ليس من حقه ان يفعله دون ان يدرى ، فابى عليه العباس ، ليس كعم للنبى ، وانما كواحد من عامة المسلمين ، جادله فيما يريد ، ومن حقه ان يجادل ، وان يرفع صوته بكلمة الرفض ما دام على حق ، حتى ولو كانت تتعلق بادخال دار فى مسجد الرسول .. وقال ((أبى بن كعب)) كلمة الحق فى القضية ، ومن واجبه أن يقول كلمة الحق لا يخشى فيها امير المؤمنين حتى ولو كان هذا الامير ((عمر بن الخطاب)) نفسه ، فقد كان المسلمون وقتئذ يؤمنون بالحق وحده ، يلقون كلمته فى وجه من يحيد عنه او يتحيف فيه ، ولا يخشون سطوة خليفة او وال عليهم ، فالخلفاء والولاة انفسهم كانوا يعترفون بالحق لأصحابه حتى ولو خالف هوى فى نفوسهم او رايا سبق لهم ان اعلنوه بين عامة المسلمين أو خاصتهم ، مؤمنين بان الرجوع الى الحق فضيلة ، وانه

اساس لاستمرار عزة الامة ، وقد اعلن هذا المبدا عمر نفسه ذات يوم حينما قال باعلى صوته من فوق منبر الرسول « اصابت المراة واخطا عمر » ..

وبقي العباس وابى بن كعب فى جانب ، بينما امير المؤمنين فى الجانب الآخر لا يستطيع ان يفعل شيئا ، لكنه اخذ بمجامع ثياب « ابى بن كعب » ، وابى رجل ضعيف البنية ، هزيل الجسم ، لا يقوى على مقاومة جذبة من يد عمر .. وقال له : « يا صاحب رسول الله ، ويا سيد المسلمين ، جئتك بشىء فجئتنى بما هو اشد منه » . وجعل يقوده حتى ادخله المسجد ، فأوقفه على حلقة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشهد عليه الناس .. ونادى عمر فى اصحاب النبى ان يذكر منهم

من سمع حديث بيت المقدس عن رسول الله، فاجابه عدد منهم بانهم سمعوه عن رسول الله نفسه .. فانفكت على الفور قبضة عمر عن مجامع ثياب « ابى بن كعب » ، فالتفت اليه وقال : يا عمر ! اتتهمنى على حديث رسول الله ! .. قال عمر : والله يا ابا المنذر ما اتهمتك ، ولكنى اردت ان يكون الحديث عن رسول الله ظاهرا .. ثم قال للعباس : اذهب فلا اعرض لك فى دارك ..

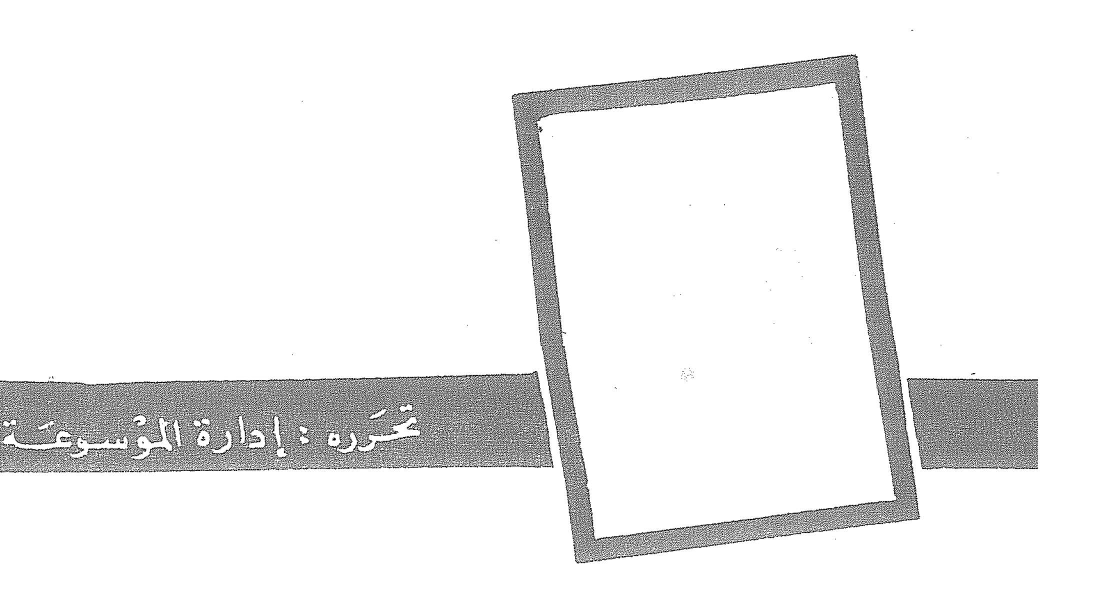
« العباس بن عبد المطلب » واقف الى جوارهما كالعملاق ، ليس بالقامة الطويلة التى اشتهر بها فى أوصافه الجسدية ، ولا بعرض منكبيه اللذين يتميز بهما فى زحام لا يبين فيه وجهه ، ولا بقرابته من النبى ، وانما بالحق الذى رفض به راى امير المؤمنين ..

* * *

مشكلة توسعه مسجد الرسول لا تزال قائمة .. وما كان العباس ليقف هذا الموقف ويضن بداره لتبقى المشكلة قائمة ، فهو يعلم كما يعلم جميع المسلمين ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده ، وانه وداره الى زوال ، وان مكانا فى مسجد الرسول بعد توسعته لواحد من عامة المسلمين ، خير من داره بما شملت من ارض وسقف وجدران ، وبما ضمت من اهل ومال .. وحنا على عمر مربتا على كتفه ، وقال له : فى وقت الخصومة لا تستطيع بسلطانك ان ترغمنى ما دام الحق فى يدى ، ولقد اردت برفضى تاكيد ذلك بين المسلمين فى امر من اهم امورهم وهو توسعة مسجد رسولهم .. اما الآن فدارى صدقة للمسلمين ، اوسع بها عليهم فى مسجدهم ..

وانطلق المسلمون يهدمون الدور التى تحلقت المسجد وعمر بينهم يعفره تراب انقاضها ، وكان اول معول يضرب فى جدار دار عم النبى يحمله بنفسه « العباس بن عبد المطلب » ..

* * *



الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامي

تناولنا في العدد الماضي فكرة تدعيم وحدة الأمة الاسلامية كوجه من وجوه الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامي .

ونبحث اليوم وجها آخر من وجوه الحاجة الى الموسوعة ، وهو تيسير معرفة الفقه المنتثر في أمهات الكتب القديمة .

* * *

يمكننا أن نعدد الصعوبات الرئيسية التي يجدها الباحث في أمهات كتب الفقه في النواحي التالية :

أولا — لم يكن الكتاب الأقدمون يعرفون طريقة الفهارس التحليلية التي تعين القارىء على سرعة الوصول الى ما يبتغيه في لحظات قليلة ، وقد خلت أمهات الكتب الفقهية من هذه الفهارس .

— كذلك تحرص ادارة الموسوعة على فهرسة أمهات هذه المراجع في كل مذهب تسهيلا للباحثين ، وقد أتمت عمل معجم لكتاب « المغنى لابن قدامة » في الفقه الحنبلي والمقارن ، كما سبق لموسوعة كلية الشريعة في جامعة دمشق ان انجزت معجم كتاب « المحلى لابن حزم » في الفقه الظاهري والمقارن . وفهرس «حاشية ابن عابدين » في الفقه الحنفي ، والفرق بين التعجيم والفهرسة أن الفهرست يقتصر على بيان موضع الحكم المبحوث عنه في كتابه الأصلي، بينما يزيد المعجم بالاضافة الى ذلك ببيان موجز الحكم لمن أراد الاكتفاء بالمعجم عن الرجوع الى الكتاب الأصلي .

فالفهرسة ، وهي الخدمة المشتركة في النظامين ، ضرورة أساسية لكتب الفقه الكبيرة التي تبلغ عدة مجلدات ، خاصة وان كثيرا من أبحاثها تقع في غير المظان التي تخطر على بال الباحثين ، مما يعجزون معه عن معرفة حكم المسألة التي يبحثون عنها .

ثانيا — كثير من كتب الفقه الكبيرة هي شروح وحواش على متون ومختصرات ، وكان أصحاب الحواشي يكتفون ببيان أول الجملة التي يريدون

الكلام عنها من الشرح ثم ينصرفون الى شرحه أو التعليق عليه ، ولم يهتم الناشرون لهـذه الشروح والحواشى بربـط تعليقـات الحـواشى بمـا تتصـل بـه مـن المتن أو الشرح بالاستعانة بالأرقام التى تربط أول كل تعليقة بما يتصل بها من النص الأصلى ، وبدون هـذا يجد الباحث نفسه أمام نصوص متفرقـة لا يجمعها سياق واحد ، ويصعب على معظمهم العثور على الحكم الـذى يبحثون عنه ، هذا على فرض توافر العزيمة والمثابرة على البحث .

ونورد على سبيل المثال نصا مـن حاشية الدسوقى على الشرح الكبير للدردير ، وهو أحد المراجع الأساسية للفقه المالكى : (والمثال من باب الدماء ص ٢٥٢ جزء ٤) بصدد عدم القصاص اذا لم يتماثل محل الجناية ومحـل الاقتصاص ، فينتقل الـى العوض المالى . قال : (كذى شـلاء عدمت النفع) فجنى عليها فيؤخذ عقلهـا (بصحيحة) أى من ذى صحيحة جنى عليها (وبالعكس) اى جنى صاحب الشلاء عادمة النفع على الصحيحـة فلا قصاص ويتعين العقل ، ويجوز أن يكون المعنى كذى شلاء عدمت النفع جنى على صحيحة فلا يقتص منهـا بالصحيحة ، وظاهره ولو رضى .

ــ أضاف هنا الدسوقى : (قوله ويجوز أن يكون الخ) حاصل هـذا الاحتمال جعل الباء فى قوله بصحيحة بمعنى على . وحاصل الاول جعلها بمعنى من ، وفى الكلام حذف مضاف (قوله وظاهره ولو رضى الخ) أى ظاهره أنه لا يقتص من الشـلاء بالصحيحة ولو رضى الخ .. والكتاب كله على هذه الوتيرة ..

ثالثا ــ غالبية الكتب القديمة طابع أسلوبها التركيز الشديد (وهذا واضح من المثال السابق) ، وهى بهـذه الصورة لا يفهمها الا من اعتاد قراءة هذه الكتب ، ولا يخلو الامر مع ذلك بالنسبة للعلمـاء الدارسين مـن الاختلاف فى فهم النصوص المركزة .

رابعا ــ بعض الكتب القديمـة تعتمد على اصطلاحات ورموز يتعذر معها فهم المقصود ولا بد من الرجوع الى قائمة المصطلحات والرموز ــ أن وجدت ــ وان لم توجد بقى الكتاب لغزا مستعصى الفهم على غير العلماء . والأمثلة على ذلـك متوافرة عند مراجعة أى نص فقهى ، فـلا يكاد القارىء يجاوز جملة أو اثنتين حتى يتعثر بكلمات مختزلة أشير بهـا الى أسماء المراجع أو المؤلفين مثـل (در ، بحر ، قنية ، هندية) وأحيانا بحروف (ط ، سم ، ز ، ح) ويريدون بالكلمات المفردة تلـك أسماء مراجع من المسير على الأكثرين أن يدركوا ذواتها ، أما الحروف فلها دلالات ، ربما بينها المؤلفون فى أول كتبهم وربما أغفلوا ذلك . وأحيانا يرمزون بحروف مثل (ط ، سم ، ز ، ح) والمراد بتلك الحروف على التتالى (الطحاوى ، أبو يوسف ومحمد ، زفر ، الحلبى المدارى وللحاء اصطلاح آخر عند المالكية فهى للحطاب ، ولهم (بن) للبنانى ، كما للشافعية (ع ش) على الشبراملسى (شب) للشبرخيتى وهكذا .

ونضرب لذلك مثالا آخر مفصلا من كتاب البحر الزخار من كتب الفقـه الزيدى والمقارن (الجزء ٥ ص ٥٦ فى الوكالة) : « مسألة » (ى ه قين) ولا تصح فيما عظمت جهالته ، كوكلتك فى كل قليل وكثير ، وصامت وناطق ، ومنقول وغيره لما مر (لى) تصح .

قلت : وهو قريب (لهب) كما مر وتتناول الحفظ الا حيث عين العمل ، كوكلتك ببيع كل كثير وقليل من مالى ونحوه ...

ولا بد من الرجوع الى قائمة الرموز فى أول الجزء الاول لتعرف ان ى ه تعنى « حكى يحيى القول عن صاحب الرمز (العترة) » وان قين تعنى « للفريقين الحنفية والشافعية » وان لى تعنى « عبد الرحمن بن أبى ليلى » وان لهب تعنى « نسبة أحدهم للمذهب » .. وهكذا .

❋ ❋ ❋

اما المصطلحات فأقرب امثلتها من كتب الحنفية : الامامان أو الشيخان وهما أبو حنيفة وأبو يوسف والصاحبان وهما أبو يوسف ومحمد والطرفان وهما أبو حنيفة ومحمد ، والثانى : أبو يوسف ، والأئمة الاربعة المعروفون ، والأئمة الثلاثة أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد . والامام الاعظم أبو حنيفة ، وعند الشافعية يراد بالامام امام الحرمين ابن الجوينى . اما فى كتب التفسير والاصول فالامام هو الرازى ، وغير ذلك كثير ...

خامسا — وهناك نوع آخر من المصطلحات يؤدى عدم المام القارىء به ، وبالاختلاف بين المذاهب فى مضمونه الى الخطأ فى فهم الحكم نفسه ، مثال ذلك اصطلاح الفساد والبطلان عند الحنفية اذ يميزون بين الفاسد والباطل فالأول يقابله الصحة والثانى يقابله عدم الانعقاد — وغير الحنفية يجعل الفاسد كالباطل ، وكالوجوب عند الحنفية فهو بين الفرض والسنة أما غيرهم فهو والفرض شىء واحد . وكذلك الكراهة فهى حيث تطلق عند الحنفية تحمل على المكروه تحريما القريب للحرام . ومثل عبارة (لا بأس به) عندهم فهى لخلاف الأولى غالبا ، وليس لغيرهم هذا التميز . وبالمقابل نجد للمذاهب الاخرى مصطلحات ينفرد بها كل مذهب .

سادسا — كثير من أمهات الكتب لم يصنف على منهج الكتب وانما صدر من مؤلفيها على صورة فتاوى أفتوا بها فى وقائع عرضت عليهم ، ثم جمعت هذه الفتاوى فى عصرهم أو بعد وفاتهم . ومن أوضح الامثلة على ذلك « الفتاوى المهدية » حيث يجرى الكتاب فى سبعة مجلدات كبار على نسق واحد : سئل فى كذا فأجاب بكذا ...

سابعا — كما ان غالبية الكتب الفقهية القديمة — عدا كتب الفتاوى المشار اليها — تعرض أحكام الفقه فى صورة فروع ومسائل تطبيقية ، لا فى صورة أبحاث ومبادىء تأتى المسائل تطبيقا لها أو مثالا عليها .

ولا يخرج عن هذا الاتجاه سوى كتب قليلة لعل أروعها كتاب « بدائع الصنائع » للكاسانى حيث جرى على سنن التأليف الحديثة من تجريد الأحكام عن الفروع والامثلة ، وعرضها فى صورة تحليلية توضح فيها الأركان والشرائط والعلل والأدلة ...

ثامنا — جمع معظم الناشرين لهذه الكتب القديمة من عدة كتب فى آن واحد بوضع أحدها فى داخل اطار ، والكتاب أو الكتب الأخرى فى الحواشى خارج هذا الاطار . بل ان بعضهم وصل به الأمر الى جمع

خمسة كتب في الصفحة الواحدة ثلاثة داخل الاطار يفصل بينها خطان واثنان في الحاشية خارج الاطار يفصل بينهما خط آخر ، كما حدث في طبعة الحلبي لشرح فتح القدير لابن الهمام ، مع تكملته نتائج الأفكار لقاضي زاده على الهداية للمرغيناني مع الكفاية للكرلاني وذلك في صلب الصفحة مفصولا بينهما بجدولين ، وبهامشها شرح العناية على الهداية للبابرتي ، وحاشية سعدي حلبي مفصولا بينهما كذلك بجدول .

تاسعا — معظم الفقهاء الأقدمين لا يعزون الآراء التي يوردونها الى الكتب السابقة عليهم التي نقلوا عنها هذه الآراء ، فيجد الناظر فيها مادة فقهية جمة لا يدري من أين أخذت مسائلها لكي يتاح له استئناف النظر فيها من خلال مراجعها الأصلية . وهذا الملحظ هو الطابع الغالب في الكتب القديمة ، وقد شذ عنه صنيع بعض المتأخرين في حدود لا تخرج عن الندرة .

عاشرا — لا يعتني المؤلفون في الفقه — من أصحاب المذاهب — بذكر الأدلة — فيما عدا صدور الابواب الفقهية — ثم انهم اذا أوردوا الدليل لم يحاولوا أن يمحصوا أمره ، وخاصة الأدلة من الحديث ، فيسردون عديدا من الاحاديث بعضها لم يستجمع شروط الصحة أو الثبوت ، بل يقع عندهم أحيانا بعض الاخبار الموضوعة أو التي لا أصل لها ، (ومن أجل هذا نشط المحدثون في تأليف كتب التخاريج لتمحيص الأخبار الواردة في المراجع الفقهية ، كنصب الراية لأحاديث الهداية ، والتلخيص الحبير وغيرهما) .

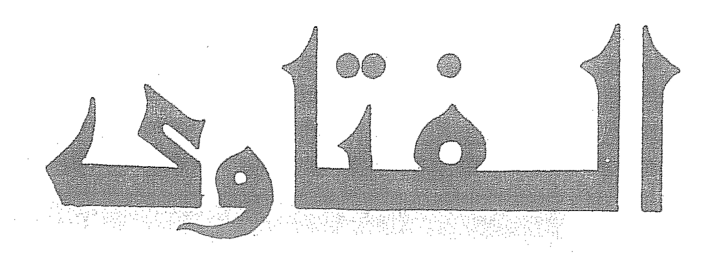
حادي عشر — بالاضافة الى المصطلحات والاختزالات الكلمية لدى فقهاء كل مذهب للدلالة على المراجع أو المؤلفين ، قد تكونت مصطلحات في القيمة الاعتبارية لفئة من الكتب أو لون من المؤلفات ، بسبب أسلوبها الموغل في الاختصار (كالمتون ، فهي لا يفتى بما فيها الا بعد مراجعة شروحها وحواشيها) أو تبعا لاعتماد مؤلفيها وطبقتهم في الترتيب المذهبي لفقهاء المذهب (اجتهاد في المذهب ، أو تخريج ، أو ترجيح ، أو اختيار الخ . . .) وهذه المصطلحات توجد متناثرة ومتداخلة بالمادة الفقهية غالبا وربما عني بعض الفقهاء بافرادها في كتب تحت اسم (مدخل الى مذهب كذا) أو (رسم المفتي) ونحو هذه العناوين .



هذه هي أهم الصعوبات التي يجدها الباحث في كتب الفقه القديمة ، والتي تكون حائلا بينها وبين استفادة الباحثين منها .

لذلك تقوم الموسوعة الفقهية على أساس علاج هذا الموقف وتفادي هذه الصعوبات حتى يمكن للشخص العادي فضلا عن المتخصص ان يعرف الآراء الفقهية — في المسائل المختلفة التي تعرض له — ببساطة ويسر ، ودون حاجة الى وسيط يقوم « بترجمة » هذه الكنوز القديمة الى أسلوب حديث .

اما كيف تقوم الموسوعة بهذه المهمة ، فمحل تفصيل ذلك عند الكلام على منهج الموسوعة وخطة الكتابة فيها في مقالات قادمة باذن الله .



الطبيب الشرعى

السؤال :

توفيت امرأة ، واشتبه فى وفاتها أهى بسبب جنائى أم بغيره ، ولا تعرف الحقيقة الا بوساطة كشف الطبيب عليها ، فهل يجوز الكشف عليها من طبيب اجنبى ؟

نرجو بيان حكم الشرع .

على خالد — القاهرة .

الجواب :

من القواعد المقررة فى الشريعة الاسلامية ان الضرورات تبيح المحظورات ومعرفة سبب الوفاة فى هذه الحالة شأن ضرورى تهتم به الشريعة ، وبناء على ذلك يجوز للطبيب أن يرى المتوفاة ويكشف عليها فى هذه الحالة لمعرفة سبب الوفاة .

فى الميراث

سؤال :

رجل توفى وترك اخا لأب وأختين شقيقتين وبنتين وزوجة ، فما نصيب كل مع أن المرأة لها مؤخر صداق ؟

حسين جاسم — البصره .

الجواب :

اولا يخرج مؤخر الصداق من التركة ويعطى للزوجة ثم يقسم الباقى على النحو التالى الثلثان للبنتين ، والثمن للزوجة ، والباقى للأختين الشقيقتين ، ولا شىء للأخ لأب .

التبرج

السؤال :

يجوز للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها ، فهل يبقى هذا الجواز اذا كان الوجه والكفان مصبوغان بالأصباغ المعروفة .

هند العزيزى — عمان

الجواب :

كشف الوجه واليدين مزينة بالأصباغ المعروفة نوع من التبرج الذى يمقته الشرع ، ويشدد فى النكير عليه ، والكشف المباح انما هو للوجه واليدين على طبيعتهما التى خلقها الله عليها خالية من الأصباغ والألوان .

تركة اليهودى

السؤال :

توفى يهودى فى بلد اسلامى ، ولم يترك من يرثه ، وترك مالا كثيرا ، فهل يحل بناء مسجد فى هذه البلد من تركة هذا اليهودى ؟

اسماعيل بكداش — الجزائر .

الاجابة :

تركة هذا اليهودى تؤول الى الخزانة العامة للدولة ، ولا يجوز لاهل البلد التصرف فيها ولو ببناء مسجد .

فى الزكاة

السؤال :

عندى مائة جنيه أدخرها لعواقب الأيام ، فهل تلزمنى زكاتها كل عام ؟

سيد بكر — ج . ع . م

الاجابة

هذا المبلغ كما يبدو من السؤال فاضل عن حاجات السائل الأصلية ، واذا كان كذلك وجب على مالكه أن يخرج زكاته عن كل سنة وهى ربع العشر .

الاكتحال فى الاحرام

السؤال :

هل يجوز لى فى حال الاحرام بالحج أو العمرة أن اكتحل ؟

سعيد جلول — طرابلس

الاجابة :

روى عن ابن عمر انه قال — يكتحل المحرم باى كحل شاء ما لم يكن فيه طيب ، وقالت عائشة لا مراة سالتها — اكتحلى بأى كحل شئت غير الاثمد ، اما انه ليس بحرام ولكنه زينة ونحن نكرهه .

وعلى ذلك يجوز للمحرم استعمال القطرات والمراهم لعلاج العيون ، وليس عليه شىء فى ذلك ما دامت جميعها ليس طيبا ولا زينة والله أعلم .

بأقلام القراء

فى رحــــاب الحرم

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ حسين ابو هاشم يقول :

« والله انك لخير ارض الله ، واحب ارض الله الى الله،ولولا انى اخرجت منك لمــا خرجت » بهذا الحديث الذى أودعه الرسول صلى الله عليه وســلم شوقه وحبه لهذا البلد الطيب التى اختصها الله بأول بيت وضع للناس ، وكرمها بأن جعلها مجالا لأداء فريضة الحج ، ذلك الركن الأساسى من أسس الاسلام الثابتة ، والذى اشترط الله لتحققه أداء مناسكه فى هذا البلد الأمين مع ان سائر الفروض لا يشترط لها مكان معين ، وبذلك يظهر فضل هذا البلد ، اذ انه تتم فيه كل أركان الاسلام بخلاف غيره من أرجاء الدنيا .. ولهذا الشرف العظيم والقدر الكبير أقسم الله عز وجل به فى موضعين من كتــابه الكريم اذ يقول جل شأنه « لا اقسم بهذا البلد » « وهذا البلد الأمين » .

ولا يوجد فى غير مكة من هذا العالم موضع يشرع اســتلامه وتقبيله ، وتغفر الذنوب عنده الا الحجر الأسود والركن اليمانى ، ولا يوجد بلد اشترط الله لدخوله الاحرام الا هذا البلد ، كما أن هذا البلد يضم المسجد الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا والذى قال عنه الرسول صلى الله عليه وســلم « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام .. وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من صلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة » رواه ابن حبان فى صحيحه .

وفى كل مكان .. فان من هم بسيئة ولم يفعلها لم يحاسب عليها ، ولكن فى الحرم — لقداسته وعظمته — فان الله تعالى يعاقب من يهم بفعل ســيئة فيه على مجرد الهم بقوله تعالى « ومن يرد فيه بالحاد بظــلم نذقه من عــذاب اليم » .

ولا ادل على فضل هذا البيت من اضافته اليه سبحانه فى قوله « وطهر بيتــى » ومبالغة فى تعظيم هذا المكان جعلت له حدود فى أطرافه البعيدة لا يتجاوزها الا مسلم .. وهذه الحدود تحيط به من جميع جهاته فمن الشرق نجد الجعرانة التى تبعد عن مكة ١٢ كم ، ومن الشمال الشرقى وادى نخلة ويبعد مسافة ١٤ كم وتقع اجناء فى حدهــا الجنوبى وينفصــلها عن مكة ١٢ م ، اما شمالى مكة فحد الحرم التنعيم وبينه وبين مكة ٦ كم والحد الخامس الشميسى وهى بمكان قريب من الحديبية التى تم عندها الصــلح الذى عقد بين الرســول صلى الله عليه وسلم وقريش وهو صلح الحديبية .

وبذلك كان المسجد أفضل مكان فى الأرض على الاطلاق .

الاستاذ والد

وكتب الاستاذ عبد الرحمن احمد شادى تحت هذا العنوان يقول :

ذكر الأبشيهي المولود عام ٧٩٠ والمتوفى سنة ٨٥٠ هـ فى كتابه « المستطرف من كل فن مستظرف » انه تتلمذ على شيخة ابى بكر بن عمر الطريفى المالكى خمسة عشر عاما ، فلم يقطع بره يوما واحدا عنه فى هذه المدة حتى ظن انه أخص تلاميذه ، ثم اكتشف أنها عادته مع جميع تلامذته ، وقد عاش هذا المدرس نيفا وستين سنة ، وتوفى ليلة الجمعة الحادى عشر من ذى الحجة عام ٨٢٧ هـ ، فحضر غسله والصلاة عليه بجامع الخطبة بالمحلة ، ودفن بزاويته التى انشأها بسندفا مع والده عمر الطريفى (١) .

فليقارن القارىء المنصف بين عمل هذا الشيخ طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه ، وبين غيره من المدرسين والمعلمين الذين يغالون فى اجور الدروس الخصوصية ، ويتخذونها مغنما ، والذين يرفعون أثمان الكتب الدراسية ، ويتخذونها متجرا ، ويؤدون أعمالهم فى المدارس والمعاهد والجامعات أداء شكليا يرفع اللوم والعتاب والمؤاخذة فقط امام المدرس الاول والناظر والمفتش والعميد وان وجد المدرس ظهرا من هؤلاء أو من غيرهم ترك عمله ، واكتفى بالجلوس فى غرفة المدرسين والثرثرة مع الزملاء بعيدا عن الفصل ، واجتهد فى تحويل التلاميذ اليه فى البيت ليزيد الاجر الذى يقبضه من كل تلميذ عن الحصة التى يأخذها مع زملائه .

اما الصلة الروحية بين الأجيال التى تلقن العلم والتى تتلقاه فهى شىء فى حكم العدم ، والتلميذ أو الطالب يرى نفسه شيئا ضائعا وكما مهملا كقطرة الماء فى البحر ان التقط المعلومات التقاطا فبها ونعمت ، وان لم يستطع فشل وخاب وسلك طريقا آخر فى زحمة الدنيا .

اما الشيخ أبو بكر فلم يكتف بالتعليم المجانى طوال خمسة عشر عاما ، وانما كان ينفق على طلاب العلم ، فأى فرق ضخم بين أداء العمل كعبادة ، وبين أدائه كأكل عيش وتجارة ، الفرق شاسع بينه وبين آلاف المدرسين والمعلمين الذين يحرصون على الثلاجة والغسالة والسيارة والمذياع والتلفاز والهاتف والمروحة أكثر من حرصهم على المعانى الكبيرة الخالدة فى صدور الأجيال الغضة التى ينقلون اليها العلم ومسطور المؤلفين الذين يقتبسون عنهم ، وما داموا سيحققون ربحا ماديا مجزيا فلتذهب الأجيال التى تتلقى العلم ولتذهب المعانى الى الجحيم ، ولو جعلوا فى مركبهم شيئا لله وحشدوا فيها اليتيم والفقير الذى أوتى الفطنة ، ولكن يده قصيرة لا تستطيع أن تسابق زملاءه فى دفع الأجر لأدوا زكاة العلم .

ولو كانت العلة هى القوت لهان الامر ولوسعهم العذر ، ولكن العلة هى النعيم الموقوت والمستوى العالى والغنى المفرط والتسابق مع الظل ، ولا بد من حمد الحسن وذم القبيح ..

جعل الله للشيخ ابى بكر بن عمر الطريفى المالكى لسان صدق فى الآخرين فأصبح من النماذج البشرية .

---

(١) جـ ١ ص ١٤٥ ط ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥ القاهرة .

بريد

« عبد المعطى بيومى »

التكرار .. فى القرآن الكريم

لماذا اشتمل القرآن الكريم على تشابه كثير من الآى المسوقة لمعنى واحد ، وعلى تكرار كثير من القصص فى كثير من السور ؟

فتحى عبد العظيم — ج . ع . م

ليس كل تكرار يؤدى الى الملل اذ قد يكون التكرار صورة بلاغية يحسن بها الكلام وتأخذ به المعانى زينتها ، بل قد يكون التكرار ضرورة يفرضها المقام حيث يتأكد به المعنى ولا يتأكد حينئذ بغيره . وفيما يتعلق بالتكرار الذى وقع فى القرآن الكريم .

أ) فى مجال القصة فقد كان التكرار فيها من أجمل المظاهر فى بلاغة التكرار وأرقاها على الاطلاق ، فالقصة الواحدة تكرر عرضها فى صور متنوعة بعضها موجز وبعضها شارح وبعضها يركز على جانب معين من جوانب العبرة ليترك بعضها هذا الجانب الى جانب غيره يلائم السياق ويضيف الى القصة معنى جديدا أو صورة جديدة مع ايراد لفظ بعينه أو مع تغيير طفيف ليعيد الى نفس السامع أو القارىء جو المناسبة السابق وملابساته ليظهر المعنى الجديد ظهورا بينا أو لتتأكد بعض التفاصيل الهامة مع ملاحظة أن القصة لا تتكرر كلها .. بجميع ألفاظها ومعانيها .

فعلى سبيل المثال والتعليل لما نقول فان قصة آدم تعرض لأول مرة فى سورة البقرة فنرى تركيز هذا العرض على استخلاف الله لآدم وتعليمه الأسماء كلها ، ثم تعقب على عصيان ابليس لله وخروجه من الجنة وتوبته دون أن تعرض السورة للشبهة التى تعلل بها ابليس فى رفضه السجود أو تعرض للخطة التى عزم ابليس على تنفيذها فى المستقبل لتأتى بعد ذلك القصة فى سورة الاعراف لتسكت عن موضوع الاستخلاف والتعليم اللذين ذكرا فى سورة البقرة لتركز على معصية ابليس لربه .

وتذكر الشبهة التى تعلل بها « **أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** » ثم تبين السورة زيادة على ما سبق ذكره فى سورة البقرة — الخطة التى أعلن الشيطان عن محاولة تنفيذها « **لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** » كما بينت طرد الله ولعنته لابليس « **قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين** » .

ولكن سورة الاعراف لم تبين بعد المادة التى خلق منها آدم غير اشارة جاءت عرضا لا قصدا وفى خلال شبهة ابليس لتأتى سورة الحجر لتبين هذه المادة وكيفية تكوينها فى مراحلها المتقدمة « **ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون** » ثم تضيف هذه السورة معنى جديدا لم يسبق اليه من قبل

وهو اعلان عجز الشيطان عن اغواء المخلصين من عباد الله « **ولأغـويـنهـم اجمعين .. الا عبادك منهم المخلصين** » « **ان عبادى ليس لك عليهم سلطان** » ولكن مادة الخلق في مراحلها الأولى لم تبين بعد حتى تأتى سورة « المؤمنون » لتبين المراحل الأولية للخلق حيث يقول الله « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين** » .

اما سورة طه ـــ وهي تسبق سورة « المؤمنون » فانها تركز على جانب آخر غير ما سبق فتذكر أن الله عهد الى آدم ولكن آدم نسى عهد الله « **ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما** » وتلقى السورة بعض الضوء على هذا العهد « **أن لك الا تجـوع فيها ولا تعرى . وأنـك لا تظمؤ فيها ولا تضحى** » .

وهكذا كل قصص القرآن بلا استثناء تبدو للنظرة العجلى كانها مكررة بكل تفاصيلها ، ولكن الواقع أنها لا يتكرر فيها الا المشاهد التى تعيد الى الذهن الصورة العامة لتضيف كل سورة معنى جديدا لم يسبق اليه فى السور السابقة بما يتلاءم مع السياق والغرض الذى سيقت من أجله القصة .

فهو تكرار اذن من نوع خاص يبرز اعجاز القرآن وبلاغة فى عرض الصور بأشكال متنوعة لا يستطيعها الا الله وحده سبحانه .

.. أما التكرار فى بعض الآيات أو الالفاظ فهو تكرار اتى به فى كل الأحيان لتضيف وقعا خاصا وقد ذكر الألوسى أنه تكرار فى المعنى وان تكررت الالفاظ فى مثل قوله تعالى « **فبـأى آلاء ربكمـا تكذبان** » وقوله تعالى « **ويل يومئذ للمشركين** » لا ختلاف المتعلق فى كل واحدة عن الأخرى .

ففى سورة الرحمن مثلا يركز الله عز وجل خلق الانسان وتعليمه القرآن والشمس والقمر والنجم الخ ثم تذكر اللازمة التى تتكرر بعد ذلك « **فبأى آلاء ربكما تكذبان** » أى فبأى نعم الخلق أو التعليم أو الشمس الخ تكذبان ثم يقول الله بعد ذلك « **خلق الانسان من صلصال كالفخار . وخلق الجان من مارج من نار . فبأى آلاء ربكما تكذبـان** » أى فبأى النعم تكذبان خلق الانسـان مـن صلصال أو خلق الجان من مايع من نار فالمتعلق فى الآيتين هنا مختلف وهكذا فى كل آيات السورة فلا تكرار اذن الا فى اللفظ .

ومن صور البديع تكرار اللفظ دون المعنى ـــ كما يقول الامـام الباقلانى ـــ كقول الشاعر ـــ .

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أينا .

فاذا كان الكلام على هذه الصورة من صور البديع ـــ تكرار اللفظ دون المعنى مكررا للتأكيد والتقرير ـــ كما يقول الامام الفخر الرازى ـــ كان الكلام حينئذ بديعا ومؤكدا .

وقد جرى ذلك كثيرا فى كلام العرب ـــ دون مستوى القرآن طبعا ـــ ومن ذلك قصيدة طويلة للمهلهل بن ربيعة يرثى أخاه كليبا .

علـى أن ليـس عـدلا من كلـيب	اذا مـا ضـيم جـيران المجـير
علـى أن ليـس عـدلا من كلـيب	اذا خـرجـت مخبـأة الخـدور
علـى أن ليـس عـدلا من كلـيب	اذا خـيف المخـوف من الثـغور

قالت صحف العالم

امتنا بخير

نشرت صحيفة جوهر الاسلام التونسية كلمة تقول فيها ..

ما تزال هذه الأمة بخير تتحاماها الخطوب وتتحطم على صخورها النوائب ما تمسكت بكتاب الله وأحيت سنة رسوله ، تلتفت اليهما كلما احلولكت الأجواء ، وتلبدت الغيوم لتجد منهما المشاعل التى تنير الطريق ، وتمزق الغيهب ، وتحقق المغنم والسلامة ، فخليق بها أن توليهما من الاهتمام والعناية ما يناسب مقامهما الرفيع ، ويليق بأمة وعت رسالتها الانسانية ، وقدرت دورها الحضارى الذى أناطته الأقدار السماوية بعنقها .

ولقد مرت بالأمة الاسلامية حقب رأت فيها كثيرا من الهزات العنيفة واللطيفة ، مرت كلها دون أن تصيب منها العظم أو تهشم الرأس لأن بقية صالحة من أبنائها ما تزال ممسكة بحبل الله المتين وآخذة بحظها من الآيات والذكر الحكيم .

وانه لمن المسلم به لدى ذوى الانصاف من أهل البحث العلمى الذين عنوا بتاريخ الشعوب ، أن النافذة الوحيدة التى تطل منها النوائب على المسلمين لم تكن غير نافذة الابتعاد عن الهدى القرآنى والارشاد المحمدى أو محاولة الاستغناء عنهما بما لا يسد الفراغ ولا يحقق المرغوب ، ولقد أعطت التجارب المتكررة عبر العصور أن أمتنا الاسلامية كلما حاولت الخلاص مما حل بها أو حلت به من ضيق ومكروه لم يكن خلاصها أبدا الا عن طريق العودة الى القرآن ولغته وعلومه وأحكامه ، ففيه وفى السنة النبوية الطاهرة تجمعت جميع عناصر المنعة والخلود بما حققاه من مزج والتئام بين القوتين المتحكمتين فى مصائر الأكوان والانسان ، قوة المادة بجميع ما فى الكلمة من معنى ، وقوة الروح بما فيها من ملائكية وعفاف وطهر .

وانه لمن العته والجنون أن يقوم غير المتبصرين من أبناء هذه الأمة بحملات تشكيكية سافرة على صلاحية القرآن ولغة القرآن ونجاعة اسلوبهما فى مواجهة مشكلات الحياة ، لكن الذى يثلج الصدر ، ويبعث على الاطمئنان هو أن نرى جمهرة طيبة من الراسخين فى العلم . من أبناء الاسلام ومن غير أبنائه أوقفتهم حقائق العلوم والمخترعات على مدى سبق القرآن واعجازه التى لا تحد ولا تعد ، واعلنوا على رؤوس الأشهاد ايمانهم بالقرآن وبمن جاء به من عند الله وبأنه ((**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**)) فهو الذى قال منزله يخاطب البشرية قاطبة ((**يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا**)) ..

سر الانتصار

وتحت هذا العنوان تقول مجلة التربية الاسلامية البغدادية ..

لكل أمة في تاريخها انتصارات وهزائم ولكل عواملها ، والأمة الاسلامية قد حققت انتصارات عظيمة في تاريخها الطويل ، هذا التاريخ الذي اختطه القائد العظيم محمد صلى الله عليه وسلم ، ووقف ليبرهن للعالم أن الايمان يصرع الالحاد ، وأن القيم ستنتصر مهما صال الباطل وجال في الميدان ..

والتفاتة قصيرة الى الحروب الصليبية تكشف لنا عن مدى انتصار الايمان متى ما رجعنا اليه .. تلك الحروب التي دامت زهاء قرن واحد ، والتي كانت رحاها تدور على نفس الأرض التي تدور عليها الآن رحا حرب أخرى بين الكفر والايمان .. تلك الحروب الصليبية التي هيأ الله فيها للمعسكر الاسلامي يومذاك قيادة مؤمنة واعية شديدة الصلة بربها وبدينها استعاد المسلمون بها عزتهم ومجدهم وغيروا وجه التاريخ .

وكانت معركة حطين والمسلمون قد عادوا لا جئين الى ربهم ، فالقائد يقضي ليلته قبل يوم حطين في تبتل وخشوع وابتهال الى الله ، ويصبح يوم المعركة صائما وقد تلا من القرآن ما تلا والجنود بين قائم يصلي وآخر يدعو الله وثالث يقرأ القرآن .

وهكذا كان الجنود والقائد في تلك العبق الروحي والصلة الربانية .

وبذلك جعلوا روابي حطين يومها تشهد انتصارا نفسيا دقيقا في معانيه ومقاصده قبل الانتصار الساحق الذي ذهب مثلا في التاريخ .. تلك كانت سر الانتصار في حطين سر انهاء التمرد على الله والرجوع اليه مع اعداد القوة المتكافئة روحيا .. ويمضي الزمن .. ويأتي على المسلمين نتيجة تفككهم وتمردهم على الله ، يأتي عليهم داهية أعظم حين وقعت معركة التتار التي احتلت الشرق الاسلامي الا ما شاء الله ويصحو المسلمون وهم في وسط النكبة وكأن صحوتهم جاءت على دوي الآية الكريمة .. « وان عدتم عدنا » .. وتأتي معركة عين جالوت تلك المعركة التي تحالفت فيها الوثنية المتقدمة مع الصليبية المهزومة للاغارة على العالم الاسلامي والقضاء على الاسلام .. فالحملة المغولية تتقدم بعد أن قضت وطرها من الدولة العباسية الى أن أتت مشارف البحر الابيض المتوسط في بلاد الشام غير متعرضة للمناطق التي كانت في حوزة الصليبيين آنذاك بل متواطئة معهم على المسلمين فالوضع الداخلي كان في العالم الاسلامي آنذاك وضعا متفككا انهكته الحروب مع التتار والصليبيين وضع كله ضعف وهوان وتفكك يدمي لها القلب .. ويشاء الله ان قيض للمسلمين في وسط هذه الظروف قيادة مؤمنة .. بقيادة « قطز » الذي أدرك تبعة الدور الذي أهله الله تبارك وتعالى للقيام به خاصة بعد أن أشبعت روحه بنفحات الايمان والجهاد التي كانت تشع من أعماق شيخ الاسلام في مصر في تلك الأيام العز بن عبد السلام .. وأخيرا يأتي النداء الا من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليخرج لملاقاة الأعداء .. وتنطلق الحملة لتقضي على مهزلة التحالف الوثني الصليبي .

وهكذا تأتي قيادة عين جالوت صدى لقيادة حطين .. سر الانتصار فيها واحد الهدف من المعركة واحد .. ولكن هل للتاريخ أن يعيد نفسه حيث الادوار اليوم تمثل على المسرح مع اختلاف بسيط حيث تحالف الصليبي الحاقد مع اليهودية المجرمة الحاقدة محل التحالف مع الصليبي ـ الوثني .. ولنا في الله الأمل القوي في انهاء مهزلة الالحاد على الايمان .

اعداد الأستاذ عبد المعطى بيومى

الكويت : تناولت المباحثات التى أجراها الرئيس السودانى مع المسؤولين قضية الشرق الأوسط، والعلاقات الثنائية بين البلدين ، وذلك أثناء الزيارة الرسمية التى قام بها سيادته للبلاد بدعوة من صاحب السمو أمير البلاد المعظم ، واستغرقت أربعة أيام .

● قررت وزارة التربية دعم مادة التربية الدينية ، وتنظيم مسابقة لحفظ القرآن الكريم ، وقد خصصت جوائز للفائزين .

● أجرى وزير الشئون الاسلامية في موريتانيا مباحثات مع المسئولين تناولت وسائل تدعيم الدعوة الاسلامية فى موريتانيا وذلك أثناء زيارته للبلاد بدعوة من معالى وزير الخارجية الكويتى .

● صرح معالى وزير التجارة والصناعة الشيخ عبد الله الجابر الصباح بأن أهم قرارات المجلس الاقتصادى العربى الذى عقد مؤخرا بالقاهرة هى انشاء صندوق انماء عربى برأسمال قدره مائة مليون دينار تساهم الكويت فيها بحوالى الثلث .

● أعربت وفود البلاد الاسلامية التى مرت بالكويت في طريقها الى الحج عن شكرها لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية على سبل الراحة التى هيأتها لهم فى مدينة الحجاج .

● قررت لجنة المساعدات الاسلامية الخارجية رفع توصياتها الى مجلس الوزراء لاتخاذ قرار بامداد بعض الجهات الاسلامية بالمعونة اللازمة لها .

● ستقوم وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بطرح مناقصة لبناء ١٠ مساجد جديدة فى الجهات التى تفتقر الى المساجد .

● تجرى المباحثات بين الكويت والمعهد الألمانى الغربى للأبحاث الشرقية حول تبادل التراث الاسلامى الذى تنوى الوزارة احياءه .

● تلقت الاوقاف والشئون الاسلامية عن طريق وزارة الخارجية النص الحرفى لقرارات مؤتمر رابطة العالم الاسلامى الذى انعقد فى شهر ١٠/ ٧٠

القاهرة : استقبل الرئيس السادات فى الشهر الماضى رئيس اتحاد المسلمين فى توجو ، وقد أجرى المسئول التوجى مباحثات فى القاهرة لتدعيم الدعوة الاسلامية فى توجو .

● قام رئيس الوزراء الدكتور محمود فوزى بزيارة شيخ الأزهر حيث تم التشاور فى عدة أمور اسلامية هامة .

● قام وفد اسلامى مصرى بحضور مؤتمر الدعوة الاسلامية فى ليبيا كما قام بجولة فى الفلبين والباكستان وبعض الدول الاسلامية .

● يقوم وفد من علماء الأزهر برياسة الدكتور عبد الحليم محمود بزيارة الى تسع دول افريقية . هى : تشاد ، مالى ، موريتانيا ، داهومى ، توجو ، السنغال ، سيراليون ، النيجر ، فولتا العليا ، .

● أجرى فضيلة الشيخ محمد خاطر مفتى الجمهورية اتصالات مع الهيئات الاسلامية العالمية لتحديد بدايات الشهور العربية وخاصة ما يتعلق منها بالعبادة .

● تم بحث تعديل قانون تطوير الأزهر وسوف تعدل خطط الدراسة فى بعض كليات الجامعة .

السعودية : أصدر معالى وزير الاعلام قرارا يمنع ظهور المغنيات فى التلفزيون السعودى ، وشكلت لجنة لفحص الأغانى لمنع اذاعة أى أغنية تتعارض مع الدين أو الأخلاق .

● وضعت عدة عقوبات مشددة على الشباب الذين يقلدون الخنافس .

● أصدر أمير منطقة مكة المكرمة أمرا بتشكيل لجنة لمراقبة الحرم الشريف ورعايته من جميع النواحى ، وسيشرف الأمير بنفسه على أعمال اللجنة .

● قام الأمير تنكو عبد الرحمن أمين عام منظمة الدول الاسلامية بزيارة المملكة بعد انتهاء جلسات مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى الذى انعقد فى كراتشى فى الشهر الماضى .

الاردن : صرح السيد حسين الشافعى نائب رئيس هيئة الاغاثة العربية للاردن بأن ما جمعته الهيئة حتى الآن ١٢ مليون دولار بينما الحد الأدنى للاغاثة هو (٢٠) مليونا .

● أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا بالاعتراف — لأول مرة — بحقوق الشعب الفلسطينى وخاصة فى تقرير مصيره .

● صرح السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية لمجلة ((المجتمع)) الاسلامية الكويتية أنه لم يدع الى دولة علمانية كما نسب اليه ، وقال اننا سائرون فى طريقنا ولن يثنينا أى شىء عن الجهاد حتى النصر .

العراق : قال الرئيس العراقى فى الذكرى الخمسين لتأسيس الجيش العراقى ان تحسينات اقتصادية وتعليمية وصناعية وزراعية ستتم بالبلاد عن قريب .

سوريا : صرح نائب رئيس الوزراء بأن اقامة جبهة وطنية يعد من المهام الرئيسية فى هذه المرحلة ، وقال ليس من شك فى أن قيام الحكم الجديد فى سوريا سيقرب اليوم الذى يتحقق فيه قيام الجبهة الشرقية لتؤدى دورها فى خدمة المعركة .

لبنان : عقد فى يناير الماضى فى بيروت المؤتمر العربى الأول لمحو الأمية تحت رعاية جامعة الدول العربية ومنظمات محو الأمية فى الدول العربية .

اليمن : تم فى الشهر الماضى تأسيس جمعية يمنية ألمانية لتنشيط التعاون وابداء المشورة لليمن اقتصاديا وثقافيا وعلميا وأثريا ، وقد بعث القاضى الأيريانى الى الجمعية يعدها بأن يقدم مزيدا من تشجيعه الشخصى .

ليبيا : عقد فى الشهر الماضى فى طرابلس مؤتمر للدعوة الاسلامية ، وقد حضره مندوبون عن معظم الدول الاسلامية حيث ناقشوا مشكلات الدعوة ووسائل تعزيزها .

● وجه سفير ليبيا فى المتحدة الدعوة الى فضيلة شيخ الأزهر لزيارة ليبيا ، وقد قبل فضيلته الدعوة التى سيحدد موعدها قريبا .

تونس : وجه مجلس الوزراء التونسى فى الشهر الماضى نداء يناشد فيه الفدائيين والجيش الأردنى الالتزام باتفاقيتى القاهرة وعمان حرصا على الأخوة والدم العربى .

المغرب :

● قامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية باعادة بناء وتجديد عشرة مساجد فى مدينة مراكش وبناء مسجدين بضواحيها .

● افتتح المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط مكتبة للعلوم تضم أكثر من أربعة آلاف كتاب باللغة العربية فى مختلف العلوم .

تركيا : أجرى وزير التعليم التركى مباحثات فى مصر تناولت موقف تركيا من قضية فلسطين .

باكستان : اتخذ مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى قرارات هامة منها : المطالبة بانسحاب اسرائيل فورا من الأراضى العربية المحتلة ومساعدة شعب فلسطين ، وانشاء وكالة أنباء اسلامية فى طهران ، وعهد المؤتمر الى مصر باعداد مشروع بنك اسلامى .

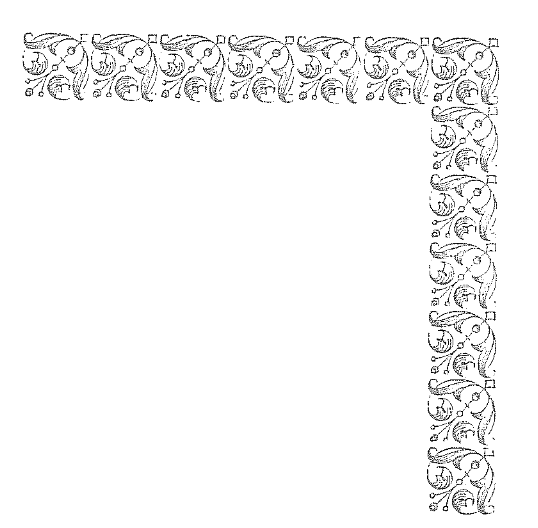
الهند : قرر بعض كبار الزعماء المسلمين فى ولاية بيهار الهندية تشكيل منظمة اسلامية تحت اسم (عوامى تنظيم) تكون مهمتها رعاية شئون المسلمين التعليمية والاقتصادية .

أفغانستان : سينعقد المؤتمر الاسلامى القادم فى كابول فى سبتمبر القادم ١٩٧١ م .

أخبار متفرقة :

لوس انجلوس : دعا الدكتور صبرى الفرا رئيس المؤسسة الاسلامية فى نورث كاليفورنيا الى تعزيز الدعوة الاسلامية فى الولايات المتحدة الامريكية ، وأعلن أن مؤتمر الجاليات الاسلامية سيعقد فى لوس انجلوس فى ٢ — ٥ يوليو القادم .

سان باولو : تم التباحث بين وفد الجمعية الخيرية الاسلامية فى بارناجدا وبين مدير المركز الاسلامى بالبرازيل والمشرف على الدعوة الاسلامية فى أمريكا الجنوبية بشأن وضع حجر الأساس للجامع والمدرسة فى بارناجدا .

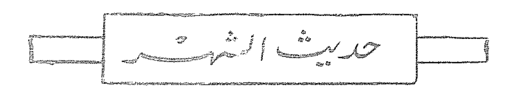


فهرس عام للمجلة

في عامها السادس

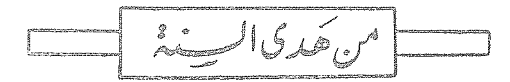
١٣٩٠هـ ١٩٧١/٧٠م

يشتمل على الموضوعات والأعلام



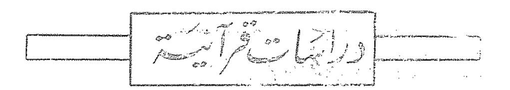
للشيخ رضوان رجب البيلى

الموضوع	العدد/الصفحة
أعيادنا الاسلامية	٤/٧٠
حدود غير آمنة	٤/٦٥
الدعوة والدعاة	٤/٦٨
ضيف السماء	٤/٦٧
عام جديد	٤/٦١
الكلمة والرصاصة	٦/٦٢
من الهلال الى الهلال	٤/٦٩
ميزان القوى	٦/٦٦
نبى الملحمة	٤/٦٣
الهدى فى الحج	٦/٧١
اليهود والاسلام	٤/٦٤
التضحية	٤/٧٢

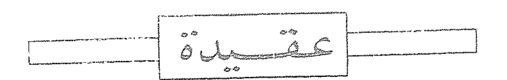


للدكتور على عبد المنعم عبدالحميد

الموضوع	العدد/الصفحة
الى أين نحن مسوقون (١)	١٥/٦١
الى أين نحن مسوقون (٢)	١٠/٦٢
الى أين نحن مسوقون (٣)	١٣/٦٣
حول النبوة	٢٠/٦٤
الدعاة الى الله	٨/٧٠
السنة والبدعة (١)	٨/٦٨
السنة والبدعة (٢)	٨/٦٩
الكلم الطيب	٨/٧١
الحج والجهاد	٨/٧٢
هذا بصائر من ربكم (١)	١٧/٦٥
هذا بصائر من ربكم (٢)	٢٤/٦٦
هذا بصائر من ربكم (٣)	٨/٦٧



الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
اقرأ باسم ربك	الدكتور عبد الحليم محمود	١٢/٦٩
تخرصات بعض سفهاء المستشرقين	الاستاذ محمد عزة دروزة	٨/٦١
جوانب من أخطاء المستشرقين	الدكتور عبد العال سالم مكرم	٥٦/٦٩
العقل فى تفسير المنار	الدكتور أحمد الشرباصى	٤٥/٦٦
كتاب المصاحف (١)	الشيخ محمد صادق عرجون	١٩/٧٢
لغة القرآن	الدكتور على محمد حسن العمارى	١٤/٦٨
مع الدكتور صاحب التفسير العصرى	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٢٨/٦٢
من دراسات المستشرقين	الدكتور عبد العال سالم مكرم	٤٢/٦٤

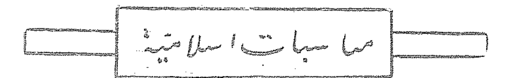


الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
الاسلام أولا	الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى	٣٥/٧٢
حوار	الشيخ محمد الغزالى	٢٥/٦٥
فلينظر الانسان مم خلق (١)		٤٠/٦٥
فلينظر الانسان مم خلق (٢)	الدكتور محمد سلام مدكور	٣٥/٧٠
فلينظر الانسان مم خلق (٣)		٥٤/٧١
قضية الايمان بالغيب	الاستاذ محمد كامل حتة	٣٦/٦٤
المادية فى مظاهرها وآثارها (١)		٢٠/٦٢
المادية فى مظاهرها وآثارها (٢)	الدكتور محمد البهى	٨/٦٣
المادية فى مظاهرها وآثارها (٣)		٨/٦٤
المادية فى مظاهرها وآثارها (٤)		٨/٦٥
منهج الايمان والحكمة	الدكتور عبد الحليم محمود	٢٨/٦٧
نظرة فاحصة فى داخل التوراة	الاستاذ محمد صبيح	٤٢/٦٣
هؤلاء ابتغوا الاسلام دينا	الاستاذ محمد نعيم	٧٨/٦٨

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
أثر الفقه الاسلامى	الدكتور محمود محمد قاسم	١٥/٦٢
الاحاديث الضعيفة والقوية	الاستاذ محمد ناصر الدين الالبانى	١٩/٧١
بين السائل والفقيه	التحرير	١٩/٦٢
التأمين فى الشريعة والقانون	الاستاذ سعد صادق محمد	٥١/٦١
التشديد فى العقوبة على الخطرين	الاستاذ أحمد فتحى بهنسى	٤٦/٦٣
تفضيل بعض الورثة على بعض	الشيخ عبد الجليل عيسى	٢٨/٦١
الجهاد	الدكتور محمد البهى	١٠/٦١
حوار حول الجهاد الاكبر	الاستاذ أحمد محمد جمال	٣٦/٦٨
حول مقال الاحكام الاسلامية	الدكتور سليمان دنيا	٦٦/٦٦
دليل نجاسة الخمر من السنة المطهرة	الاستاذ عبد الفتاح أبو غدة	٩٢/٦٦
الشورى فى الاسلام	الاستاذ عبد الكريم الخطيب	٤٠/٦٩
العمرة فى رمضان	التحرير	٩١/٦٩
الفتاوى العالمكيرية (١)	الاستاذ أنور أحمد قادرى	٨٧/٧٠
الفتاوى العالمكيرية (٢)	الاستاذ أنور أحمد قادرى	٧٠/٧١
مبادىء المسئولية الجنائية (١)	الدكتور وهبة الزحيلى	٣٥/٦٢
مبادىء المسئولية الجنائية (٢)	الدكتور وهبة الزحيلى	٤٥/٦٥
المعتدون على الفقه الاسلامى	الدكتور وهبة الزحيلى	٣٢/٧١
مميزات المساواة الاسلامية	الاستاذ الغزالى حرب	٥٠/٧٠
منزلة العبادة فى المسجد الحرام	الشيخ محمد سليمان الأشقر	٤٨/٧١
نشأة الفقه الاسلامى وأصول مذاهبه (١)	الاستاذ مناع القطان	٢٨/٦٨
نشأة الفقه الاسلامى وأصول مذاهبه (٢)	الاستاذ مناع القطان	٤٠/٧٠
النظم الدبلوماسية فى الجاهلية	الاستاذ حسن فتح الباب	٢٤/٦٩
الهدى فى الحج .	الشيخ رضوان البيلى	٦/٧١

تاريخ وحضارة

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
الاسلام ومنهج المعرفة	الاستاذ البهى الخولى	٣٠/٦٦
تجار الحروب	الاستاذ عبد الله التل	٦٧/٦٧
التوازن والتركيب	الاستاذ رمضان لاوند	٥٦/٦٦
الجانب العمرانى فى الحضارة الاسلامية	الدكتور محمود محمد قاسم	٢٦/٦٤
الحضارة والفنون	الاستاذ محمد الحسينى عبد العزيز	٦٠/٦١
الحقوق المزعومة لليهود فى فلسطين	الشيخ عبد الحميد السائح	٥١/٦٧
الدين والدولة فى اسرائيل	الدكتور محمد البهى	١٤/٦٧
السيرة النبوية والملحمة الاسلامية	الدكتور زكى المحاسنى	٣٨/٦٣
عامل الوقت مع العرب على اسرائيل	اللواء محمود شيت خطاب	٤٠/٦٧
العرب والحضارة	الاستاذ محمد الدسوقى	٥٨/٦٥
فتح خيبر	الاستاذ محمد رجاء حنفى عبد المتجلى	٦٨/٦١
الفكر الاسلامى ومراكز الابحاث	الاستاذ فاروق منصور	٧٧/٦٧
قائد معركة نهاوند	التحرير	٢٥/٦٣
ماذا يراد بالمسجد الاقصى	اللواء محمود شيت خطاب	٤٠/٦١
المآذن والمحاريب والمنابر الاسلامية	الاستاذ محمد الحسينى عبد العزيز	٩٢/٦٩
من سجلات تاريخ الصهيونية	الاستاذ سعد صادق محمد	٥١/٦٨
موقعة عين جالوت	الاستاذ محمد رجاء حنفى عبد المتجلى	٥٩/٧٢
نشأة دور الكتب	الشيخ طه الولى	٧٦/٧٢
النشاط الصهيونى (١)	لمطلع كبير	٦١/٦٧
النشاط الصهيونى (٢)	لمطلع كبير	٤٣/٧١
وصية لقائد الجيش الاسلامى	التحرير	٦٧/٦١
اليهود فى فلسطين وخارجها	الدكتور أحمد شلبى	٣٤/٦١

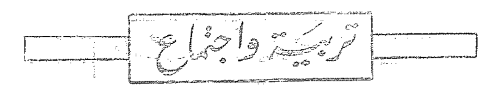


الموضـــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
أبعاد الهجـــرة	معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية	٤/٦٢
حديث عن رمضــــان	الشيخ أحمد حسن الباقورى	٣٥/٦٩
شهر رمضــــان	الشيخ عبد العزيز بن باز	٤٨/٦٩
ضيف السماء	الشيخ رضوان البيـــلى	٤/٦٧
فى ذكرى مولد الرسول	الاستاذ محمد الدسوقى	٢٦/٦٣
فى هجرة الرسول	الشيخ عبد الحميد السايح	١٩/٦١
من الهـــلال الى الهـــلال	الشيخ رضوان البيـــلى	٤/٦٩



تحرره ادارة الموسوعــــة

الموضـــوع	العدد/الصفحة
أخبار الموسوعــــة	١٠٢/٧٠
الحاجة الى موسوعة الفقـــهالاسلامى (١)	٦٦/٦٢
الحاجة الى موسوعة الفقـــهالاسلامى (٢)	٧٦/٦٣
الحاجة الى موسوعة الفقـــهالاسلامى (٣)	٧٦/٦٤
الحاجة الى موسوعة الفقـــهالاسلامى (٤)	٧٢/٦٥
الحاجة الى موسوعة الفقـــهالاسلامى (٥)	٨٧/٦٦
الحاجة الى موسوعة الفقـــهالاسلامى (٦)	٩٠/٦٧
الحاجة الى موسوعة الفقـــهالاسلامى (٧)	١٠١/٧٠
الحاجة الى موسوعة الفقـــهالاسلامى (٨)	٨٣/٧١
الحاجة الى الموسوعة الفقهيةلتدعيم وحدة الامة الاسلاميـــــة	٨٣/٧١
الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيدالاسلامى .	١٠١/٧٢
خطة الكتابة فى الموسوعة	٩٢/٦٧
رسالة من الاستاذ السيد وهيبدياب	٧٨/٦٤
رسالة من الاستاذ عبد القادرالسبسبى	٨٥/٦٩
رسالة من الشيخ عبد الجليـــلعيسى	١٠٣/٧٠
الشريعة الاسلامية بين مصادرالقانون العـــام	٦٦/٦٢
المذاهب وتعرض الموسوعـــــةلآرائهــا	٩٠/٦٦
من أخبار الموسوعــــة	٧٤/٦٥



الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
التربية الدينية أولا	الشيخ محمد الغزالى	٥٦/٦٧
التطبيق العملى للجهاد (١)	اللواء محمود شيت خطاب	١٨/٦٣
التطبيق العملي للجهاد (٢)	اللواء محمود شيت خطاب	٢٨/٦٥
توجيهات عمر للقائد والجنود	التحريـــر	٦٧/٦٥
التوكل على الله	الاستاذ أحمد مختار قطب	٧٨/٦١
الحج	الدكتور محمد البهى	١٢/٧٠
حياة الحجيج	الدكتور محمد كامل النقى	٥٠/٧٢
درس فى بناء الرجال	اللواء محمود شيت خطاب	٣٨/٦٦
سألقاك يا بنى	التحـــرير	٦٨/٧٠
الصبـــر	الاستاذ أحمد مختار قطب	٧٨/٧١
الضميـــر	الدكتور أحمد الحوفى	١٢/٧١
ضوء على بعض المشكلات	الشيخ محمد الغزالى	٢٢/٦١
الفطرة والكون	الاستاذ البهى الخولى	٢٤/٧٠
ما هى ثقافتكم يا شباب	الاستاذ أحمد محمد جمال	٤٢/٦٢
ما هى ثقافتكم يا شباب	الاستاذ أحمد محمد جمال	٢٤/٦٥
المحبوسون فى سجن المادة	الشيخ محمد الغزالى	١٣/٧٢
محنة الضمير الدينى هناك	الشيخ محمد الغزالى	٤٦/٦٢
مشكلة التربية والثقافة	الدكتور محمد غـــلاب	٥٢/٦٥
المنهج الاجتماعى فى الاسلام	الدكتور مصطفى عبد الواحد	٥٩/٦٨
وامعتصماه	التحريـــر	١٣/٦٧
الوجدان المسلكى	الدكتور وهبة الزحيلى	٤٦/٦٨
يا شباب الاسلام	الاستاذ أحمد العنانى	١٠٤/٦١

أدب

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
أثر القرآن والحـــديث فـى الخطابـــة	الدكتور محمد محمد خليفـــة	٥٢/٦٢
الرؤى والاحلام	الاستاذ عاصم الأدفوى	٦٩/٧٢
السيرة النبويـــــة فى الأدب الحديث	الاستاذ محمد عبد الغنى حسن	٣٣/٦٣
السيرة النبوية والملحمـــــة الاسلامية	الدكتور زكى المحاسنى	٣٨/٦٣
نظرات فى الأدب	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٦٩/٧٢

طب وعلوم

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
أمراض الصيف	الدكتور محمد محمد أبو شوك	٧٦/٦٥
نفخ الروح غير تكاثر الخلية	الدكتور حسن هويدى	٤٩/٦٤
الوهم القاتل	الدكتور محمد محمد أبو شوك	٩٩/٦١

الفتاوى

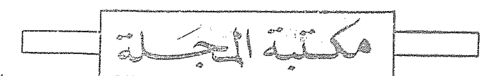
الموضوع	الاعداد	العدد/الصفحة
استقبال القبلة	التحرير	١٢١/٦١
الاكتحال فى الاحرام	التحرير	١٠٥/٧٢
التبرج	التحرير	١٠٥/٧٢
تركة اليهودى	التحرير	١٠٥/٧٢
التزوج بالملحد	التحرير	١٠٦/٦٩
التلقيح الصناعى	الاستاذ مصطفى أحمد الزرقا	١٠٣/٦٦
تنظيم النسل	الشيخ محمد سليمان الاشقر	١٠٥/٦٧
ثقب الأذن	الاستاذ مصطفى أحمد الزرقا	٨٨/٦٢
الحج أولا أو الزيارة	الشيخ حسنين محمد مخلوف	١٠٤/٧٠
حد السرقة	الشيخ على البولاقى	٨٩/٦٣
حديث باطل	الشيخ محمد سليمان الاشقر	١٠٤/٦٦
حكم الصلح مع اسرائيل	التحرير	١٠٨/٦١
حقوق الناس	التحرير	١٢٢/٦١
الحلف فى الانتخابات	التحرير	١٠٥/٦٩
الخطبة بغير العربية	الشيخ محمد سليمان الاشقر	١٠٤/٦٧
دواجن المزارع	الاستاذ مصطفى أحمد الزرقا	٨٨/٦٢
دين اليسر	التحرير	١٠٦/٧٢
زكاة الأسهم	الشيخ محمد أبو زهرة	٨٩/٦٤
زكاة العمارات والآلات	الاستاذ مصطفى أحمد الزرقا	٨٧/٦٣
زواج التحليل	الشيخ السيد سابق	١٠٢/٦٨
ستر العورة	التحرير	١٠٤/٧١
سن اليأس	التحرير	١٠٣/٧١
صندوق التوفير والادخار	التحرير	٨٦/٦٥
الطبيب الشرعى	التحرير	١٠٦/٧٢
الطلاق لا يقع	التحرير	٨٦/٦٥
طلب العلم	الشيخ محمد سليمان الاشقر	١٠٦/٦٧
العادة الشهرية	الشيخ محمد سليمان الاشقر	٩٠/٦٤

تتمة الفتاوى

الموضـــوع	الاعـــداد	العدد/الصفحة
فوائـــد المصارف	الاستاذ مصطفى أحمد الزرقا	١٢٠/٦١
فى الرضـــاع	التحـــرير	١٢١/٦١
فى الزكـــاة	التحريـــر	١٠٥/٧٢
فى الميراث	التحريـــر	١٢٠/٦١
فى النسب	الاستاذ مصطفى أحمد الزرقا	١٠٥/٧٠
فى الوكالـــة	الشيخ على البولاقى	٨٩/٦٢
قتل العصفـــور	التحريـــر	١٠٤/٧١
قدر المهـــر	التحريـــر	١٠٢/٧١
الكتب الجنسية	التحريـــر	١٢٢/٦١
لمس المرأة	الشيخ على البولاقى	٩٠/٦٤
مهـــر السر	التحريـــر	١٠٢/٧١
مؤخر الصداق	الشيخ على البولاقى	١٠٦/٦٩
ميراث ذوى الأرحام	الشيخ على البولاقى	١٠٥/٦٩
نجاســـة الخمـــر	الاستاذ مصطفى أحمد الزرقا	٨٥/٦٥
النـــــذر	الشيخ محمد سليمان الأشقر	٩٠/٦٢
نقل الزكـــاة	التحـــرير	١٠٥/٧٢
وقت العمـــل	الشيخ على البولاقى	٨٩/٦٢

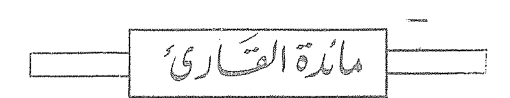
تحقيقات وموضوعات عامة

الموضـــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
آراء لرشيد رضا	الدكتور أحمد الشرباصى	٦١/٧٠
التأمين التعاونى	الاستاذ محمد الدسوقى	٥٣/٧٢
حقائق وأرقـــام (١)	التحريـــر	٦٦/٦٧
حقائق وأرقـــام (٢)	التحريـــر	٨٤/٦٨
رحلة الى سيراليون	الاستاذ سليمان عطـــا	٧٨/٧٠
الصومـــال	ادارة الشئون الاسلامية	٨٨/٧١
قرارات مجمع البحوث الاسلامية	التحريـــر	٥٨/٦٢
المسلمون فى الفلبين	ادارة الشئون الاسلامية	٦٤/٦٩
مع الأسرة	الاستاذ عبد الستار محمـــد	
المؤتمر الخامس لمجمع البحوث	فيض	١٠٠/٦٨
الاسلامية	الاستاذ صلاح عـــزام	٦٨/٦٣
مؤتمر علمـــاء المسلمين	الاستاذ عبد المعطى بيومى	٧٩/٦٢
موكب الشهداء	التحريـــر	٥٤/٦٦
وثيقـــة اسلام جورج	التحريـــر	٧٧/٦٨



اعداد : الاستاذ عبد الستارمحمد فيض

اسم الكتاب	المؤلف	العدد/الصفحة
الابحاث النافعة فى التربية والأخلاق	الاستاذ محمد سعيد أحمد الشبيب	٥١/٦٣
أبو ذر الزاهد	الاستاذ محمد سعيد ريه	٥١/٦٢
أوراق من دفتر مسافرة	الاستاذة هداية سلطان السالم	٥١/٦٣
بدع التفسير فى الماضى والحاضر	الدكتور رمزى نعنانة	٩٣/٧١
خصائص اجتماعية	الشيخ عبد الوهاب الأعظمى	٩٣/٧١
الديوان	الاستاذ العوضى الوكيل	٨٢/٦٧
الربا ودوره	الدكتور عيسى عبده	٩٣/٧١
الرسالة المحمدية وشواهدها	الشيخ محمد عبد الوهاب فايد	٥١/٦٢
عالم الفكر	مجلة وزارة الارشاد والانباء الكويت .	٩٣/٧١
عبير من دمشق	الشاعر عدنام مردم بك	٨٢/٦٧
الفكر الاسلامى	مجلة لجنة الفتوى بلبنان	٥١/٦٢
قطرات من نور الهداية	الاستاذ محمد أبو عجوة عبد المطلب	٨٢/٦٧
من أعلام العارفين	الاستاذ صادق محمود الجميلى	٥١/٦٣
من الفكر والقلب	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٥١/٦٣
المملكة العربية السعودية	الاستاذ فهد خالد السديرى	٩٣/٧١
المؤتمر والمهرجان	الاستاذ العوضى الوكيل	٨٢/٦٧
نظرية الضمان	الدكتور وهبة الزحيلى	٩٣/٧١



العدد/الصفحة

أعدها : أبو نزار

٣٨/٦١	٩٢/٦٥	٧٠/٦٩
٦٤/٦٢	٦٤/٦٦	٧٦/٧٠
٦٠/٦٣	٨٨/٦٧	١٠٠/٧١
٥٢/٦٤	٩٥/٦٨	٤٨/٧٢

قصائد

عنوانها	الشاعر	العدد/الصفحة
ابراهيم خليل الله	الاستاذ محمد هارون الحلو	٦٨/٦٨
أسطول العرب	ابن هانىء الاندلسى	١٠٠/٦٣
بنى الاسلام	الاستاذ محمد على مكى	٢٦/٦٢
الرجل السعيد	أمير الشعراء أحمد شوقى	١٠٠/٦٥
شاعر الاسلام اقبال	الاستاذ أنور العطار	٦٨/٦٦
علمتنى الحياة	الاستاذ أنور العطار	٤٨/٦١
عيد المولد النبوى	الاستاذ أحمد مخيمر	٦٦/٦٣
قصة مساء	الاستاذ يوسف حسن نوفل	٤٠/٧٢
مع الاسراء	الاستاذ محمود سلطان	٧٤/٦٧
مفاتيح الجنة	الاستاذ المدنى الحمراوى	٦٢/٦٤
من آيات الوجود	الاستاذ الربيع الغزالى	٢٢/٧٠
من وحى الفداء	الاستاذ حسن فتح الباب	٢٢/٦٥
نداء	الاستاذ بكر موسى	٣٠/٧١
يبحث الشاعر عن سيف وحرف	الاستاذ محمد أحمد العزب	٥٤/٦٩

قصص

عنوان القصة	الكاتب	العدد/الصفحة
أجنادين	الاستاذ أحمد محمد مصطفى السفارينى	٩٤/٦٧
ثم نسفوا البيت	الاستاذ أحمد حسن القضاة	١٠٠/٦٩
الدار والمسجد	الاستاذ حسين الطوخى	٩٤/٧٢
رجل فى التيه	الدكتور نجيب الكيلانى	٩٤/٦٨
سيف الله	الدكتور نجيب الكيلانى	٩٤/٧١
الصامدون فى الارض	الاستاذ أحمد العنانى	٨٠/٦٣
العقاب (أبو ليلى)	الاستاذ أورخان محمد على	٨٠/٦٥
كرسى المتفجرات	الاستاذ عبد المقصود حبيب	٨٢/٦٢
المجذوب	الدكتور نجيب الكيلانى	٨٠/٦٤
مخاوف ابليس	الاستاذ محمد لبيب البوهى	٩٦/٧٠
المؤامرة	الاستاذ حسين الطوخى	٩٦/٦٦
يوم الوشاح	الاستاذ على أحمد باكثير	١١٢/٦١

بريد الوعي

الموضوع	الاعداد	العدد/الصفحة
أخطاء فى ترتيب صفحات بعض المصاحف	الاستاذ فارس المالكى	١٠٦/٦٨
أدعياء الطب	التحرير	١١٢/٧١
أصحاب السبت	التحرير	١٠٨/٦٩
بين الشريعة والطب	الدكتور حسن هويدى	١٠٥/٦٨
التبرج	الشيخ السيد سابق	١١٠/٧١
تعقيب على مقال (الاسلام الصراط المستقيم)	الاستاذ ابراهيم عبد الرحمن البليهى	٨٨/٦٤
التكرار فى القرآن الكريم	التحرير	١٠٩/٧٢
ثمانى سنوات ونصف	التحرير	١١٠/٧٢
توزيع المجلة	التحرير	١٠٨/٦٦
الجهاد فى الاسلام	اللواء الركن محمود شيت خطاب	٩٤/٦٢
حديثان موضوعان	الشيخ محمد سليمان الاشقر	١٠٧/٦٧
حول تحضير الارواح	الدكتور محمد عثمان خليل	٨٦/٦٤
حول تحضير الارواح	الاستاذ عبد الفتاح عزت سالم	١٠٥/٦٦
رأى طبيب فى قراءة الكتب الجنسية	التحرير	٩٦/٦٣
رد على تعليق حول مقال (فلينظر الانسان ..)	الدكتور محمد سلام مدكور	١٠٨/٧٠
زكاة الاسهم	الشيخ محمد أبو زهرة	٨٩/٦٤
زواجك أفضل	الدكتور أحمد عبد المنعم البهى	٩٤/٦٣
المادة الشهرية	الشيخ محمد سليمان الاشقر	٩٠/٦٤
العلماء فى المعركة	الشيخ محمد شعبان	١٢٤/٦١
عمر الشيطان	التحرير	٩٥/٦٣
غلاء المهور ثانية	التحرير	٩٥/٦٣
القرآن	التحرير	١٠٧/٦٩
لمس المرأة	الشيخ على البولاقى	٩٠/٦٤
المحاماة	الدكتور أحمد عبد المنعم البهى	٩٣/٦٢
المصحف ، المصحف	التحرير	٩٤/٦٢
ملابس النساء	الشيخ زكريا البرى	١٢٣/٦١
مفهوم عقوق الوالدين	الاستاذ مصطفى الزرقا	٨٧/٦٥
هدايا المجلة	التحرير	١٠٧/٦٩

الأعلام

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
ابن باديس	الاستاذ عبد الحليم عويس	٨٣/٦٧
ابن رشد	الدكتور محمد عاطف البرقوقى	٥٢/٦٣
أبو حنيفة	الدكتور محمد محمد ابو شهبة	٧٠/٧٠
ابو الريحان البيرونى	الاستاذ عبد المعطى بيومى	١٠٠/٦٤
ابو العباس المبرد	الاستاذ العوضى الوكيل	١١٦/٦٦
أحمد بن حنبل	الاستاذ عبد الستار محمد فيض	٩٩/٧١
جادالله الزمخشرى	الاستاذ العوضى الوكيل	١٠٠/٦٢
حسان بن ثابت	الاستاذ أحمد حسن قضاة	٥٩/٧١
صلاح الدين الايوبى	الاستاذ عبد المعطى بيومى	٩٩/٦٨
عبدالله بن عتيك	التحرير	٣٥/٦٤
عمر بن عبدالعزيز	الدكتور عماد الدين خليل	٧٠/٦٨
الفاضل بن عاشور	الاستاذ أنور الجندى	٦٨/٦٥
قطبة بن قتادة السدوسى	اللواء محمود شيت خطاب	٤٤/٧٢
محب الدين الخطيب	الاستاذ أنور الجندى	٨٣/٦١
محمد اقبال	الاستاذ أنور العطار	٨٤/٦٦
محمد عبدالله العربى	الاستاذ أنور الجندى	٦٥/٦٤
محمد فريد وجدى	الاستاذ محمد الصالح آل ابراهيم	٦٠/٦٢

كتاب الشهر

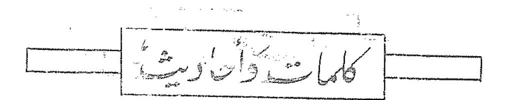
الكتاب	المؤلف	الناقد	العدد/ الصفحة
الاسلام الصراط المستقيم	مجموعة من الأساتذة	الاستاذ عبد العزيز شرف	٧٢/٦٢
الانسان ذلك المجهول	الكسيس كاريل	الاستاذ رمضان لاوند	٨٤/٧٢
الخليج العربى .	سيرارنولدت . ويلسون	الاستاذ عبد المعطى بيومى	٦٢/٦٣
دائرة المعارف الاسلامية	مؤسسة الشعب	الشيخ كمال أحمد عون	٥٤/٦٤
الدين بحوث ممهدة	الدكتور محمد عبد الله دراز	الاستاذ حمدى متولى مصطفى	٨٩/٦١
الفتاوى العالمكيرية (١)	مجموعة من علماء الهند	الاستاذ أنور أحمد قادرى	٨٧/٧٠
الفتاوى العالمكيرية (٢)			٧٠/٧١
المطالب العالية	الحافظ بن حجر	الاستاذ عبد الحميد محمد البسيونى	٧٢/٦٩
الوحدة العسكرية العربية	اللواء محمود شيت خطاب	الدكتور محمد بديع شرف	٨٥/٦٨

قالت صحف العالم

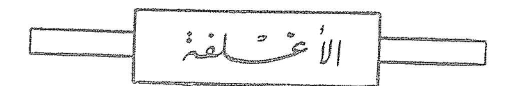
الموضوع	الصحيفة	العدد/الصفحة
الأثرياء عندنا وعندهم	مجلة الهدف الكويتية	٩٣/٦٣
الاسلام والعالم	جريدة الاهرام المصرية	١١٢/٧٠
أعظم ثروة	مجلة هدى الاسلام الاردنية	١١٠/٦٦
أمتنا بخير	مجلة جوهر الاسلام التونسية	١١١/٧٢
أوليات العصر	مجلة هدى الاسلام الاردنية	٩٢/٦٣
بشائر معركة المصير	مجلة جوهر الاسلام التونسية	٩٥/٦٤
بيان	مجلة الفكر الاسلامى اللبنانية	٩٥/٦٢
الثورة الفكرية	مجلة هدى الاسلام الاردنية	١٠٠/٦٦
حضارة الانسان	مجلة الفكر الاسلامى اللبنانية	١٠٨/٧١
الحلال والحرام (رد من الازهر)	مجلة صباح الخير المصرية	١٢٥/٦١
الدين والشباب	مجلة دعوة الحق المغربية	١١١/٦٧
سر الانتصار	مجلة التربية الاسلامية العراقية	١١٢/٧٢
شبهات فى وجه الفكر الاسلامى	مجلة الدراسات الاسلامية العراقية	١١١/٦٨
الصحافة سلاح	مجلة الرائد الهندية	١١٢/٦٨
الغارة الصهيونية	مجلة الفكر الاسلامى اللبنانية	١١٢/٦٧
فى مرضاة الله	مجلة حضارة الاسلام السورية	١١١/٦٦
القرآن هو كل شىء	مجلة المجتمع الكويتية	١١١/٦٧
كيف دخل الاسلام الصين	جريدة الاخبار المصرية	١١١/٧٠
لبنان	جريدة الرأى العام الكويتية	٩٤/٦٤
ليس بالأمانى	مجلة حضارة الاسلام السورية .	١١٢/٦٩
معالم تربية اسلامية	جريدة الاهرام المصرية	١٠٨/٧١
مهمة الصحافة الاسلامية	مجلة البلاغ الكويتية	١١١/٦٩
يقظة اسلامية رائعة	مجلة دعوة الحق المغربية	٩٤/٦٥
يوم النكسة	مجلة البيان الكويتية	٩٥/٦٥

بأقلام القراء

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
أبواق شرقية	الاستاذ عبد الرحمن أحمد شادى	٩٣/٦٤
اخوان شقيقان		١٠٧/٧٠
الاستاذ الوالد		١٠٧/٧٢
الاسلام ومسئولية الفرد	الشيخ حماد محمد حماد	١٠٦/٧٠
التلمود دستور الصهيونية	الاستاذ محمد العبد المصرى	١٠٩/٦٦
جهاد النفس	الاستاذ على على عياد	٩٠/٦٣
حاجتنا الى التدين	الاستاذ ابراهيم الحسنات	١١٠/٦٩
رسالة الدين	الاستاذ على سيد حسن	١٢٧/٦١
شريعتنا الغراء	الاستاذ مختار عبد العليم	١٠٨/٦٨
شهر شعبان	الشيخ مشهور ضامن	١٠٩/٦٨
صرخة	الاستاذ ابراهيم أحمد هندى	٩٢/٦٢
الصهيونية والاحقاد القديمة	الشيخ سليمان حسن عبد الوهاب	١٠٥/٧١
عادات ومخترعات شرقية	الاستاذ عبد الرحمن أحمد شادى	١٢٨/٦١
العربية لغة عالمية	الاستاذ محمد بلى الفوتى	١٠٧/٦٦
فى رحاب الحرم	الاستاذ حسين أبو هاشم	١٠٨/٧٢
الكاسيات العاريات (قصيدة)	الاستاذ عبد الخالق محمد يونس	١٠٦/٧١
كلمة المسلم	الاستاذ عبد الرحمن أحمد شادى	١٠٩/٦٩
نظرة جديدة الى التبشير بالاسلام	الاستاذ محمود حنفى كساب	١٠٩/٦٧
منطق الاسلام	الاستاذ مصطفى يوسف راجح	٩٢/٦٤
واجب الدعاة فى مجتمع اليوم	الاستاذ محمد سيد أحمدالمسير	٩١/٦٢
الهدايا	الاستاذ عبد الرحمن أحمد شادى	٩٠/٦٣
هذا هو حمانا	الاستاذ محمد سيد أحمدالمسير	٨٩/٦٥



الموضـــوع	الكـــــاتب	العدد/الصفحة
أبعاد الهجـــرة	معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية	٤/٦٢
بيان سياسى خطير	لسمو ولى العهد ورئيس مجلس الـــوزراء	٤/٦٦
حديث مع الشيخ الباقورى	الاستاذ عبد المعطى بيومى	٧٠/٦٤
وقل رب زدنى علما	النطق السامى الكريم فى حفل الجامعة	٤/٧١



العـــدد	موضوع الغلاف
٦١	لوحة (ألا تنصروه فقد نصره الله) .
٦٢	مسجد باد شاهى بلاهور
٦٣	لوحة (محمد رسول الله) .
٦٤	مسجد الفاضل بالمنامة
٦٥	مسجد ابى مندور برشيد
٦٦	مسجد الشيوخ بالدوحـــة
٦٧	الصخرة المشرفة من الداخل
٦٨	مســـجد الســـــلطان أحمـــد باستانبول
٦٩	مسجد الشملان بالكويت
٧٠	مسجد الاشرفية بعمان
٧١	مدخل الحرم المكى
٧٢	الكعبة المشرفة عند الشروق

الكتاب

الكاتب	الموضوع	العدد/الصفحة
ابراهيم الحسنات	حاجتنا الى التدين	١١٠/٦٩
ابراهيم حمد ابراهيم هندى	صرخة	٩٢/٦٢
ابراهيم عبد الرحمن البليهى	تعقيب على مقال (الاسلام الصراط المستقيم)	٨٨/٦٤
أحمد حسن الباقورى	حديث عن رمضان	٣٥/٦٩
أحمد حسن قضاة	ثم نسفوا البيت (قصة)	١٠٠/٦٩
	حسان بن ثابت	٥٩/٧١
أحمد الحوفى	الضمير	١٢/٧١
أحمد الشرباصى	العقل فى تفسير المنار	٤٥/٦٦
	آراء لرشيد رضا	٦١/٧٠
أحمد شلبى	اليهود فى فلسطين وخارجها	٣٤/٦١
أحمد عبد المنعم البهى	المحاماة	٩٣/٦٢
	زواجك أفضل	٩٤/٦٣
أحمد العنانى	يا شباب الاسلام	١٠٤/٦١
	الصامدون فى الارض (قصة)	٨٠/٦٣
أحمد فتحى بهنسى	التشديد فى العقوبة على الخطرين	٤٦/٦٣
أحمد محمد جمال	ما هى ثقافتكم يا شباب	٤٢/٦٢
	ما هى ثقافتكم يا شباب	٢٤/٦٥
	حوار حول الجهاد الاكبر	٣٦/٦٨
أحمد محمد مصطفى السفارينى	أجنادين (قصة)	٩٤/٦٧
أحمد مختار قطب	التوكل على الله	٧٨/٦١
	الصبر	٧٨/٧١
أحمد مخيمر	عيد المولد النبوى (قصيدة)	٦٦/٦٣
أنور أحمد قادرى	الفتاوى العالمكيرية (١) كتاب الشهر	٨٧/٧٠
	الفتاوى العالمكيرية (٢) كتاب الشهر	٧٠/٧١
أنور الجندى	محب الدين الخطيب	٧٣/٦١
	محمد عبد الله العربى	٦٥/٦٤
	الفاضل بن عاشور	٦٨/٦٥
أنور العطار	علمتنى الحياة (قصيدة)	٤٨/٦١
	شاعر الاسلام أقبال (قصيدة)	٦٨/٦٦
أورخان محمد على (ابو ليلى)	العقاب (قصة)	٨٠/٦٥
بكر موسى	نداء (قصيدة)	٣٠/٧١

الكـــاتب	الموضـــوع	العدد/الصفحة
البهى الخولى	الاسلام ومنهج المعرفة	٣٠/٦٦
	الفطرة والكـــون	٢٤/٧٠
حسن فتح الباب	من وحى الفداء (قصيدة)	٢٢/٦٥
	النظم الديبلوماسية فى الجاهلية والاسلام	٢٤/٦٩
حسن هويدى	نفخ الروح غير تكاثر الخلية	٤٩/٦٤
	بين الشريعة والطب	١٠٥/٦٨
حسنين محمد مخلوف	الحج أولا أو الزيارة	١٠٤/٧٠
حسين أبو هاشم	فى رحاب الحرم	١٠٨/٧٢
حسين الطوخى	المؤامـــرة (قصة)	٩٦/٦٦
	الدار والمسجد (قصة)	٩٤/٧٢
حماد محمد حماد	الاسلام ومســـئولية الفرد فى المجتمع	١٠٦/٧٠
حمدى متولى مصطفى	الدين بحوث ممهـــدة (كتاب الشهر)	٨٩/٦١
الربيع الغزالى	من آيات الوجود (قصيدة)	٢٢/٧٠
رضوان رجب البيلى	حديث الشهر ـــ مائدة القارىء	جميع الاعداد
رمضان لاونـــد	التوازن والتركيب	٥٦/٦٦
	الانسان ذلك المجهول (كتاب الشهر)	٨٤/٧٢
زكريـــا البرى	ملابس النساء	١٢٣/٦١
زكى المحاسنى	الســـيرة النبوية والملحمـــة الاسلامية	٣٨/٦٣
سعد صادق محمد	التأمين فى الشريعة والقانون	٥١/٦١
	من سجلات تأريخ الصهيونية	٥١/٦٨
سليمان حسن عبد الوهاب	الصهيونية والاحقاد القديمة	١٠٥/٧١
سليمان دنيا	حول مقال الاحكام الاسلامية	٦٦/٦٦
سليمان عطا	رحلة الى سيراليون	٧٨/٧٠
السيد سابق	زواج التحليـــل	١٠٢/٦٨
	التبرج	١١٠/٧١
صـــلاح عزام	المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الاسلامية	٦٨/٦٣
طه الولى	نشأة دور الكتب	٧٦/٧٢
عاصم الأدفوى	الرؤى والاحـــلام	٦٩/٧٢
عبد الجليل عيسى	تفضيل بعض الورثة على بعض	٢٨/٦١
عبد الحليم عويس	ابن باديس	٨٣/٦٧
عبد الحليم محمود	منهج الايمان والحكمة	٢٨/٦٧
	اقرأ باسم ربك	١٢/٦٩

الكـــاتب	الموضـــوع	العدد/الصفحة
عبد الحميد السائح	فى هجرة الرسول	١٩/٦١
	الحقوق المزعومة لليهود فى فلسطين	٥١/٦٧
عبد الحميد محمد البسيونى	المطالب العالية (كتاب الشهر)	٧٢/٦٩
عبد الخالق محمد يونس	الكاسيات العاريات (قصيدة)	١٠٦/٧١
عبد الرحمن أحمد شادى	عادات ومخترعات شرقية	١٢٨/٦١
	الهـدايا	٩٠/٦٣
	ابواق شرقية	٩٣/٦٤
	كلمـة المسلم	١٠٩/٦٩
	اخوان شقيقان	١٠٧/٧٠
	الاستاذ الوالـد	١٠٧/٧٢
عبد الستار محمد فيض	مـع الأسرة	١٠٠/٦٨
	مكتبة المجلة	جميع الاعداد
	أحمد بن حنبل	٩٩/٧١
عبد العال سالم مكـرم	من دراسات المستشرقين حول القرآن الكريم	٤٢/٦٤
	جوانب من أخطاء المستشرقين	٥٦/٦٩
عبد العزيز بن باز	شهر رمضان	٤٨/٦٩
عبد العزيز شرف	الاسلام الصراط المستقيم (كتاب الشهر)	٧٢/٦٢
عبد الفتاح ابو غدة	دليل نجاسة الخمر من السنة المطهرة	٩٢/٦٦
عبد الفتاح عزت سالم	حول تحضير الارواح	١٠٥/٦٦
عبد الكريم الخطيب	الشورى فى الاسلام	٤٠/٦٩
عبد اللطيف فايـد	الدار والمسجد (قصة)	٩٤/٧٢
عبد الله التـل	تجار الحروب	٦٧/٦٧
عبد الله المشارى الروضان	أبعاد الهجرة	٤/٦٢
عبد المعطى بيومى	مؤتمر علماء المسلمين	٧٩/٦٢
	الخليج العربى (كتاب الشهر)	٦٢/٦٣
	حديث مع الشيخ الباقورى	٧٠/٦٤
	صلاح الدين الايوبى	٩٩/٦٨
عبد المقصود حبيب	كرسى المتفجرات (قصة)	٨٢/٦٢
عثمان خليل	حول تحضير الارواح	٨٦/٦٤
عماد الدين خليل	عمر بن عبد العزيز	٧٠/٦٨
على أحمد باكثير	يوم الوشاح (قصة)	١١٢/٦١
على البولاقـى	فتوى فى الوكالة	٨٩/٦٢
	وقت العمـل	٨٩/٦٢
	حد السرقـة	٨٩/٦٣
	لمس المـرأة	٩٠/٦٤

الكاتب	الموضوع	العدد/الصفحة
علي سيد حسن	رسالة الدين	١٢٧/٦١
علي عبد المنعم عبد الحميد	من هدى السنة	جميع الاعداد
علي علي عياد	جهاد النفس	٩٠/٦٣
علي محمد حسن العماري	لغة القرآن	١٤/٦٨
الغزالي حرب	ميزات المساواة الاسلامية	٥٠/٧٠
فارس المالكي	أخطاء في ترتيب صفحات بعض المصاحف	١٠٦/٦٨
فاروق منصور	الفكر الاسلامي ومراكز الابحاث	٧٧/٦٧
كمال أحمد عون	دائرة المعارف الاسلامية (كتاب الشهر)	٥٤/٦٤
محمد أبو زهرة	زكاة الاسهم	٨٩/٦٤
محمد أحمد العزب	يبحث الشاعر عن سيف وحرف (قصيدة)	٥٤/٦٩
محمد بديع شريف	الوحدة العسكرية العربية (كتاب الشهر)	٨٥/٦٨
محمد بلي الفوتي	العربية لغة عالمية	١٠٧/٦٦
محمد البهي	المادية في مظاهرها وآثارها (١)	٢٠/٦٢
	المادية في مظاهرها وآثارها (٢)	٨/٦٣
	المادية في مظاهرها وآثارها (٣)	٨/٦٤
	المادية في مظاهرها وآثارها (٤)	٨/٦٥
	الجهاد	١٠/٦٦
	الدين والدولة في اسرائيل	١٤/٦٧
	الحج	١٢/٧٠
محمد الحسيني عبد العزيز	الحضارة والفنون	٦٠/٦١
	المآذن والمحاريب والمنابر الاسلامية	٩٢/٦٩
محمد الدسوقي	في ذكرى مولد الرسول	٢٦/٦٣
	العرب والحضارة	٥٨/٦٥
	التأمين التعاوني	٥٣/٧٢
محمد رجاء حنفي عبد المتجلي	فتح خيبر	٦٨/٦١
	موقعة عين جالوت	٥٩/٧٢
محمد سعيد رمضان البوطي	مع الدكتور صاحب التفسير المصري	٢٨/٦٢
	نظرات في الادب	٢٦/٧٢
محمد سلام مدكور	فلينظر الانسان مم خلق (١)	٤٠/٦٥
	فلينظر الانسان مم خلق (٢)	٣٥/٧٠
	فلينظر الانسان مم خلق (تعليق)	١٠٨/٧٠
	فلينظر الانسان مم خلق (٣)	٥٤/٧١

الكاتب	الموضوع	العدد/الصفحة
	النذر	٩٠/٦٢
	العادة السرية	٩٠/٦٤
	حديث باطل	١٠٤/٦٦
	الخطبة بغير العربية	١٠٧/٦٧
محمد سليمان الاشقر	حديثان موضوعان	١٠٤/٦٧
	طلب العلم	١٠٦/٦٧
	تنظيم النسل	١٠٥/٦٧
	منزلة العبادة فى المسجد الحرام	٤٨/٧١
محمد سيد أحمد المسير	واجب الدعاة فى مجتمع اليوم	٩١/٦٢
	هذا هو حمانا	٨٩/٦٥
محمد شعبان	العلماء فى المعركة	١٢٤/٦١
محمد صادق عرجون	كتاب المصاحف	١٩/٧٢
محمد الصالح آل ابراهيم	محمد فريد وجدى	٦٠/٦٢
محمد صبيح	نظرة فاحصة فى داخل التوراة	٤٢/٦٣
محمد عاطف العراقى	ابن رشد	٥٢/٦٣
محمد عبد الغنى حسن	السيرة النبوية فى الادب الحديث	٣٣/٦٣
محمد العبد المصرى	التلمود دستور الصهيونية	١٠٩/٦٦
محمد عبد المنعم خفاجى	الاسلام اولا	٣٥/٧٢
محمد عزة دروزة	تخرصات بعض سفهاء المبشرين	٨/٦١
محمد على مكى	نبى الاسلام (قصيدة)	٢٦/٦٢
	ضوء على بعض المشكلات	٢٢/٦١
محمد الغزالى	محنة الضمير الدينى هناك	٤٦/٦٢
	حوار	٣٥/٦٥
	التربية الدينية أولا	٥٦/٦٧
محمد غلاب	مشكلة التربية والثقافة (٣)	٥٢/٦٥
	المحبوسون فى سجن المادة	١٣/٧٢
محمد كامل حتة	قضية الايمان بالغيب	٣٦/٦٤
محمد كامل الفقى	حياة الحجيج	٥٠/٧٢
محمد لبيب البوهى	مخاوف ابليس (قصة)	٩٦/٧٠
محمد محمد أبو شوك	الوهم القاتل	٩٩/٦١
	أمراض الصيف	٧٦/٦٥
محمد محمد أبو شهبة	أبو حنيفة	٧٠/٧٠
محمد محمد خليفة	أثر القرآن والحديث فى الخطابة	٥٢/٦٢
محمد ناصر الدين الالبانى	الاحاديث الضعيفة والقوية	١٩/٧١
محمد نعيم	هؤلاء ابتغوا الاسلام دينا	٧٨/٦٨
محمد هارون الحلو	ابراهيم خليل الله (قصيدة)	٦٨/٦٨

الكـــاتب	الموضـــوع	العدد/الصفحة
محمود حنفى كساب	نظـرة جـديدة الى التبشير بالاسلام	١٠٩/٦٧
محمود سلطان	مع الاسراء (قصيدة)	٧٤/٦٧
محمود شيت خطاب	ماذا يراد بالمسجد الاقصى	٤٠/٦١
	التطبيق العملى للجهاد (١)	١٨/٦٣
	التطبيق العملى للجهاد (٢)	٢٨/٦٥
	درس فى بناء الرجال	٣٨/٦٦
	عامل الوقت مع العرب على اسرائيل	٤٠/٦٧
	قطبة بن قتادة السدوسى	٤٤/٧٢
محمود محمد قاسم	أثر الفقه الاسلامى	١٥/٦٢
	الجانب العمرانى فى الحضارة الاسلامية	٢٦/٦٤
مختار عبد العليم	شريعتنا الغراء بين التشريعات الحديثة	١٠٨/٦٨
المدنى الحمراوى	مفاتيح الجنة (قصيدة)	٦٢/٦٤
مشهور ضامن	شهر شعبان	١٠٩/٦٨
مصطفى أحمد الزرقا	فوائد المصارف	١٢٠/٦١
	ثقب الأذن	٨٨/٦٢
	دواجن المزارع	٨٨/٦٢
	زكاة العمارات والآلات	٨٧/٦٣
	مفهوم عقوق الوالدين وصوره	٨٧/٦٥
	نجاسة الخمر	٨٥/٦٥
	التلقيح الصناعى	١٠٣/٦٦
	فتوى فى النسب	١٠٥/٧٠
مصطفى عبد الواحد	المنهج الاجتماعى فى الاسلام	٥٩/٦٨
مصطفى يوسف راجح	منطق الاسلام	٩٢/٦٤
مطـلع كبـير	النشاط الصهيونى (١)	٤٣/٧١
	النشاط الصهيونى (٢)	٦١/٦٧
مناع قطـان	نشأة الفقه الاسلامى (١)	٢٨/٦٨
	نشأة الفقه الاسلامى (٢)	٤٠/٧٠
نجيب الكيلانى	المجـذوب (قصة)	٨٠/٦٤
	رجل فى التيه (قصة)	٩٤/٦٨
	سيف الله (قصة)	٩٤/٧١
وهبة الزحيلى	مبادىء المسئولية الجنائية (١)	٣٥/٦٢
	مبادىء المسئولية الجنائية (٢)	٤٥/٦٥
	الوجدان المسلكى	٤٦/٦٨
	المعتدون على الفقه الاسلامى	٣٢/٧١
يوسف حسن نوفل	قصة مساء (قصيدة)	٤٠/٧٢



مؤسسة فهـــد المرزوق الصحفية

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى [illegible] ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول [illegible]ستراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار — ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر — ص.ب (٢٠٤٣)

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — السيد محمد سعيد بابيضان .

بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها — المنامة — السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

حضرموت : مكتبة الشعب — ص.ب (٢٨) المكلا .

دبى : مكتبة دار الحياة ص. ب ١٨٨٤ .

مسقط : المكتبة الحديثة / يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية — السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع — بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع — بيروت — ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

م[illegible] : الدار البيضاء — مكتبة الوحدة الوطنية — السيد أحمد عيسى .

[illegible] [illegible]ن الغرب — ص.ب (١٣٢) — السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب (٢٨٠) — السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

حـديث الشهر ... ... لمدير ادارة الدعوة ٤
من هدى السنة (الحج والجهاد) للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد ٨
المحبوسون فى سجن المادة ... للشيخ محمد الغزالى ١٣
كتاب المصاحف لابن ابى داود (١) ... للشيخ محمدصادق عرجون ١٩
نظـرات فى الأدب ... ... للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى ٢٦
الاسلام اولا ... ... للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى ... ٣٥
قصـة مساء (قصيدة) ... ... للأستاذ يوسف حسن نوفل ... ٤٠
قطبة بن قتادة السدوسى ... ... اللواء محمود شيت خطاب ٤٤
المـائدة ٤٨
حيـاة الحجيج ... ... للدكتور محمد كامل الفقى ٥٠
التامين التعاونى ... ... للأستاذ محمد الدسوقى ٥٣
موقعة عين جالوت ... ... للأستاذ محمد رجاء حنفى عبد المتجلى ٥٩
الرؤى والأحلام ... ... للأستاذ عاصم الادفوى ٦٩
نشاة دور الكتب ... ... للشيخ طـه الولى ٧٦
الانسـان ذلك المجهـول (كتـاب الشهـر) ... ... عرض ونقد : للأستاذ رمضان لاوند ٨٤
الدار والمسجد (قصة) ... ... للأستاذ عبد اللطيف فايد ٩٤
ركن الموسوعة ... ... تعده : ادارة الموسوعة ١٠١
الفتـاوى ... ... التحـرير ١٠٥
باقلام القراء ... ... التحـرير ١٠٧
بريد الوعى ... ... التحـرير ١٠٩
قالت الصحف ... ... التحـرير ١١١
الأخبـار ... ... اعداد الاستاذ عبد المعطى بيومى ... ١١٣
الفهرس العام لسنة ١٣٩٠هـ ... « ١٩٧٠ ، ١٩٧١ م » ١١٥